

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



سَيِّدُ الْقُلُوبِ

مَجَلَّةُ إِسْلَامِيَّة جَامِعَةٌ

الْعَدَدُ الثَّامِنُ . السَّنَةُ الثَّانِيَّةُ . شَوَّالٌ - ذُو الْحِجَّةِ ١٤١٤ هـ ق . ١٩٩٤ م

المراسلات والاتصالات مع هيئة التحرير على العنوان التالي:

* الجمهورية الإسلامية الإيرانية - قم ص.ب: (٣٧١٨٥ - ٨٩٤) هاتف: ٧١٠٧٧١ فاكس: ٢٥١٧٩ .

رسالة الثقلين

مجلة إسلامية جامعة

محتويات العدد

كلمة التحرير

* مدرسة أهل البيت (ع) على طريق

الاجتهاد والتجديد ٤

من آفاق القيادة الاسلامية

* فلسطين قضية المسلمين الكبرى

ولي أمر المسلمين آية الله

السيد الخامني (دام ظلّه) ١٠

دراسات

* دور أهل البيت (ع) في بناء الكتلة الصالحة (٧)

فضية الامام المهدي (ع)

سماحة السيد محمد باقر الحكيم (العراق) ١٦

* التقية في آراء علماء المسلمين

الشيخ عباس علي براتي ٧٣

* حقوق الانسان بين الاعلالتن الاسلامي والعالمي (٣)

حقوق الانسان في الاسلام والاعلان العالمي

والمبادئ التي بنيت عليها

سماحة الشيخ محمد علي التسخيري ٩٤

* من الدس والتشويه في دائرة المعارف

الاسلامية (١)

الشيخ فؤاد كاظم المقدادي (العراق) ١٢١

تحقيقات

* إطلالة على دلالة حديث الثقلين (١)

القسم العقائدي في المجمع العالمي

لأهل البيت (ع) ١

نقد

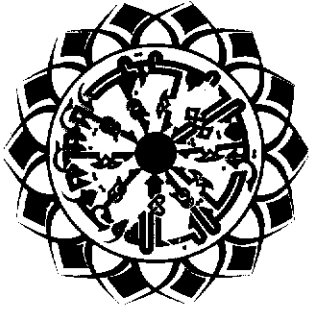
* رسالة جامعية في مواجهة التشيع (٢)

السيد سامي البدري (العراق) ٣٧

شبهة ورد

* مصحف فاطمة (ع) بين الحقيقة والادهام

الشيخ مصطفى قصير (لبنان) ٢



المجمع العالمي لأهل البيت

دَدُ الثَّامِنُ . السَّنَةُ الثَّانِيَّةُ إِل - ذُو الْحِجَّةِ ١٤١٤ هـ ق . ١٩٩٤ م

* مؤتمر «جان كلود بنراد» في جامعة المفيد بـ «قم»
دراسة التشيع في شرق إفريقيا ١٥١

■ استطلاع

* المغرب وأهل البيت (ع) (٢)
إعداد: المركز الإسلامي للأبحاث السياسية
(قم المقدسة) ١٨٩

■ من غرر حكم أهل البيت (ع)
* القرآن الكريم في حديث أهل البيت (ع)
السيد عبدالله الحسيني ٢٢٣

■ من أنباء القرى

* أنباء وتقارير ٢٣٢

■ قراءة في الأعداد الماضية
* قراءة في مجلة رسالة الثقلين ٢٦٠

■ مع قراء الثقلين
* رسائل القراء ٢٦٤

ما هكذا تورد يا سعد الابل
الاستاذ مولود قاسم وزير الشؤون الدينية
الجزائري السابق

الاستاذ ع. بلخضر (الجزائر) ١٧٩

ن وأداب

قصيدة: الغدير
الشيخ خليل شقير (لبنان) ٦٠
قصيدة: يا سيد الأبطح
إبراهيم جواد (سوريا) ١٦٠
قصة: أفول الجاهلية
السيد علي الموسوي (العراق) ٢١٣

يف

نتاب في مقال: الهوى في حديث أهل البيت (ع)
الشيخ أبو صادق (العراق) ١٦٣

ير

لاجتماع الثامن للجنة تنسيق العمل الاسلامي
في القاهرة ١١٣

مَدْرَسَةُ الْإِسْلَامِ الْبَنِيَّةُ

عَلَى طَرِيقِ الْأَحْبَارِ وَالتَّجَدُّدِ

إن أكثر ما يُعانيه المسلمون اليوم على الصعيد الفكري والنظري هو فهم الإسلام في أطروحاته الحضارية وموقفه الشرعي ومنهجه العملي من القضايا المتجددة في الواقع الانساني، خصوصاً تلك التي تتميز بطابعها الاجتماعي، بما فيها من جوانب فكرية وسياسية واقتصادية تتحرك في دائرة المجتمعات الاقليمية الخاصة أو الدولية العامة. ولا ينحصر ذلك في جانب البناء الذاتي لتلك المجتمعات الاسلامية وسد حاجاتها الخاصة في عملية البناء والتكامل، سواء تم ذلك في إطار حركات ومنظمات تعمل في وسط الأمة أو في إطار دولة إسلامية تهدف إلى تمكين وتطبيق النظام الاسلامي في تشكيلاتها الادارية والوظيفية وقيادتها لشعبها إسلامياً. بل إنه يمتد إلى جميع أبعاد وأفاق المجتمع الدولي أفراداً ومنظمات ودولاً انطلاقاً من الرسالة العالمية للإسلام وما تقتضيه الضرورة العقلانية والملازمة العملية لحركة الأمة الإسلامية وقياداتها السياسية في وسط المجتمع الدولي العام. ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل يتجاوزه إلى دائرة مواجهة الغزو الثقافي المضاد الذي بدأ يلوح في الأفق والموجه - بتقنية علمية عالية - أولاً وبالذات إلى الطبقات المثقفة من المجتمعات الاسلامية التي تتميز عادةً بمشاعر الرفض لصيغ الظلم الاجتماعي والدجل الفكري

والسلوكي، والتطلع نحو رؤية صادقة للحق والعدل، والتوق الشديد الى بناء إنسان العدل ومجتمع العدل ودولة العدل في الواقع الانساني.

وفي خضم هذه المعاناة ومن بين ثنايا الصراع المتواصل لتفجير المكنون الرسالي والحضاري للاسلام واحتواء تطلّعات البشرية المتربة للخلاص، وتقديم الاطروحة المنقذة لها من عذاباتها، تظهر دعوات وتعلو أصوات لا يظهر منها إلا إدراك تلك الحاجة الملحة، جامعها المعبر عنها هو مقولة: «إن الاجتهاد ببعده الحقيقي وشموليته الواقعية قضية حياة أو موت للمسلمين في مواجهة تحديات العصر..» وهنا نعود القهقري لنقلب صفحات تاريخنا الاسلامي العتيق وننفذ الغبار عن ما ينقله لنا المؤرخون الثقات حول مرحلة الاجتهاد والتفقه في عصر النهضة العلمية في علوم الشريعة الاسلامية التي قادها وأبرزها عليّ سعيد الأمة خامس أئمة أهل بيت العصمة والنبوة الامام محمد الباقر عليه السلام وبلغ الأوج فيها ولده الامام جعفر الصادق عليه السلام .. وهدفنا من ذلك هو استجلاء حقيقة الاجتهاد المقصود والتفقه المطلوب في مرحلتنا الراهنة الذي لا ينفك في حقيقته عن ذلك الاجتهاد والتفقه بمعناه الاسلامي الاصيل، الذي نادى به وعمل عليه أئمة اهل البيت عليه السلام وتربّت عليه أجيال العلماء والفقهاء المعاصرين لهم والتابعين لمدرستهم من بعدهم.

فالا جتهاد والتفقه في الشريعة الاسلامية المقصود لمدرسة أهل البيت عليه السلام ليس هو القاعدة التي دعا إليها مَنْ فارّق مدرستهم من أن: «الفقيه إذا أراد أن يستنبط حكماً شرعياً ولم يجد نصّاً يدلّ عليه في الكتاب أو السنّة رجع الى الاجتهاد بدلاً عن النص»، وهل هذا إلا إطلاق العنان للتفكير الشخصي في الأحكام الإلهية، واعتباره مصدراً من مصادر التشريع الاسلامي كالكتاب والسنّة؟ فالفقيه - وفق هذا المنهج - يرجع الى تفكيره الخاص حيث لا يجد النص ويستلهمه ويبنّي على ما يرجح في فكره الشخصي من تشريع، ولهذا أطلق على هذا النهج اسم «مدرسة الرأي»، وقد تصدّى أئمة أهل

البيت عليه السلام لهذا النهج في الاجتهاد والتفقه، وشنوا حملة شديدة عليه، وحرّموا العمل به لخطورته على سلامة التشريع الاسلامي وأصالته ومآله الى تحريف أحكام الله وإدخال ما ليس من الدين فيه.

إننا وقبل كلّ شيء يجب أن نحدّد مفهوم الاجتهاد والتجديد الذي يسوّغ لنا استناذه الى الشريعة الاسلامية دون تحميل أو تزوير، لثلاث نفع في حبال دعوتين تستبطنان باطلاً: إحداهما: من داخل البيت الاسلامي المتفقه، وهي الدعوة الى الاجتهاد والتجديد بإعمال الرأي الشخصي للفقيه المتخصص في استنباط الحكم الشرعي عند إعواز النصوص أو في مقابلها دون أساس من كتاب أو سنة، والتي أشرنا إليها بمصطلح «مدرسة الرأي». والأخرى: من خارج البيت الاسلامي المتفقه، وبالتحديد من الأوساط المثقفة المترصّدة للفكر الديني الاسلامي ونظرياته وتشريعاته، وهي الدعوة الأخطر من حيث إن طارحها هم العلمانيون المتدينون - كما يسمّون أنفسهم اليوم - وتحت عنوان الحرية الفكرية وضرورة الابداع الذي يعني في منطقهم إعادة النظر في الكثير من ثوابت الاسلام وتشريعاته الاجتماعية، والذي نلمسه طافحاً على أغلب موضوعات مجلّاتهم وكتبهم الحديثة، كمجلة الناقد^١ وكتبها، وهي في الواقع تحديث للفكر الغربي الغابر الذي غزا الشرق الاسلامي في عصر الاستعمار العسكري المباشر، والذي نظّر له المستشرقون، وربّوا رجاله الاوائل الذين حكموا بلدان الشرق وساقوا شعوبها نحو الثقافة الغربية ومنهجها في الحياة الاجتماعية ووضعوها قسراً في ركاب الغرب

(١) الناقد: مجلة شهرية تصدر من لندن ويحرّرها مجموعة من المثقفين العلمانيين ويطغى على موضوعاتها نقد الفكر الديني الاسلامي والتشكيك في مبانيه وثوابته بمنهجية مقننة وفق الاتجاه الثقافي العلماني. وليس على سبيل الصدفة أن يعاصر صدور أول أعدادها انتشار كتاب الآيات الشيطانية للمرتد سلمان رشدي وشروع الغرب ودوائره الاعلامية بقيادة أمريكا بهجومه الثقافي والسياسي المطوّر بالتقنيات الحديثة على الاسلام والصحة الاسلامية التي برزت في الشرق ودقّت ابواب الغرب بل ودخلت عقر داره.

ومصالحه.

والمدرسة الاسلامية لأهل البيت (عليه السلام) - في الوقت الذي تقرر فيه أن الاجتهاد الذي يسوّغ إسناده إلى الشريعة الاسلامية هو عبارة عن عملية استنباط الحكم الشرعي من مصدره الأساسيين: الكتاب الكريم والسنة الشريفة - تؤكد على ضرورة أن يتم ذلك وفق القواعد الأصولية المقررة شرعاً وعقلاً في مظانها، والتي تستلزم مستوى تخصصياً عالياً في مجال الفن الأصولي من جهة، وسعة الاطلاع والتمرس في فهم النصوص الشريفة للكتاب الكريم والسنة المعصومة من جهة أخرى، وأن الدعوة للاجتهاد والتجديد في إطار الشريعة الاسلامية المقدسة لا بد أن تنضبط بهذه الضوابط، وتسير وفق هذا المنهج الذي يحمل دليل إثباته الشرعي من النصوص الاسلامية المقدسة، وقيمة آثاره وعظمته ثماره من خلال التجربة الطويلة لتطبيقه في إطار هذه المدرسة الالهية المباركة عبر قرون متتالية وإلى وقتنا الحاضر. وتشهد لذلك عشرات الآلاف من المؤلفات والمصنفات العلمية لكبار فقهاء وعلماء هذه المدرسة التي استوعبت عبر حركة الاجتهاد والتجديد المستمرة كل مسائل ومستجدات العصور التي مرّت بها، وفي مختلف أبواب المعرفة الاسلامية فقهاً وأصولاً وعقائد وأخلاقاً وفلسفة وحديثاً وغيرها من العلوم والاختصاصات الاسلامية.

وثمة حقيقة أخرى تملينا علينا طبيعة التطور الكبير في المجتمع الانساني المعاصر يجب أن نضيفها هنا وهي ضرورة توفير شروط التجدد والحيوية في الاجتهاد مناهج وموضوعات بما يتناسب وهذا التطور الهائل، والتي من أبرزها هو عنصر التخصص العلمي خصوصاً في مجال تنقيح الموضوعات ولحاظ الزمان والمكان عند استنباط وتحديد الحكم الإلهي في الواقعة المعينة، أو بلورة الرؤية الاسلامية في مسألة من المسائل الأساسية، والتي تستلزم عادةً تطوراً في أساليب العمل العلمي، كإنشاء اللجان التخصصية والمجامع العلمية من مجموعة العلماء والفقهاء المتخصصين، كما لا بدّ من

بسط وتوسعة عملية التجديد في الاجتهاد والتفقه العلمي لتشمل كافة أبواب المعرفة الاسلامية واختصاصاتها، وذلك لاثساع دائرة المواجهة والتحدّي المعاصر للاطروحة الاسلامية بمفرداتها الموضوعية والمنهجية، خصوصاً بعد انتصار الثورة الاسلامية وقيام دولة تدعو لخوض تجربة الاسلام الحضاري في المجتمع الانساني، وبروز ظاهرة التطلّع نحو الاسلام فكراً رائداً ونظرية حياة حضارية للانسان التائه الممزق في عصر أقول الحضارات الماديّة وانهيارها.

ونحن إذ نوكد على التزام نهج مدرسة أهل البيت (عليه السلام) في الاجتهاد والتجديد نرى فيه السبيل الامثل بل الوحيد الذي يمكنه ان يحقق الاهداف الاساسية التالية:

الأول: الاستيعاب المستمر لكل القضايا المتجددة في الواقع الانساني أو ما يسمى بمنطقة الفراغ المتغيرة، واستنباط الحكم الاسلامي الخاص بها دون الانزلاق في مخاطر البدعة في الدين أو الوقوع في متهاتات التحريف لثوابته وضروراته.

الثاني: إبراز القيمة الحضارية والبعد الانساني الشامل للاطروحة الاسلامية في الوسط العالمي بشكل حقيقي مستوعب تختفي فيه صور المفارقة الصارخة في الآراء والنظريات بين الاتجاهات والمدارس الاسلامية، التي كانت ولا تزال منقصة كبيرة ومأخذاً أساسياً يضرب أعداء الاسلام - وخصوصاً المستشرقين منهم والجهلاء من صنائعهم - على وتره للاجهاز على أصالة هذه الامة والقضاء على دينها الذي هو سرّ عظمتها وعامل وحدتها ونهضتها المرتقبة.

الثالث: توحيد الامة الاسلامية «داخلياً» على مستوى الرؤية الاساسية والاتجاه الشرعي في حركتها الذاتية الذي يعني بعبارة أخرى التقريب بين المذاهب الاسلامية، ومن ثم توحيد الموقف السياسي والاساسي للمسلمين من مختلف القضايا والمسائل التي تمثل مفاصل حركتها وسيرها نحو الهدف الذي اراده الله لها وخاطبها به في محكم كتابه الكريم: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ^١

ورائع ما حدده رائد التجديد المعاصر للاطروحة الاسلامية آية الله العظمى الشهيد السيد محمد باقر الصدر^٢ في جوابه عن سؤال: ما هو الهدف من حركة الاجتهاد؟ حيث قال: «وأظن أننا متفقون على خط عريض للهدف الذي تتوخاه حركة الاجتهاد وتتأثر به، وهو تمكين المسلمين من تطبيق النظرية الاسلامية للحياة، لأن التطبيق لا يمكن أن يتحقق ما لم تحدد حركة الاجتهاد معالم النظرية وتفصيلها»^٣.

ويبقى الاساس الذي يجب أن يحكم الاجتهاد ويحكمه ويقرر ضرورته ويضبطه هو قوله تعالى في محكم كتابه المجيد: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَبِطُونَ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^٤ صدق الله العلي العظيم والحمد لله رب العالمين.

وَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ

أَنْظُرُوا عِامَّتَكُمْ هَذَا عَمَّةً تَأْخُذُونَهُ، فَإِنَّ فِيْنَا أَهْلَ
الْبَيْتِ فِي كُلِّ خَلْفٍ عُدُوًّا يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ
الْعَالَمِينَ وَانْتِحَالَ الْمُجْلِبِينَ وَتَأْوِيلَ الْحَابِلِينَ

اصول الكافي / الكيف / ج ١ / صفحة ١٣٠

(١) آل عمران: ١١٠.

(٢) الامين، السيد حسن - دائرة المعارف الاسلامية الشيعية ج ١ باب الاجتهاد تحت عنوان: «الاتجاهات المستقبلية لحركة الاجتهاد عند الشيعة». (٣) النساء: ٨٣.

فلسطين... قضية ليست بحسب الكثيرين

وَلَقَدْ أَمَرْنَا الْمُحْسِنِينَ آتِ اللَّهَ الرَّسُولَ حَقَّ السُّلْطَانِ (سورة المائدة)

إن قضية فلسطين هي القضية الإسلامية الأولى على الصعيد الدولي، واليوم إذ ينطلق كفاح الشعب الفلسطيني تحت لواء الإسلام سالباً النوم والراحة من جفون الصهاينة الغاصيين وحماهم، فإن من أكبر واجبات الشعوب والدول المسلمة دعم هذا الكفاح، إذ إن الغدة السرطانية إنما يمكن اجتثاثها وإنقاذ العالم الإسلامي من أخطارها القاتلة بهذا الأسلوب لا غير.

إن سكوت بعض الدول العربية ومساومتها وخيانتها وحتى تظاهر بعضها باللامبالاة وعدم الشعور لمصير فلسطين قد أوصل الأمر إلى حد راحت فيه الدولة الصهيونية الغاصية - وبعد سنين من الكتمان وحتى الإنكار - تعلن اليوم ومن جديد شعار إسرائيل الكبرى، وتكرّر بكل وقاحة وصلف آمالها الحقيرة في غصب أراضٍ جديدة من الوطن الإسلامي.

إن المسألة هي غصب واحتلال بيت المسلمين، وإن الحكم الإسلامي بالنسبة لهذه القضية واضح، لا يشك فيه أحد، وهو الحكم الشرعي المثبت في كافة الكتب الفقهية التي تبحث في باب الجهاد. واليوم قد حدثت في الأرض المحتلة ظاهرة كبيرة، ولا تزال

مستمرة وبقوة، وهي الانتفاضة الاسلامية هذه الثورة التي ستنتقد فلسطين، والتي يخشاها ويرتعب منها حماة إسرائيل وصانعوها، وقد تحققت بعد أن كانت حلماً بعيداً، إنها نعمة إلهية كبيرة، إن شكرنا الله لأجلها فستبقى، ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ وإن كفرنا بها فسوف تزول، ويتمثل شكر هذه النعمة بمعرفة كل المسلمين في أنحاء العالم لتكليفهم الشرعي الذي هو بالتحديد تقوية وحماية هؤلاء المجاهدين، ويجب أن تكون هذه الحماية والموازرة شاملة مستوعبة لكافة الجوانب، فالمساندة السياسية لازمة وكذلك المساندة الإعلامية والاخلاقية والعسكرية. على مسلمي العالم أن يروا في أي من المجالات المذكورة بإمكانهم تقديم العون والاسناد، وعندما تنهيا الفرصة يصبح التكليف مؤكداً، ولا يجوز التخلف عنه.

إن الذين يتصورون بأن في إمكانهم تحرير فلسطين عن طريق أمريكا والمتحدين معها واقعون في خطأ يؤسف له، وهم كمن يعتقد بتحرير فلسطين عن طريق إسرائيل. لا يمكن تحرير فلسطين عبر أمريكا، وإن حركة تنتهي بالاعتماد على حماة إسرائيل حركة منحرفة لا محالة.

هذا الجانب الاول من القضية، فكفاح من أجل تحرير فلسطين يجب أن يأخذ المعنى الحقيقي للكفاح، فهو نقطة التقابل مع الصلح، والصلح في هذه القضية يعني الخيانة، والكفاح واجب، وليس لأحد أن يساوم على حساب الكفاح الواجب. أما الجانب الثاني من هذه القضية فهو: أن الذي يقف وراء فكرة ظهور ونمو هذا الكيان الغاصب ويسعى اليوم من أجل بقائه هو الاجهزة الإعلامية التي صنعتها الصهيونية العالمية وأنصارها في العالم، ومن المؤسف حقاً أن يجد مثل هذا الإعلام كل أسباب الرسوخ والانتشار، ثم يعتمد أسلوباً للعمل الإعلامي، ويتدخل في خلق الأفكار والثقافة العامة للعالم. وأما نحن المسلمين فقد كنا غافلين وعاجزين عن الوقوف على حقيقة الأساليب الإعلامية للعدو، ولم تتمكن من الاستفادة من مختلف السبل لبيان

مِنْ آفَاقِ الْقِيَادَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

حقانية الشعب الفلسطيني.

إن واجب المفكرين والكتّاب والفنانين وجميع العاملين في حقل الإعلام في الاقطار الاسلامية كافة أن ينهضوا مع إحساس كامل بالمسؤولية لأداء هذا التكليف، فمنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ولحد الآن سعى اليهود لملء أنحاء العالم بالمثلثات من الافلام بل الآلاف لأجل إظهار أنفسهم مظلومين، وإظهار الطرف المقابل لهم ظالماً، والحقيقة التي نشهدها هي أن الظلم الذي يمارس بحق الشعب الفلسطيني اليوم لم يقع مثيل له في أي وقت، وعلى أي شعب أبداً، ومن المؤسف أن يظل هذا الظلم محجوباً عن الرأي العام، لذا يجب العمل من أجل فضح ذلك، وبالشكل الصحيح والواقعي، حتى يطلع الرأي العام العالمي ويعرف كل ما يحدث هناك.

إن الابواق الاستكبارية الرسمية التي في قبضة الصهاينة في مختلف أنحاء العالم ولسنوات مديدة تكرر أن هؤلاء [المجاهدون الفلسطينيون] إرهابيون، وغيرها من العبارات، ثم هيأوا كل هذه الترتيبات منذ ستين وسموها سلاماً الآن، أحقاً هذا سلام؟ ثم يقول من يدّعي معرفة الاسلام: إن الاسلام والقرآن دعوانا إلى السلام! أسلام هذا أن يُظلم شخص ثم يجبر على الصلح دون أي تنازل من الظالم؟ إن هذا عار واستسلام ورضوخ يحرمه الشرع الإسلامي ويذمه.

إن العالم الاستكباري وبموجب ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يَبْصُرُونَ﴾ ما زال رغم ما يسمى بتحليلاته العلمية غير قادر على فهم حقيقة الحقوق الانسانية، وهو يخطئ إذ يعتقد أن قضية فلسطين قد انتهت، حيث إننا نعتقد أن القضية الفلسطينية ما زالت على وضعها ولم تنته، وأن ذلك العنصر المفضوح والفلسطيني المظهر - والله أعلم بباطنه - الذي وقّع اتفاقية التساوم لا يمثل أبداً الشعب الفلسطيني، فمن يكون حتى يذهب ويوقع على بيع فلسطين للصهاينة الذين ارتكبوا مثلث الجرائم بحق المسلمين في فلسطين؟ فهل يمكن نسيان قضية دير ياسين وسائر القرى المهذمة بالديناميت فوق

رؤوس أهاليها؟ ومن يقبل أن يُطلب التوقيع ممن لا يمثل أحداً؟

إن على الأمريكيين والصهاينة والعناصر الذليلة والوضيعة التي وقعت اتفاقية التساوم [اتفاقية غزة وأريحا] أن يعلموا أن القبضات الفلسطينية ستستمر في ضرب رؤوس الغاصبين. والابواق العالمية تطبل بأن عدداً من الفلسطينيين فرحوا بذلك، طبعاً يوجد في كل مكان أناس عملاء أذلة وجهلة لا يعرفون ما سيحل بهم غداً، فلماذا لا يُجرى استطلاع للامة الإسلامية؟ فهذه قضية إسلامية. بل دعهم يذهبوا الى العالم العربي - الذي استسلم بعض قاداته لهذه المؤامرة الخيانية بصورة مخزية - ليطلبوا آراء شعوبه حول هذه القضية إن كانوا يعتقدون حقاً بحرية الرأي، (فهنا لا معنى لحرية الرأي وهي ليست من أصول الديمقراطية الغربية) فهل الامة الاسلامية مستعدة للتنازل عن جميع هؤلاء الضحايا الذين قدمتهم قرابين دفاعاً عن فلسطين المحتلة طوال (٤٥) عاماً؟ وهل الامة الاسلامية تتمثل في عدة قادة خونة يقدمون ما تطلبه منهم أمريكا؟ ان الأمة هي أمة إسلامية، والامة العربية بحد ذاتها أكثر شهامة وشجاعة من هؤلاء الخونة. إن الجهاد قد تغلغل الى داخل الشعوب، وقد تبين أن الطروحات القومية عاجزة عن حلّ المشاكل الكبيرة، إن الإسلام هو القادر على حل هذه المشاكل وسوف يحلّها بفضل الله. فالأمة الإسلامية قد أثبتت غيرتها الاسلامية، ولا تسمح بأن يقوم شخص وبقوة على هذه الخيانة. طبعاً يعتبر هذا العصر حساساً وهاماً بلحاظ تنفيذ هذه المؤامرة الكبرى، فقد تقدم العدو خطوة وفتح خندقاً، ولكن ليس هذا فتحاً نهائياً وحقيقياً كما تصوّر. فيجب على العالم الاسلامي أن يردّ عليه ويعيده الى الوراء، وعلى الشباب الغيارى والمؤمنين وعلى المثقفين وعلماء الدين في جميع أنحاء العالم الإسلامي أن يكونوا حذرين وبحجم المسؤولية الملقاة على عاتقهم.

إن الجمهورية الإسلامية في ايران أكّدت مراراً على لسان إمامها العظيم والشعب الايراني أن مرور الزمن لن يفقد الحق مصداقيته ولن يكسب الظلم شرعية، فقبل ٤٥

مِنَ آفاقِ الْعِقَادَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

عاماً وقع ظلم واغتصبت أرض فلسطين، لهذا تجب عودة الارض الفلسطينية دون قيد أو شرط الى الشعب الفلسطيني. وليعلم قادة الدول الاسلامية أن الكيان الصهيوني ومن خلفه أمريكا سوف لن توقفا اعتداءاتهما بعد التوقيع على هذه الخيانة الكبرى، فقد استسلم القوم بعد أن تقدمتا خطوة، وسوف تتقدما خطوة ثانية وثالثة.

إن الاعتداء الصهيوني الآثم أخيراً على صفوف المصلين في مدينة الخليل المحتلة الذي خلف عشرات القتلى ومئات الجرحى يعد إحدى الجرائم المتميزة التي لا تقدم عليها غير أيادي الصهاينة المتعصين والظلمة، لأنها تتناسب مع شقاء وخبث غاصبي فلسطين، إن هذه الفاجعة المؤلمة تذكرنا بالمجازر الجماعية التي ارتكبتها الصهاينة طيلة فترة الاحتلال لفلسطين، مع فارق أن هذه الجريمة الكبرى ترتكب اليوم أمام أنظار كل العالم.

هل ستصحو تلك الضمائر التي تتجاهل ما يجري على الفلسطينيين في دارهم بهذه الحادثة؟ وهل سيدرك أدعياء السلام المزيف مع العدو الغاصب أخطاءهم؟ هل ستخرج الدول والمحافل التي تدعي الدفاع عن حقوق الإنسان والتي تجاهلت طيلة سنوات أكبر الانتهاكات التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني عن صمتها المخزي وتعتزف بما اقترفته من ذنب في الماضي؟ وهل ستعترف أمريكا بأنها شريكة في إراقة دماء الفلسطينيين لأنها كانت ولا تزال تدافع عن حكومة الصهاينة دون قيد أو شرط؟ وهل ستمرّ على هذا الحدث الرهيب مرور الكرام دون أن تهتم بأبعاده أو تأخذ العبرة منه مثلما تغافلت عن الفاجعة الكبرى التي تجري حالياً في البوسنة والهرسك؟

لكن الشعب الفلسطيني سيأخذ العبرة والدرس اللازمين من هذا الحدث، فلقد اتضحت لهذا الشعب المضطهد مرة أخرى هذه الحقيقة المرة، وهي أنه مجبور على الكفاح في داره حتى يتمكن من العيش فيها، وقد اتضح له أن الصهاينة ورغم التصريحات المنمقة التي أدلى بها بعض زعمائهم هم أنفسهم العنصريون المتعصبون

الذين شهدتهم فلسطين قبل خمسين عاماً، ولو أنهم حصلوا على أدنى عذر لارتكبوا أبشع الجرائم ضد المسلمين الفلسطينيين أصحاب الارض. لقد ثبت حتى لأشد الفلسطينيين غفلة أن الانظمة الاستكبارية التي ما انفكت تتحدث عن أمن الصهاينة لا تقيم أدنى أهمية لأمن المسلمين الفلسطينيين، وإلا فإن الجيش الصهيوني ما كان ليجرؤ على ارتكاب مثل هذه المجزرة الرهيبة ضد صفوف المؤمنين المصلين.

إن بإمكان الفلسطينيين أن يتسلحوا ويُنزلوا أشد الضربات بمصالح الكيان الصهيوني الغاصب ومن ثم استعادة حقوقهم بالعيش على ارضهم. فهذا هو الدرس الذي يجب أن يتعلمه الفلسطينيون من أحداث الحرم الابراهيمي الاخيرة.

إن الحكومات والشعوب المسلمة عليهم مسؤولية كبرى، وإن العلاج النهائي يتمثل في طرد الصهاينة الغزاة، وإعادة فلسطين للفلسطينيين بمختلف أديانهم وشعوبهم. وإذا تعذر على الحكومات الاسلامية الدفاع عن الشعب الفلسطيني المظلوم فسيكون بمقدور هذا الشعب وببركة وطاقه الاسلام أن يقوم بما يوفر له الأمن داخل بيته وأرضه. وإنني إذ أواسي شعب فلسطين المظلوم وبخاصة ذوي الشهداء، أسأل الله المتعال الغفران للشهداء والشفاء للجرحى وإصلاح حال المسلمين والحل العادل للقضية الفلسطينية.



دَوْرُ أَهْلِ الْبَيْتِ عليه السلام فِي بِنَاءِ الْكُفْلَةِ الصَّالِحَةِ

٧

قضية الإمام المهدي عليه السلام

سَيِّمَةُ السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ بِأَقْرَبِ الْحَبِيبِ (الْبِرِّ)

تناولت الدراسة في الحلقة السابقة الجانب الوجداني والعاطفي، ودور أهل البيت عليهم السلام في التأكيد على هذا الجانب الحيوي والحساس في بناء شخصية أتباعهم من خلال الاهتمام بأبعاده، وتقديم أفضل التصورات والأسس التي يبني عليها. وفي هذه الحلقة يتناول البحث قضية الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه ودورها الفعّال في الجانب الوجداني والعاطفي، وفي معالجة الواقع وإرساء قواعد الأمل في نفوس أتباع أهل البيت من خلال الطرح الواسع الذي اعتمده الأئمة عليهم السلام لها.

إن قضية الإمام المهدي كقضية الإمام الحسين عليه السلام لها أبعاد كثيرة - في بناء الجماعة الصالحة - عقائدية وأخلاقية وثقافية ومعنوية. والحديث فيها واسع، حيث إنها تمثل تفسيراً للتأريخ يتطابق مع النظرية القرآنية التي ترى وراثته الأرض للصالحين من عباد الله!

(١) تحتاج قضية الإمام المهدي إلى دراسة من جوانب عديدة. منها، الجانب العقائدي، ومعرفة التصوّر =

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^١. وقال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يُعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾^٢.

والذي يعنينا في هذا المقطع من الحديث هو الإشارة إلى الجانب المعنوي والروحي فيها، بالقدر الذي يساهم في فهم منهج الأئمة عليهم السلام في بناء الجانب المعنوي للكتلة الصالحة من خلال قضية الإمام المهدي عليه السلام.

فإن قضية الامام المهدي عليه السلام من وجهة نظر أتباع أهل البيت وشيعتهم تمثل تجسيدا حيا للحقيقة التاريخية سائلة الذكر، ليس على مستوى المستقبل غير المنظور فحسب، بل على مستوى الحاضر المعاش الذي بدأ يجسد هذا المستقبل من خلال وجوده الشريف. لأنهم يعتقدون بحياته وبولادته، وأنه يعيش الآن جميع ظروف الحاضر الصعبة التي يواجهها المسلمون، وشاهد كل التجارب الانسانية والاجتماعية التي تمر بها البشرية ويتفاعل معها، ليحقق حكومة العدل الإلهي المطلق في مستقبل مسيرتها. ويعطي الاعتقاد وضوحاً في الرؤية للتأريخ الانساني، وفهماً للسنن الإلهية في التأريخ التي تحدث عنها القرآن الكريم.

= والدليل على وجوده، وتفسير هذه الظاهرة الفريدة في الحياة الانسانية. ومنها الجانب الثقافي الذي يرتبط بثقافة فكرة الإمامة وتكاملها وانسجامها النظري مع فكرة الإمامة المعصومة واستمرارها والالتزام بأوامرها وتوجيهاتها، وتدخل بذلك في صميم المؤسسات والمناهج الثقافية. ومنها الجانب التأريخي الذي يرتبط بحياته وظروفه السياسية وعلامات الظهور ومستقبل المسيرة البشرية على يده. ومنها الجانب الاخلاقي الذي يرتبط بأخلاقية الانتظار. وهناك المئات من المؤلفات التي تناولت هذا الموضوع بالبحث يمكن مراجعتها. ومنها الرسالة الصغيرة الرائعة التي كتبها سيدنا الاستاذ الشهيد السيد آية الله العظمى محمد باقر الصدر رحمته الله (بحث حول المهدي عليه السلام).

فإن الإنسان المؤمن الذي يمرّ بالآلام والمعاناة والمحن قد يصيبه شيء من الشك، أو الغموض والابهام في مصداقية الحقائق والسنن التاريخية التي تحدّث عنها القرآن الكريم مثل: سنّة الغلبة للصالحين، أو سنّة غلبة الحق على الباطل. قال تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^١. وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^٢. وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾^٣.

ومثل سنّة الاستبدال في الجماعات الانسانية. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^٤. وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾^٥.

ومثل سنّة الارتباط بين مجتمع التقوى ونزول الخيرات والبركات، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^٦.

ومثل سنّة اتجاه الفطرة الانسانية نحو التكامل والإيمان بالله تعالى. ومثل حقيقة خلافة الإنسان لله تعالى، وتحدي الملائكة في خلقه هذا الإنسان. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^٧.

وقضية تطور الرسالات والرسالة الخاتمة.

كل هذه السنن والحقائق قد تواجه هذا السؤال الكبير في ذهن الإنسان المؤمن،

(٢) المؤمن: ٥١.

(٤) المائدة: ٥٤.

(٦) الأعراف: ٨٦.

(١) الاسراء: ٨١.

(٣) التوبة: ٣٣.

(٥) محمد: ٣٨.

(٧) البقرة: ٣٠.

عندما يرى الآلام والمحن والفحشاء قد عمّت الارض، وأن الحق والمعروف لا يعمل به، وأن الباطل لا يتناهى عنه.

ولكن عندما يضع أمام عينيه حقيقة وجود الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه، وأنه سوف يحقق كل هذه الآمال ويجسد مصداقية كل هذه الحقائق والسنن، تصبح الرؤية لديه واضحة بيّنة.

وإلى جانب ذلك كله يمكن أن نجد الأمور المعنوية التالية في هذه القضية المركزية في بناء الجماعة والكتلة الصالحة:

أ- الوضوح في الإحساس بالواجب الإلهي والتكليف الشرعي عند القيام بمختلف النشاطات الإسلامية والدينية، حيث يشعر الانسان المؤمن بالإمام المهدي عليه السلام ووجوده أنه يؤدي أعماله وخدمته، ويمارس جهاده وتضحياته تحت رايته الشريفة ورعايته الخاصة.

ويعطي هذا الوضوح زخماً معنوياً كبيراً للتحرك والعمل، يشبه الزخم المعنوي الذي كان يحصل عليه أولئك المجاهدون الذين كانوا يقاتلون تحت راية الأنبياء والمرسلين، والذين تمكنوا أن يحققوا الانتصارات الكبرى، وعملية التغيير الواسعة في المجتمع الانساني، إذ كلما ازداد الشعور بالقرب من الحقيقة الربانية والرعاية الإلهية والقوة الحقيقية المتمثلة بالله تعالى، كان شعور الانسان بتحقيق النصر وأداء الواجب أكبر، ولا شك أن الاحساس برعاية الإمام المعصوم والانتساب إليه في الحركة والنشاط، يجعل الانسان يشعر بالقرب من الله ورعايته وامتنال أوامره بشكل أفضل.

ب- الاحتفاظ بالمبادئ والقيم والمثل الربانية في المسيرة، والسعي الدائم إلى تحقيق الكمال الانساني بعيداً عن مفاهيم الربح والخسارة الدنيوية والكسب المادي، أو الوصول إلى القدرة والهيمنة.

وإن المسيرة التي تنتسب إلى الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الذي يقوم بهذا الدور

العظيم في التاريخ الانساني - وهو إقامة حكومة العدل الإلهي المطلق - سوف تستوحي منه ومن أهدافه - التي لا بد أن تتحقق - كل هذه المعاني. وبذلك يحتفظ الانسان في مسيرته بهذه الروح المبدئية العالية، التي تتحرك على أساس القيم والمثل الانسانية الرفيعة.

ج - روح الصبر والثبات والتكامل من خلال هذا الصبر والثبات، طوال المعاناة والامتحان، لأن الإمام المهدي - بوجوده الشريف - يمثل القدوة الرائعة العظيمة في الصبر والثبات، حيث أنه يشاهد كل هذه الآلام والمحن ويتعرض لها في حياته، ويتفاعل معها بطبيعة الحال، ومع ذلك فهو صابر محتن في ذات الله، ومن أجل الأهداف العظيمة ينتظر الفرصة للقيام بدوره العظيم، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى، فإن جانباً من تفسير طول الغيبة بعد وجوده الشريف هو أن يتكامل وتتكامل المسيرة من خلال التجارب والمعاناة، بحيث يصبح مؤهلاً للقيام بهذا الدور، وتصبح الأوضاع السياسية والاجتماعية والفكرية والنفسية للبشرية مؤهلة لقيام مثل هذه الحكومة، بسبب هذه المعاناة والتجارب.

وكل ذلك يعطي زخماً عظيماً وروحاً معنوية عالية في الصبر والثبات، والاستفادة منها في مسيرة التكامل الانساني.

د - شعور الانسان المؤمن بفكرة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه بأن مجمل أعماله ونشاطاته هي مساهمة وأداء للدور التاريخي في التمهيد لقيام حكومة العدل الإلهي المطلق، التي يحققها الإمام المهدي عليه السلام.

فبدلاً من أن ينظر الانسان المؤمن إلى تقويم دوره وأعماله ونشاطاته من خلال الأهداف المنظورة في حياته الشخصية القصيرة، أو من خلال ما يمكن أن يحققه أو يتحقق من إصلاحات في المجتمع الانساني، وعندئذ قد يرى كل تلك الاعمال والنشاطات محدودة التأثير والأهداف فيزهد فيها، نرى أن الانسان المؤمن بفكرة الإمام

المهدي إنما يقوم بدوره في سلسلة المراحل والأهداف والاعمال التي تنتهي إلى إقامة ذلك المجتمع الانساني الفاضل.

وهذا بطبيعة الحال يمنح الانسان مستوىً عالياً من الروح المعنوية في التعامل مع نشاطاته وأعماله وتضحياته، حيث يصبح الهدف كبيراً وعظيماً يغطي كل هذه النشاطات والاعمال والجهود والتضحيات مهما كانت كبيرة وصعبة.

هـ - الأمل الكبير الذي لا يتوقف ولا ينطفئ في تحقيق الانتصار مهما طال الأمد، والشعور بأن الشوط سوف يصل إلى نهايته، والتطلع إلى المستقبل بشكل مستمر ودائم. ولا شك أن روح الأمل هي من أعظم المعنويات التي تمد الانسان بالقدرة على الاستمرار في الحركة والثبات والصبر والتضحية.

فالجندي الذي يشعر بأن مسيرته سوف يكملها جنود آخرون يحققون النصر والفتح، يكون على استعداد للتضحية والفداء أكثر بكثير من ذلك الجندي الذي يشعر بأنه بمجرد أن يسقط قد تتوقف المسيرة ويخسر المعركة.

وكذلك الجندي الذي يخوض المعركة ويشعر أن معارك أخرى يمكن أن يخوضها لتحقيق النصر، لا يتوقف عندما يخسر المعركة الاولى، بل يستمر في الحركة. وهذا لا يتوفر إلا في أولئك الذين يؤمنون بفكرة الإمام المهدي عليه السلام الذي يقود المعركة، وسوف يستمر في قيادتها حتى الوصول إلى نهايتها. وهذا مما يجعل الأمل حياً ومتوقداً يدفع الانسان إلى الحركة والنشاط في كل الظروف.

و - الشعور والاحساس بأن جميع المظالم والآلام التي يتعرض لها المؤمنون سوف يتمكنون في النهاية من أخذ الثأر لها، والانتقام من أولئك المجرمين الذين ارتكبوا كل هذه الجرائم والجنايات بحق البشرية.

ومع قطع النظر عن الجانب الشخصي في عملية الثأر والانتقام هذه - حيث إن ذلك يرتبط بفكرة الرجعة ومدلولها السياسي والاجتماعي - فإن هذا الثأر والانتقام يتحقق

بالنسبة إلى أولئك السائرين على خط أسلافهم من المجرمين، حيث يشكّلون أمة واحدة في التفكير والسلوك والأهداف والمصير.

وفكرة الانتقام والثأر - بالمعنى السليم لها الذي يعني الثأر للقيم والمبادئ والحق والعدل - هي فكرة صحيحة وإسلامية تحدّث عنها القرآن الكريم في أكثر من موضع مثل قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنْصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾^١.

كما تحدّثت النصوص عن ذلك عندما وصفت الإمام الحسين عليه السلام بأنه «ثأر الله»^٢، وأن الإمام المهدي يثأر للحسين عليه السلام، ويكون أحد شعاراته هو «يا لثارات الحسين»^٣، وكذلك ما ورد في زيارته الشريفة من قوله: «واقرن ثأرنا بثأره».

وهذا الاحساس والشعور يمثل قوة معنوية كبيرة في داخل الانسان لأن الله تعالى أودع في الانسان هذا اللون من الاحساس، ولذلك ينزع إليه الانسان بشكل طبيعي في حياته ويمثّل أحد الدوافع لمسيرته وحركته ونشاطه.

وقد اهتمّ الاسلام بتوجيه هذا الدافع والاحساس، لكي لا ينحرف فيتحوّل إلى مجرد تعبير عن الغريزة دون أن يصب في مسيرة الكمال الانساني، فوضع الثأر والانتقام والتشقي في طريق القيم والمبادئ - لا لمجرد التعبير عن الاحساس والنزعة - شأنه في ذلك شأن بقية الأحاسيس والغرائز التي اهتم بها الاسلام، عاملاً محرّكاً باتجاه الكمال. ومن الواضح أن مسألة الثأر والانتقام في قضية الامام المهدي عليه السلام ليست انتقاماً وثأراً من الاشخاص، بل هي انتقام وثأر من الواقع الفاسد الذي كان يعيشه الانسان، وذلك بتغييره وتحويله إلى واقع العدل والحق والخير.

(١) التوبة: ١٤.

(٢) مفاتيح الجنان، زيارة وارث، وفيها: «السلام عليك يا ثأر الله وابن ثأره...».

(٣) المجلسي، بحار الأنوار ٤٤: ٢٨٦.

معالجة الضغوط النفسية

العمل على معالجة الضغوط النفسية التي تتعرض لها الجماعة الصالحة من أعدائهم، ومواجهة تفاصيل الحرب النفسية، والهجمة السياسية والاعلامية التي كان يتعرض لها أتباع أهل البيت عليه السلام.

وتلاحظ في هذا المجال -بالإضافة إلى الاثارات والشكوك حول مصداقية مذهب أهل البيت عليه السلام والحصار السياسي والاقتصادي، والمطاردة القمعية التي كان يتعرض لها هؤلاء الاتباع - قضيتان رئيسيتان لهما تأثير نفسي سلبي قوي على الجماعة:

الاولى: هي قلة عدد الجماعة في خضم العدد الكبير الذي كان يكون مجموع الامة الاسلامية، خصوصاً في عصور الأئمة أنفسهم، حيث كانت الجماعة الصالحة تعيش ضمن المجتمعات الاسلامية الواسعة، دون أن يكون لها تواجد مستقل، فكانوا يشعرون بالضيق الروحي والنفسي من هذه الناحية.

وهذه الظاهرة النفسية تواجهها عادة الجماعات القليلة المؤمنة كافة عبر تاريخ الرسالات الالهية، وقد عالجها القرآن الكريم في آيات عديدة عندما تحدّث عن القلة في مثل قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾^١. وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾^٢. وقوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾^٣.

الثانية: الاتهام بالرفض وشق عصا المسلمين والخلاف مع الجماعة... إلى غير ذلك من الاتهامات، التي تحاول محاصرة الجماعة وجعلها غريبة وبعيدة عن المجتمع الاسلامي، حيث تطوّرت بعض هذه الاتهامات إلى الحكم بكفر الجماعة وانحرافها وخروجها عن الاسلام، واستحقاقها للقتل أو النفي.

وكان أتباع أهل البيت يشعرون بالضيق النفسي الشديد بسبب هذا النوع من

(٢) الشعراء: ٦٧.

(١) سبأ: ١٣.

(٣) ص: ٢٤.

الاتهامات والمحاصرة.

وقد حاول الأئمة عليهم السلام معالجة هاتين القضيتين، تارة بشكل مباشر من خلال معالجة هذين العنوانين، وأخرى بشكل غير مباشر، وذلك من خلال التأكيد على أن الاختبار من قبل الله تعالى، والاشارة إلى ما يترتب على ذلك من الأجر العظيم، أو من خلال التأكيد على وحدة مصيرهم مع أتباعهم، أو الاشارة إلى ذكرهم في القرآن الكريم. ونستعرض هنا بعض نماذج الروايات التي تتحدث عن ذلك:

عن محمد بن إسحاق الثعلبي قال: سمعت جعفر بن محمد (الصادق) عليه السلام يقول: «نحن خيرة الله من خلقه، وشيعتنا خيرة الله من أمة نبيه»^١.

وعن محمد بن قيس وعامر بن السمط، عن أبي جعفر (الباقر) عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي يوم القيامة قوم عليهم ثياب من نور، على وجوههم نور، يعرفون بأثار السجود، يتخطون صفاً بعد صف، حتى يصيروا بين يدي رب العالمين، يغبطهم النبيون والملائكة والشهداء والصالحون، ثم قال: أولئك شيعتنا وعليّ إمامهم»^٢.

وعن أبي بصير قال: سمعت جعفر بن محمد (الصادق) عليه السلام وهو يقول: «نحن أهل بيت الرحمة، وبيت النعمة، وبيت البركة، ونحن في الارض بنيان، وشيعتنا عرى الإسلام، وما كانت دعوة إبراهيم إلّا لنا وشيعتنا، ولقد استثنى الله إلى يوم القيامة إلى إبليس فقال: «إن عبادي ليس لك عليهم سلطان»^٣.



(٢) المصدر: ٦٨.

(١) المجلسي، بحار الانوار ٦٨: ٤٣.

(٣) المصدر: ٣٦.

الأوراق المالية الاعتبارية

١

سَيِّدَةُ السَّيِّدَاتِ عَظِيمَةُ الْحَاوِزِي

بحث حول الأمثلة الفقهية الناجمة عن تبدل النقود الحقيقية المتعارفة في
زمن الشريعة من الدينار الذهبي والدرهم الفضي إلى النقود الاعتبارية البحتة
المتعارفة في زماننا هذا.

إنَّ النقد في هذا الزمان أصبح من الأوراق الاعتبارية البحتة، والتي لا قيمة
ذاتية تذكر لها، أي ليست هي سلعة من السلع.



فالتبادل كان - كما يقال - قديماً على شكل المقايضة، أي مبادلة السلع بعضها
بالبعض، كما قد يتفق - ولو نادراً - ذلك في زماننا خاصة في المجتمعات القروية
البسيطة، وقيل: إنَّه كان يجعل أخيراً بعض السلع هو المقياس للقيم، وبمنزلة النقد فراراً
من مشاكل المقايضة غير المنتظمة، فمثلاً في إيران كان يستفاد بهذا الصدد من الغلات،
وفي بلاد أخرى من الأنعام، وفي ثالثة من شيء آخر. إلى أن اهتدوا أخيراً إلى جعل

(١) راجع بالفارسية: كليات علم اقتصاد لباقر فديري أصلي: ١٨٤.

المقياس عبارة عن الذهب والفضة لسهولة الأمر في ذلك على خلاف سائر السلع. وتكامل الأمر بالتدرج بالتقيّد فيهما بسكّة السلطان التي تضمن عدم الغشّ أو الوزن مثلاً، وفي تطوّر آخر انتهى الأمر تدريجاً إلى النقود الحالية المجرّدة عن حال السلعية نهائياً.

وهناك تطوّر آخر في الآونة الأخيرة رائج في البلاد المتطوّرة اقتصادياً، وهو التعامل بالصكوك الشخصية بمقدار ما للشخص من رصيد في البنوك.

والسؤال الذي يطرح نفسه بادئ الأمر بالنسبة لنقود اليوم، هو أنّها هل تلحق بالنقدين الذهب والفضة في تعلق الزكاة بها أو لا؟ والإشكال في إلحاقها بالذهب والفضة ينشأ من نقطتين:

النقطة الأولى: هي المعروف ذكرها من أنّ النقود اختصّت بالذهب والفضة، والتعدّي إلى الأوراق النقدية المألوفة في وقتنا الحاضر قياس لا نقول به، والبحث عن التعدّي من النقدين إلى الأوراق الاعتبارية بدعوى إلغاء العرف الخصوصية، أو عدم التعدّي بدعوى كون ذلك قياساً لا نقول به، يجري أيضاً في إلحاق تلك الأوراق بالنقدين وعدمه في باب الصرف بلحاظ حرمة التفاضل من ناحية، وبلحاظ اشتراط القبض من ناحية أخرى.

والنقطة الثانية: قياس الأوراق المالية المتداولة اليوم بالصكوك الشخصية التي من الواضح عدم تعلق الزكاة بها، حتى ولو فرض أن ما تحكي عنه من الرصيد الموجود في البنك متجسّداً في عين زكوية من ذهب أو فضة، وذلك لأنّ الرصيد خارج من ملك صاحب الشيك ومملوك للبنك ولو بالإقراض، وليست على صاحب الشيك زكاته، ولو أنّ البنك لم يكنه وجعله في سير جريان الأموال فليست عليه أيضاً زكاته، وأمّا الشيك فلا يعدّ مالاً مستقلاً كي تكون على صاحبه الزكاة. فإذا قلنا: إنّ الأوراق المالية الحاكية عن أرصدة لدى الدولة يكون حالها حال تلك الصكوك، والمالية الحقيقية متجسّدة في

تلك الأرصدة لا في هذه الأوراق، فقد يشكل فرض تعلّق الزكاة بها. وهذا الإشكال يسري في الجملة إلى باب الخمس أيضاً فيقال - بناء على تعلّق الخمس بما يملكه الانسان عن طريق الهبة -: إنّه لو وهب أحد أوراقاً ماليةً ممّا هو متعارف اليوم لشخص، فهذه الأوراق ليست المالية الحقيقية متجسّدة بها كي يتعلّق بها الخمس، وإنّما المالية الحقيقية متجسّدة في أرصدها التي لم يقبضها، والهبة مشروطة بالقبض، فهو لم يملك تلك الأرصدة بعد حتّى يتعلّق بها الخمس. نعم أصبح للموهوب له حقّ أن يأخذ الرصيد من الدولة لو قدّم هذه الأوراق إلى الدولة، فكأنّما قد أعطاه الواهب حوالة على ما كان يمتلك لدى الدولة، وهذا الحق حاله حال سائر الحقوق، كحقّ الشفعة أو الخيار أو السرقة التي لم يُفْتِ أحد بتعلّق الخمس بها رغم أنّها تقابل بالمال.

أمّا لو أنكرنا كون هذه الأوراق المالية المتداولة اليوم بمنزلة المستندات والشيكات وقلنا إنّها أصبحت بنفسها أموالاً بالاعتبار تحمل القوّة الشرائية، أو أنّها تعتبر قوّة شرائية متجسّدة، فينتفي في المقام ما عرفته من الإشكال في الخمس، ولكن ينجم عن ذلك إشكال آخر على فتوى معروفة في الخمس، وكذلك ينجم إشكال على الفتوى المعروفة في باب الربا.

أمّا في باب الخمس فقد تعارف القول بوجوب الخمس في أرباح المكاسب حتّى في هذه الأوراق المالية، بمعنى أنّ مَنْ كان رأس ماله المخصّس مائة دينار مثلاً ثم ازداد ماله خلال السنة بالكسب مثلاً فكان في رأس السنة الثانية مائة وخمسين ديناراً، وجب عليه تخميس الزيادة وهي الخمسون ديناراً، في حين أنّه يمكن أن يقال - فيما إذا لم تكن هذه الزيادة أكثر مما حصل من الزيادة في تضخّم الاسعار -: إنّ هذا ليس ربحاً بالمعنى الحقيقي للكلمة بعد أخذ التضخّم بعين الاعتبار، فلا موجب لتعلّق الخمس به. وأمّا في باب الربا فقد تعارف القول بحرمة أخذ الزيادة حتّى في هذه الأوراق

المالية المتعارفة اليوم، فلو اقترض ألف دينار ملتزماً بإرجاع ألف ومائتين مثلاً بعد سنة كان ذلك رياءً. في حين أنه يمكن أن يقال فيما إذا لم تكن الزيادة أكثر من زيادة التضخم في الأسعار بجواز أخذ الزيادة، وذلك ببيان أن هذه الأوراق التي تعتبر مثلية لا يلحظ في مثليتها شكل الورق مثلاً، بل تلحظ في مثليتها قوتها الشرائية، فإذا كان الألف والمئتان بعد سنة يساوي الألف لما قبل سنة في القوة الشرائية أو كان أقل من ذلك فلا زيادة في المقام وليس هناك رياءً.

وقد اتضح بهذا العرض أن فهرسة البحث في المقام مايلي:

- ١- هل تتعلق الزكاة بالأوراق المالية غير الذهب والفضة أولاً؟
- ٢- هل يتعلق الخمس بتلك الأوراق في مثل موارد الهبة أو في الزيادة التي لا تزيد على مقدار التضخم أولاً؟
- ٣- هل يحكمها - كما في باب الصرف - حكم التفاضل في العرف أولاً؟
- ٤- هل يحكم فيها - كما في باب الصرف - بشرط القبض الثابت في العرف أولاً؟
- ٥- هل يمكن تصحيح الزيادة وتخريجها فقهاً في القرض إذا لم تزد على مقدار التضخم أولاً؟ وما هو حكم النقيصة لدى فرض نقصان التضخم؟ وكذلك الحال في باب الضمان من غير ناحية القرض كفرض الغصب مثلاً.

المسألة الأولى: هل تتعلق الزكاة بالأوراق المالية غير الذهب والفضة أولاً؟

وهنا لابد أن نرى أولاً أنه هل يصح قياس الأوراق المالية المتداولة اليوم بالشيكات والسندات، بدعوى أنها تحكي عن أرصدها لدى الدولة أو لدى مصدرها وليست لها مالية مستقلة أو لا يصح ذلك؟ فلو صح ذلك مع افتراض أن الرصيد حتى إذا كان عبارة عن الذهب أو الفضة فإثماً هو في ذمة الدولة أو الجهة المصدرة وليس محتفظاً به

(١) راجع الحلقة السادسة من سلسلة: الإسلام يفقد الحياة، لأستاذنا الشهيد الصدر رحمته الله: ١٠٩.

كأمانة في خزانها، فلا معنى عندئذ لتعلق الزكاة بهذه الأوراق إذ لا مالية لها، ولا بأرصدها لأنها ليست بأعيانها الخارجية ملكاً لصاحب الورق، بل هي في ذمة الدولة أو الجهة المصدرة للورق، ومن الواضح أنه لا تجب على الإنسان زكاة مال أقرضه لشخص آخر.

والواقع أن قياس الأوراق المالية اليوم بالشيكات والسندات قياس مع الفارق، وإن كان هذا القياس صحيحاً في تاريخ سابق.

وتوضيح ذلك: أن الأوراق المالية - كما يرويه المطلعون^١ على تاريخها - مرت بأدوار:

الدور الأول: دور نيابتها عن أرصدها من ذهب أو فضة محتفظ بها في خزانة مصدر الأوراق، تكون هي في الحقيقة ملكاً لأصحاب الأوراق وليست هذه الأوراق إلا حاكية عن تلك الأرصدة.

في هذا الفرض لا ينبغي الاشكال في تعلق الزكاة على أصحاب الأوراق بالأرصدة حينما تكون ذهباً أو فضة، سواء فرضنا مسكوكتين أولاً. أما إذا كانتا مسكوكتين فالأمر واضح، وأما إذا لم تكونا مسكوكتين فلأنهما في الحقيقة المال الرائج، لأن رواج هذه الأوراق يعني رواج ما تحكي عنه وهو الذهب والفضة، فبناءً على أن المقياس في باب الزكاة كونه مالاً رائجاً ولا عبرة بالسكة إلا من ناحية أنها كانت سبباً للرواج فتجب الزكاة في المقام.

ولكن من الواضح اليوم أنه لا يوجد شيء من هذا القبيل في العالم.

الدور الثاني: ما بدا بعد أن أحس المصدرون للأوراق بأنهم غير مضطرين إلى الاحتفاظ بعين الأرصدة بمقدار الأوراق المصدرة، لأن أصحاب الأوراق سوف لن

(١) راجع بالفارسية الدروس التي هيأها الأستاذ الدكتور داودي للتدريس في كلية العلوم الاقتصادية في جامعة الشهيد بهشتي بطهران / الدرس الثاني والثالث.

يطالبوهم جميعاً في وقت واحد بتسليم الرصيد، فتبدّل الاحتفاظ بالارصدة إلى التعهّد بدفع الرصيد لمن جاء بالورق إلى مصدر الأوراق.

وهذا التعهّد يمكن تفسيره بنحوين:

الأول: أنّ الجهة المصدرة تعتبر نفسها مدينة لصاحب الورق بمقدار رصيده.

وهذا يعني أنّ الورق أصبح أيضاً شيكاً وسنداً، لكنّه لا يحكي عن رصيد خارجي كما هو الحال في الدور السابق، بل يحكي عن رصيد الذمة، وعليه يتعيّن القول بعدم تعلق الزكاة على صاحب الورق، لا بالورق إذ لا مالية له، ولا بالرصيد حتى إذا كان ذهباً أو فضّة، لأنّه لا يمتلكه عيناً وإنما يمتلكه في ذمّة الآخرين.

والثاني: أنّ الجهة المصدرة لا تأخذ على ذمتها، وإنما تتعهّد تعهّداً مستقلاً عن ترجمة الورق للرصيد بأنّ من أتى لها بشيء من هذه الأوراق قدّمت له من الرصيد بقدره، وهذا التعهّد يمنح للورق اعتباراً وقيمة لدى الناس باعتبار ثقتهم بالجهة المتعتهدة.

وهذا يعني أنّ الورق إذا لم يصبح شيكاً وسنداً بل أصبح هو أمراً ذا مالية، وتعهد الجهة المصدرة لدفع الرصيد هو حيثية تعليلية لاعتبار المالية اجتماعياً لهذا الورق. وهنا تأتي الشبهة التي تقول بتعلق الزكاة بهذه الأوراق بدعوى التعدي العرفي من مورد النص وهو الذهب والفضّة، وأن تعلق الزكاة بهما إنما كان بلحاظ كونهما النقد الراجح.

أما أنّ أيّ التفسيرين هو المطابق للواقع؟ فقد رجّح استاذنا الشهيد رحمته الله كون التفسير الثاني أصوب، وأيد ذلك بأن استهلاك السند أو سقوطه عن الاعتبار لا يعني تلاشي الدين، في حين أنّ أيّ شخص تتلاشى لديه الورقة النقدية، أو تسقط الحكومة اعتبارها ولا يسارع إلى استبدالها بالنقود الجديدة، لا تعتبر الجهة المصدرة نفسها مسؤولة أمامه عن دفع قيمة الورقة المتلاشية أو التي سقط اعتبارها وتماهل في استبدالها، فكان هناك

تعهداً بدفع القيمة ذهباً لمن يملك الورقة، لا أن الورقة تعطى لمن يملك قيمتها ذهباً في ذمة الجهة المصدرة، ولهذا يميّزها القانون عن سائر الأوراق التجارية من شيكات وكمبيالات، حيث يمنحها صفة النقد والإلزام بالوفاء بها، دون الأوراق الأخرى التي لا تخرج عن كونها مجرد سندات^(١).

أقول: كان مقصوده ﷺ من آخر الكلام بيان تأييد آخر للمقصود، وهو أنه لو أن أحداً أصبح مديناً لشخص بإتلاف مال قيمى له مثلاً فأراد الوفاء بالورق المالى، وجب على المضمون له أن يقبل هذا الورق وليست له مطالبة الرصيد، في حين أنه لو أراد الوفاء ببعض تلك السندات لم تكن لها قوة الإلزام وكان من حق المضمون له الرفض.

وقد يفسر كل هذا بتفسير منح هذه الآثار لهذه الأوراق من قبل الحكومة بالولاية، من دون أن تخرج عن كونها سندات تحكي عن رصيدها، فرغم أنها مجرد سندات وليست أموالاً، أمرت الحكومة بالولاية بوجوب قبول المضمون له إيّاها، وبسقوط حق من يحترق عنده الورق أو يتأخر عن الموعد المقرّر لتبديل النقود المحكوم عليها بالسقوط. وهذا التفسير، وإن كان ممكناً، لكنّه:

أولاً: يكون احتمالاً بعيداً إلى حدّ الاطمئنان بالخلاف، لأنّ الأولى والأنسب لمن يعمل الولاية في مقام نزع آثار السند وتبديلها بأثار المال أن يعمل الولاية بتبديله بالمال مباشرة.

ثانياً: يكون نفس نزع هذه الآثار وتبديلها إلى أثار المال سبباً في اعتبار العقلاء المالية لهذه الأوراق وخروجها عن كونها مجرد سندات.

الدور الثالث: هو الدور المثبت اليوم عالمياً وهو إلغاء التعهد بدفع الرصيد من قبل مصدر الأوراق نهائياً.

(١) راجع البنك اللاروي في الإسلام: ١٥١ طبعة دار المعارف للطبعات، بيروت.

وقد ذكر أستاذنا الشهيد عليه السلام: أننا إذا أردنا أن نعرف أن الأوراق التي أعفيت عن التعهد بدفع الرصيد لدى تقديم الأوراق هل تعتبر سندات أو تعتبر أموالاً، يجب أن نرى حال التعهد الذي فرض في القسم السابق، والذي أعفيت الأوراق عنه في هذا القسم، لكي نرى هل أن ذلك التعهد كان مكيفاً بالتكليف الثاني من التكييفين الماضيين، أي أن الجهة المصدرة للأوراق لا ترى نفسها مدينة أصلاً لأصحاب الأوراق، وغاية ما هناك أنها تعهدت بدفع الرصيد لدى تقديم الأوراق إليها جلباً لثقة الناس بالأوراق؟ أو كان مكيفاً بالتكليف الأول وهو التعهد بالدين؟ أما على التكييف الثاني فقد كانت الأوراق أموالاً قبَّل الإعفاء عن التعهد، فكذلك الحال لا محالة بقَدِّ الإعفاء، وأما على التكييف الأول فالأوراق قبل الإعفاء عن التعهد لم تكن أموالاً بل كانت مستندات وحاكية عمّا في ذمّة الجهة المصدرة للأوراق من رصيد. فعندئذ يجب أن نرى ما هو تفسير قانون الإعفاء وتكييفه من الناحية الفقهية؟ فإن كان قانون الإعفاء يعني إلغاء الديون التي كانت الأوراق النقدية سندات عليها وتحويلها إلى أوراق نقدية إلزامية، فهذا يعني أن تلك الأوراق أصبحت أموالاً باستقلالها، ولم تعد حاكية بحتة، وأما إذا كان قانون الإعفاء يعني السماح للجهة المصدرة بعدم وفاء الدين الذي تمثله الورقة النقدية في نطاق التعامل الداخلي، حرصاً على الذهب وتوجيهاً له إلى التعامل مع الخارج، مع الاعتراف قانونياً ببقاء الديون التي تمثّلها تلك الأوراق، فلا تخرج بذلك عن حكمها قبل الإعفاء^١.

أقول: إن احتمال تفسير الإعفاء عن التعهد بالشكل الذي يجتمع مع فرض حكاية الأوراق عن الدين في ذمّة الجهة المصدرة لها، غير موجود في يومنا الحاضر نهائياً، وذلك لأنّه حتى لو فرض بقاء التعهد في التعامل الخارجي، أو في تعامل الدولة مع

(١) راجع: البنك اللاروي في الاسلام: ١٥١ و ١٥٢ طبعة دار المعارف للمطبعات - بيروت.

الخارج، أو فرض في مورد ما ثبوت التعهد في التعامل الخارجي صدفة، فليس هذا تعهداً بكمية معينة من ذهب أو فضة أو أي شيء آخر، بل هو تعهد بدفع ما يناسب ذلك المبلغ من النقد في كل زمان بحسبه. وبكلمة أخرى: إن المفهوم من الرصيد للأوراق في الوضع العالمي اليوم لم يعد ما كان سابقاً من مبلغ مشخص ومعين في ذمة شخص أو جهة، وإنما رصيد أوراق كل دولة عبارة عن مجموع ما تمتلكه من القوة الاقتصادية من سلع أو أعمال، لا بمعنى أن مبلغاً معيناً منها يكون محكياً بمبلغ معين من هذه الأوراق، كما هو شأن السندات، بل بمعنى أن هذه الأوراق تمكن صاحبها من امتلاك مبلغ من تلك الأمور مختلف المقدار وفق ما تقتضيه قاعدة العرض والطلب ومدى ازدهار الوضع الاقتصادي للبلاد، أي أن أي شيء يفترض رصيدها لهذه الأوراق فهو بذاته محكوم، حتى في عالم رصيده في أي تجارة داخلية أو خارجية، ومن قبل أي شخص أو جهة، لنظام التضخم وتصاعده أو تخفيفه بالقياس إلى الأوراق، في حين أن شيئاً ما لو كان رصيدها لهذه الأوراق بمعنى سندية الأوراق له وحكايته عن ثبوته في ذمة الدولة أو مصدر الأوراق، لما كان من المعقول نزول مبلغ ذلك الشيء باستمرار أو صعوده أحياناً، أي أن سنداً ما إذا كان حاكياً عن مثقال من الذهب في ذمة أحد لكان يبقى ما في ذمته - المحكي بهذا السند دائماً - هو مثقالاً من الذهب لا يزيد ولا ينقص، وأنت ترى أن الحال في أرصدة الأوراق ليست كذلك، فأي شيء يفترض رصيدها لها يكون الرصيد عبارة عن مجموع ما يمتلكه البلد من ذلك الرصيد مهما قل أو كثر في أي زمان من الأزمنة، وعلى هذا الأساس ترى أنه مهما ازدهر اقتصاد بلد ما وكثرت فيه الخيرات والبركات قويت أوراقهم المالية في تجارة داخلية أو خارجية، ومهما ضعفت قوتهم الاقتصادية وقلت الخيرات ضعفت أوراقهم المالية، كما أن تلك القوة الاقتصادية بأي ميزان كانت توزع على مجموع تلك النقود، فلو طبعت الدولة أو الجهة المصدرة لها مبلغاً أكثر انخفضت قوة النقد. فلا ينبغي أن نفتقر بكلمة الرصيد أو بكلمة السند لو

سميت هذه الاوراق في مصطلح مصرفي بالسند، أو سُميت الامتعة والسلع أو مجموعة القوة الاقتصادية في البلد بالرصيد.

وعليه فلم يعد خافياً اليوم أنَّ الاوراق المالية الرائجة في العالم تعتبر هي الأموال، ولا تعتبر حاكية عما في الذمم.

ومن هنا تأتي شبهة تعلق الزكاة بها بدعوى التعدي العرفي من مورد النص - وهو الذهب والفضة - إلى كل ما أصبح نقداً رائجاً، وأنَّ العرف يفهم أنَّ تعلق الزكاة بالذهب والفضة لم يكن لخصوصية فيهما، بل لكونهما نقدين رائجين، كما قد يشهد لذلك اشتراط الزكاة فيهما بكونهما مسكوكين أو بكونهما نقدين رائجين.

وفي مقابل ذلك يُدعى أنَّ هذا التعدي قياس، وأنَّ احتمال الفرق وارد في المقام. ولبسط الكلام شيئاً ما في هذا الموضوع نقول:

إنَّ الشريعة الاسلامية فرضت ضرائب على أصحاب الاموال، وجعلت قسماً منها ملكاً للدولة الاسلامية أو قل الإمامة، وقسماً منها ملكاً للفقراء والمحتاجين، ومصارف عامة أخرى. قال الله سبحانه:

١ - ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^١

٢ - ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^٢

٣ - ﴿وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ * مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ

وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَإِذَا السَّبِيلَ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ
وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١﴾

٤ - ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ
وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^١.

٥ - ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ
وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَإِذَا السَّبِيلَ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^٢.

ولعل الفارق العملي بين ما جعل من الضرائب لمثل عنوان الفقراء والمحتاجين وهي
الصدقات، وما جعل منها للحكومة أو الإمامة، أو جعل لها سهم فيه وهو الخمس
والفداء والأنفال، مفقود في كثير من الموارد، لأن حاجات الحكومة عبارة أخرى عن
نفس تلك الموارد العامة.

إلا أن أبرز فارق عملي بينهما هو: أنه لم يسمح لقريب الرسول ﷺ أن يستفيدوا
لحاجاتهم الشخصية من الصدقات، وسمح لهم أن يستفيدوا من غيرها، والدليل على
هذا التحريم روايات كثيرة من قبيل ما ورد بسند تام عن محمد بن مسلم وأبي بصير
وزرارة عن الباقر والصادق ﷺ عن الرسول ﷺ في حديث: «وإن الصدقة لا تحل لبني
عبد المطلب»^٣. وما ورد بسند تام أيضاً عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله ﷺ قال: «لا
تحل الصدقة لولد العباس ولا لنظرانهم من بني هاشم»^٤.

والذي يبدو من لحن أكثر الروايات^٥ أن المصطلح الذي كان يذكر في مقابل مصطلح
الخمس لدى بيان حرمة أخذ الواجب منه على ذوي القربى هو مصطلح الصدقة لا

(١) الحشر: ٦ - ٧.

(٢) التوبة: ١٠٣.

(٣) التوبة: ٦٠.

(٤) وسائل الشيعة ٦، ب ٢٩ من المستحقين للزكاة ح ٢: ١٨٦.

(٥) نفس المصدر ح ٣.

(٦) راجع وسائل الشيعة، ٦، ب ٢٩ - ٣٤ من أبواب المستحقين للزكاة.

مصطلح الزكاة، وكان مصطلح الزكاة في تاريخ نزول القرآن والذي قرن بالصلاة في الآيات الكثيرة على الأكثر عبارة عن مطلق الضريبة الواجبة، وإن استقر الاصطلاح أخيراً على ترادف كلمة الزكاة للصدقة الواجبة مقابل الخمس.

ولا إشكال في أن أحد ملاكات الضريبة في الاسلام أو أهمها هو سدّ الحاجات المالية لدى الحكومة، أو لدى الفقراء والمحتاجين أو سائر الحاجات الاجتماعية، وقد ورد في الأحاديث المتعددة: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ فَرَضَ لِلْفُقَرَاءِ فِي مَالِ الْأَغْنِيَاءِ مَا يَسَعُهُمْ، وَلَوْ عَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَسَعُهُمْ لَزَادَهُمْ»^١ ويشهد لذلك أيضاً نفس العناوين المذكورة في الآيات للصرف عليها كالفقراء والمساكين، وقد يشهد له أيضاً ما في آية الفیء: ﴿كَفَى لَا يَكُونُ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾^٢ كما يحتمل أن تكون هذه العبارة إشارة إلى ملك آخر وهو عدم نمو الثروة نفسها بشكل هائل لدى الأغنياء.

ومن المحتمل وجود ملك آخر أيضاً في زكاة النقود وهو منع النقد عن الركود مما قد يسبب اختلالاً في الوضع الاقتصادي في البلاد، وقد تشعر بذلك كلمة الكنز في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالنَّوْصَةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُخْمِنُ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ تَتَكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ تَأْكُفُونَ﴾^٣.

وقد يكون هذا هو السبب فيما ثبت نصاً وفتوى، من أن تعلق الزكاة بالذهب والفضة مشروط بكونهما مسكوكين أو نقدين رائجين، أما إذا كانا حلياً مثلاً لم تكن عليهما زكاة، فلعل هذا بسبب أنه ليس نقداً كي يكون كنزه سبباً لركود شيء من النقود ومنعه عن سير العمل في التجارة، وقد ورد في بعض الأحاديث: «أَنْ مِنْ سَبَكٍ مِنَ الدَّرْهِمِ وَالْدِينَارِ حَلِيّاً أَوْ نَحْوِهِ فَرَاراً مِنَ الزَّكَاةِ لَمْ تَجِبْ عَلَيْهِ الزَّكَاةُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ مَنَعَ نَفْسَهُ مِنْ رِبْحِ الْمَالِ أَكْثَرَ مِمَّا

(١) راجع الوسائل ج ٦ ب ١ من أبواب ما تجب فيه الزكاة ح ٢: ٣ ورواية أخرى في نفس الباب.

(٢) التوبة: ٣٤ - ٣٥.

(٣) الحشر: ٧.

منع من حقّ الله الذي يكون فيه^١. فلعلّ هذه الروايات تشير إلى أنّ كون تحويل النقد المسكوك إلى ركاز لا يمكن التعامل به، لمّا كان خلاف طبع الانسان لكونه مانعاً عن امتلاكه السيولة النقدية الآتية، اكتفت الشريعة بالمقدار الذي يحصل لذلك من الردع عن هذا التحويل، حيث يضرّه أكثر ممّا يربحه، ولم توجب عليه الزكاة فيما لو فعله صدفة، أمّا الذي يكثر صدوره من الانسان فهو كنز النقد بوصفه نقداً رائجاً أو مسكوكاً فمنعت الشريعة عن ذلك بفرض الزكاة.

ويشهد لهذا الاحتمال - أعني كون ملاك الزكاة في النقدين المنع عن ركود النقد الراجح - ما ثبت نصّاً وفتوى من شرط الحول في زكاة النقدين، فلعلّ السرّ في ذلك أنّه إذا أدخل الشخص نقوده في سير التجارة والتبادل والمعاملات خرجت عن كونها كنزاً، ولم يحصل الركود في قسم من النقد، ولهذا لم يوجب عليها الاسلام الزكاة.

إلا أنّ شرط الحول ليس مخصوصاً بالنقود بل هو موجود في الأنعام أيضاً. أمّا التعدي عن الذهب والفضّة إلى الأوراق الاعتبارية المألوفة اليوم في ثبوت الزكاة عليها، فقد يخطر بالبال القول: إن الجزم بإلغاء الخصوصية أو حكم العرف بذلك، يتوقف على فرض كون الملاك المفهوم في زكاة النقدين منحصراً بمثل سدّ حاجات المحتاجين وسائر المصارف العامة، مما هو مشترك بين النقدين والأوراق المالية المتداولة اليوم تمام الاشتراك. أمّا إذا احتملنا وجود ملاك آخر في المقام وهو المنع عن الكنز وعن ركود مبلغ من النقود وإيقاف السيولة النقدية، فمن المحتمل وجود الفرق بين مقاييس تحسين الاقتصاد في الاقتصاد القديم الذي كان النقد الراجح فيه عبارة عن الذهب والفضّة، ومقاييسه في الاقتصاد المتطوّر القائم على أساس الأوراق التي يكون قوامها بالجعل والاعتبار، سواء فرض لها رصيد كامل أو ناقص أو لم يفرض لها رصيد، وذلك على أساس المحدودية الطبيعية في النقود الطبيعية أي الذهب والفضّة وقتئذ،

(١) راجع الوسائل ج ٦ ب ١١ من زكاة الذهب والفضة.

وانكسار هذه المحدودية إلى حد كبير في النقود الاعتبارية في يومنا هذا. أمّا مع فرض فقدانها الرصيد أو فقدانها الرصيد الكامل فالأمر واضح. وأمّا مع فرض تقيّد الدولة بالرصيد الكامل فلأنّ للدولة الحرية في تعيين الرصيد، فإن قلّت عندها كمّيّة الذهب مثلاً كان لها المجال الواسع في تبديل الرصيد بمعدن آخر كالنفت مثلاً.

إذاً فقد يكون بالامكان الحفاظ على السيولة اللازمة في البلد للنقد رغم كثر بعض الناس لبعض النقود بكميّات غير واسعة. ومن الواضح أنّ النصاب الأوّلي للزكاة لا يعتبر في مقياس اقتصاد اليوم كمية واسعة، والمقدار المضّر من تجميد النقود يختلف اختلافاً واسعاً باختلاف الظروف والأزمات والأمكنة في عصر الاقتصاد الحديث، بل قد يتفق أن تقتضي مصلحة الاقتصاد في البلد تجميد الدولة لبعض النقود وتقليل السيولة المؤدّية أحياناً إلى التضخم في الاسعار، المضّر بالطبقة الفاقدة لتلك السيولة في نقودها.

أمّا لو قلنا بأن أصل تعيين مورد الزكاة ومبلغ النصاب والمقدار الواجب إخراجه ليس عدا أحكام ولائية يكون تشخيصها في كلّ زمان ومكان بيد وليّ الأمر، وإن كان أصل الزكاة على الاجمال حكماً إلهياً، فعندئذ ينحلّ هذا الاشكال الذي ذكرناه، ولكننا في هذا الفرض لسنا بحاجة إلى التعدي من النقدين إلى الأوراق المتداولة في زماننا بحجّة إلغاء العرف للخصوصية^١، بل نقول ابتداءً: إن تعيين الأعيان الزكوية في الأمور التسعة المعروفة إثمًا كان حكماً ولائياً من قبل رسول الله ﷺ، ومن حقّ وليّ الأمر في كل زمان أن يضع الزكاة على أيّ جنس يرى المصلحة في وضعها عليه ومنها النقود الورقية المألوفة في زماننا.

ويشهد لولائية تفاصيل الأحكام في الزكاة أمران:

أحدهما: لحن عديد من روايات الزكاة حيث تقول: «وضع رسول الله ﷺ الزكاة على

(١) إلّا بناءً على كون طريقة إعمال الولاية بحاجة إلى المؤشّرات في الشريعة، فقد تصلح الاحكام الولائية في الاجناس الزكوية مؤشّرات بنكته إلغاء العرف خصوصيته إلى جعل وليّ الأمر في كلّ زمان ما يرى فيه المصلحة من الضرائب.

تسعة وعفا عما سوى ذلك»^١.

إلا أن يقال: إن وضع رسول الله ﷺ وعفوه لا يدل على ولائيه الحكم لاحتمال أنه كان ﷺ مأذوناً من قبل الله تعالى في تشريع بعض التفاصيل، كما يشهد لذلك بعض الروايات، من قبيل: ما رواه الصدوق بسنده إلى زرارة قال: قال أبو جعفر ﷺ: «كان الذي فرض الله على العباد عشر ركعات فيهن القراءة وليس فيهن وهمٌ يعني سهواً، فزاد رسول الله ﷺ سبعاً وفيهن الوهم وليس فيهن قراءة، فمن شك في الأوليتين أعاد حتى يحفظ ويكون على يقين، ومن شك في الأخيرتين عمل بالوهم»^٢. وما ورد أيضاً بسند تام عن القُضيل بن يسار عن أبي عبد الله ﷺ في موارد عديدة من تشريع الرسول ﷺ كالركعتين الأخيرتين، وكتحريم المسكر من كل شراب وإن لم يكن خمراً، وغير ذلك^٣.

وثانيهما: ما ورد من وضع أمير المؤمنين ﷺ الزكاة على الخيل، فعن محمد بن مسلم وزرارة بسند تام عنهما ﷺ قالوا: «وضع أمير المؤمنين ﷺ على الخيل العتاق الراعية في كل فرس في كل عام دينارين، وجعل على البراذين ديناراً»^٤. هذا بناء على أن حق التشريع الدائم إن كان لغير الله فهو للرسول ﷺ فحسب للإمام، أو أنه لو قلنا بثبوت هذا الحق للإمام أيضاً، كما قد يستشعر من بعض روايات أصول الكافي، باب التفويض إلى الرسول وإلى الأئمة، فلا إشكال فقهيّاً في أن زكاة الخيل أو الضريبة فيه لو كانت واجبة لم تكن حكماً دائماً، فهي لو كانت، كانت حكماً ولائياً خاصاً بزمان إمامنا أمير المؤمنين ﷺ ولهذا لم يُفتَ أحد من الفقهاء بوجوبها. ومن المحتمل أنه لم تكن هذه الضريبة ملحقة بالزكاة في كل الأحكام بما فيها حرمة الأكل على ذوي القربى. وعلى أي حال فحتّى لو لم نقبل كون تفاصيل أحكام الزكاة المثبتة في الفقه أحكاماً ولائية، فلا

(١) راجع الوسائل ج ٦ ب ٨ مما تجب فيه الزكاة.

(٢) وسائل الشيعة، ٥، ب ١ من الخلل الواقع في الصلاة ح ١: ٢٩٩.

(٣) راجع: أصول الكافي ج ١ باب التفويض إلى الرسول والأئمة ح ٤: ٣٦٦ - ٣٦٧.

(٤) وسائل الشيعة، ٦، ب ١٦ مما تجب فيه الزكاة ح ١: ٥١.

ينبغي الاشكال - بناءً على الايمان بمبدأ ولاية الفقيه - أنَّ من حقّ وليّ الأمر أن يضع ما يراه مصلحة اجتماعية من الضرائب على الأموال وإن لم تكن زكوية بالأصل !
هذا وبناءً على كون تفاصيل أحكام الزكاة إلهية لا ولائية نصطدم في التعدي إلى الأوراق المالية المتداولة اليوم، ودعوى إلغاء الخصوصية عرفاً بمشكلة أخرى، وهي كيفية تعيين النصاب هل تقاس بقيمة الذهب أو بقيمة الفضة؟

وهناك نقطة أخرى للتشكيك في الجزم بإلغاء الخصوصية من النقدين أبرزها بعض المعاصرين، وهي إبداء احتمال كون الخمس في أرباح المكاسب مجعولاً من قبل الأئمة عليهم السلام حينما رأوا انحراف الزكاة عن مسيرها وصيرورتها في مسير إعاشة الجبابرة، وأن الخمس حقّ وحدانيّ للإمام بما هو إمام يسدّ به مواضع الحاجة إلى الزكاة، فلم يبق داع إلى توسيع الزكاة لغير الأجناس التسعة !

وهذا مبنيّ على عدم ثبوت خمس أرباح المكاسب في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله والدخول في هذا البحث لا يناسب هذه الوريقات.

هذا وقد تلخّص من كلّ ما ذكرناه: أن التعدي في باب الزكاة من النقدين إلى الأوراق المالية الاعتبارية المألوفة اليوم، بعد تسليم كون تفاصيل أحكام الزكاة أحكاماً إلهية لا ولائية، لا يخلو من إشكال.

إلا أن المهم هو أننا نعتقد على أساس مبدأ الولاية بأنّ من حقّ وليّ الأمر فرض الضرائب على الأموال في حدود ما يراه من المصالح الاجتماعية وليس من المهم أن تصبح هذه الضرائب محكومة بحكم ما اصطلحت عليه الزكاة من حرمة صرفها على ذوي القربى.

«يتبع»

(١) ولو قلنا بحاجة كيفية إعمال الولاية إلى مؤشرات في الشريعة، فقد يفرض جمل الضريبة على الخيل من قبل إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام مؤشراً في المقام إلى ذلك.

(٢) كتاب الزكاة للشيخ المنتظري المجلد الأول: ٢٨٢.

إِطْلَالَةٌ عَلَى دَلَالَةِ حَدِيثِ الثَّقَلَيْنِ

١

الْفَسْمُ الْعَقَائِدِي فِي الْمَجْمَعِ الْعَالَمِيِّ لِأَهْلِ الْبَيْتِ

بين يدي البحث:

إنَّ من سعادة المرء أن يمتلك ذهنًا وقادًا وقلبًا واعيًا، وأن يتطلَّع نحو الحقيقة ويتحلَّى بالاخلاص والواقعية، والزائد والميزان للمرء في هذه الأمور عقله، يعرض عليه كل ما يمرُّ أمام ناظره أو يطرق مسامعه، ليميز بين الغث والسمين، بين الواقع والخيال، بين الوهم والحقيقة، وينزه خزانه أفكاره ومعتقداته عن الأمور التي لم يقم عليها الدليل ولم يدعمها البرهان.

لكننا - مما يؤسف له - كثيراً ما تجرُّنا العاطفة وتدفعنا العصبية فنعكس الأمر، ونأخذ الفكرة فتتدبَّر بها، إما لكونها دين آبائنا، أو لأنها عقيدة ملوكنا وزعمائنا وأولياء نعمتنا، أو لأنها تناسب أهواءنا، ثم نبدأ بعد ذلك بالبحث والتفتيش عن دليل يناسب النتيجة ويدعم تلك الفكرة.

هذا الأسلوب من التفكير الذي ترتَّب فيه النتائج قبل المقدمات، غالباً ما يقود الإنسان نحو التلفيق والتمسُّك بالطحالب للوصول إلى الغاية، لأنها ليست تحصيل

القناعة - والمفروض أنها حاصلة - وإنما الغاية تحصيل وسيلة التسويغ والاقناع. ولا شك أن الاعتقاد على هذا النحو من التعاطي مع الأفكار والمعتقدات يؤدي إلى غلبة الهوى وعمى البصيرة، والتعصب وإنكار الواضح من الدلالات والجلي من البينات. وتزداد الخطورة عندما تكون المسألة ذات حساسية عالية، وأهمية كبيرة، ومساس بالنظام العام للمجتمع الإسلامي، فالجدير بنا في مثل هذه القضايا أن نكون أكثر تثبناً، وأدق نظراً، وأشد إنصافاً، وأن نتقبل النتائج التي يقود إليها الدليل والبرهان بحلاوتها ومرارتها.

وإذا كانت الهيمنة السياسية في كثير من الأدوار التاريخية حدثت من حرية الكلمة، ولعبت دوراً في فرض بعض الاتجاهات الفكرية، والقضاء على اتجاهات أخرى تحت طائلة القهر والتهديد، فنحن اليوم - ولله الحمد - في عصر فرض أنه عصر الحريات الفكرية والعقائدية.

وقضية الإمامة العامة وقيادة الأمة من أكثر القضايا مساساً بحياة الشعوب، وأشدّها ارتباطاً بمعاناتهم وأمنهم واستقرارهم وانتظام مصالحهم، وقد بلغ الاختلاف حولها حدّاً لم يبلغه في سواها، فأحرى بنا أن نعتد - في هذه المسألة - الدقة والانصاف، ونحكم العقل والشرع، ونتحمّل مسؤوليتنا الكبرى تجاه الأمة الإسلامية، ولا نؤخذ فيها بالعصية والمصالح الفردية. ولنحلّ هذه المشكلة على أساس من صدق الإيمان ودقّة العلم والاخلاص، ولننّخذ ذلك منهجاً، فإنه - عندئذ - لن تستعصي علينا عقدة، ولن يقف أمامنا عائق، وهذا أفضل الوسائل لتحقيق التقارب الفكري بين المسلمين وتوحيد صفوفهم، في زمان هم أحوج - أكثر من أي وقت مضى - إلى رص الصفوف ونبذ الفرقة. فأعداء الاسلام يترصّون بنا الدوائر، ويعبرون على خلافاتنا ونزاعاتنا إلى ثرواتنا وخيراتنا، ويسعون ليل نهار للقضاء على معالم ديننا وأصالة فكرنا.

ومنهج النص في الإمامة أحد المناهج المطروحة وهو يُشكّل الأساس الذي يبتني

عليه التشيع، ويتفرع عنه العديد من الأمور التي تميز هذا الاتجاه فقهاً واعتقاداً. وقد تعرض هذا المنهج لحملات التشويه والتشكيك. ونحن هنا نريد أن نساهم في بيان الحقيقة، ونعالج واحداً من الأدلة التي يستدل بها أصحاب منهج النص على مذهبهم، وهو «حديث الثقلين» الذي رواه عن رسول الله ﷺ جمع كبير من المحدثين العظام وأصحاب المصنفات، وقد بلغ رواته من الصحابة ما يزيد عن ثلاثين صحابياً وتواتر في جميع طبقاته.

لسان الحديث:

ورد الحديث بألفاظ عديدة ننقل بعضها:

١- في رواية لزيد بن أرقم: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»^١.

٢- وفي رواية زيد بن ثابت: «إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض (أو إلى الأرض) وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^٢.

٣- وفي رواية أبي سعيد الخدري: «إني أوشك أن أدعى فأجيب وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله عز وجل وعترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»^٣.

(١) سنن الترمذي ٥: ٦٢٢، والبيهقي، مصابيح السنة ٤: ١٩٠، ومصادر أخرى.

(٢) الهيثمي، مجمع الزوائد ٩: ١٦٣، والسيوطي، الدر المنثور ٢: ٦٠، ومسنند أحمد ٥: ١٨١.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى ٢: ١٩٤، والحموي، فرائد السمطين ٢: ٥٣٨، وابن المغازلي، مناقب أمير المؤمنين: ٢٣٥، والقندوزي، بنابيع المودة: ٣١، والصدوق، معاني الأخبار: ٩٠، ومسنند أحمد ٣: ١٧.

وغيرها مما لا مجال لاستيعابه في هذه المقالة، وهي تشترك في المعنى، والكثير منها يعبر بالثقلين، ولأجله غلب على الحديث اسم حديث الثقلين^١.

سند الحديث:

لا إشكال في تواتر حديث الثقلين عن رسول الله ﷺ في جميع طبقاته، وليس هناك مجال للتردد في صحته، وإذا فرض إمكان التشكيك فيه فلن يسلم أي حديث آخر، فأين هي الأحاديث التي نقلت لنا بهذه الطرق وبهذه السعة؟

وقد اعترف بتواتره وصحته عدد كبير من المحققين، فمن أشهرهم: محمد بن جرير الطبري، ومحمد بن إسحاق، والقاضي الحافظ أبو عبد الله المحاملي، والحافظ الذهبي، والحافظ أبو بكر الهيثمي، والحافظ ابن كثير، والحافظ جلال الدين السيوطي، والعلامة المناوي، والمحدث ابن حجر الهيثمي وغيرهم^٢، ورواه أغلب أهل الحديث وفي مقدمتهم مسلم بن الحجاج القشيري في جامعه الصحيح، وأحمد بن حنبل في مسنده، والترمذي في جامعه الصحيح^٣.

يقول الاستاذ أبو علم: «وحديث الثقلين من أوثق الأحاديث النبوية وأكثرها ذبوعاً، وقد اهتم العلماء به اهتماماً بالغاً...»^٤.

وأما تواتره عند الشيعة الإمامية فأمر لا يقبل الشك، وصرح بذلك كبار علمائهم ومحدثيهم، يقول الحر العاملي: وقد تواتر بين العامة والخاصة عن النبي ﷺ أنه قال: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي»^٥.

وبعد هذا فالجدير أن لا يلتفت إلى شواذ الناس الذين حاولوا التشكيك في صحته

(١) راجع مجلة «رسالة الثقلين» العددين: الخامس والسادس، تحقيقات، رواة حديث الثقلين.

(٢) راجع: مجلة «رسالة الثقلين» العدد السابع، تحقيقات، مصادر حديث الثقلين.

(٣) تقدم تخريج الحديث في هذه المصادر. (٤) توفيق أبو علم، أهل البيت: ٧٨.

(٥) وسائل الشيعة ١٨: ١٩ و١٥١.

وتوهموا ضعفه، كابن الجوزي الذي تعجب منه كل من تأخر عنه حتى سبطه، ونسبوه إلى الوهم والغفلة^١.

دلالة الحديث:

حديث الثقلين من أظهر الأدلة التي تستند إليها الشيعة الامامية في حصر الإمامة في أهل البيت (عليه السلام)، وفي عصمتهم من الأخطاء والأهواء والزلل. وهذا يجعل البحث في دلالاته على مستوى من الأهمية، ونحن سنستعرض أولاً مفردات الحديث ثم نتقل إلى الكلام في دلالاته على المطلوب.

لمن الخطاب؟

يظهر من نصوص الحديث أن الرسول ﷺ كرّر هذا الحديث في عدة مواطن وفي أكثر من مناسبة، إلا أنها جميعاً على ما يبدو كانت في السنة الأخيرة من عمره الشريف، والقدر المتيقن من هذه المواطن:

- ١ - يوم عرفة من حجة الوداع (كما في رواية الترمذي).
- ٢ - في مسجد الخيف في منى أيضاً في حجة الوداع (كما في رواية النعماني في كتاب الغيبة وغيره).
- ٣ - في غدير خم حال عودته من حجة الوداع (كما في رواية الطبراني في معجمه الكبير، والنيسابوري في المستدرک، ومسلم في الصحيح وغيرهم).
- ٤ - في مرضه الذي توفي فيه أو يوم وفاته ﷺ (كما في الكثير من النصوص).

(١) راجع تذكرة سبط ابن الجوزي: ٣٢٢، وابن حجر في الصواعق المحرقة (المطبعة الميمنية): ١٣٦، وقد ذكر أهل الجرح والتعديل أن ابن الجوزي لا يؤخذ بكلامه حول الأحاديث، وأنه كثير الغلط فيما يصنفه، وأنه له وهم كثير، وأنه حاطب ليل .. إلى ما هنالك من الأوصاف، راجع لسان الميزان ٢: ٨٣ وتذكرة الحفاظ ٤: ١٣٤٧، وطبقات الحفاظ: ٤٨٠، وتدريب الراوي ١: ٢٣٥، وغيرها.

وهناك العديد من النصوص لم تحدد المكان والزمان، وفي بعضها أنه قال ذلك عند عودته من سفر له، وفي بعضها أنه قاله في خطبة صلاة الجمعة، فربما كانت مواضع أخرى غير تلك المتقدمة، وربما كانت من ضمنها.

ومنه يظهر أن الخطاب لجميع المسلمين لا لفريق دون فريق، وقوله ﷺ: «إني تارك فيكم» يدل على أنه ﷺ كان في مقام إعلان وصيته، خاصة مع ما ورد من القرائن العديدة التي توحي بأنه ينعى نفسه، فقد وطأ لهذه الوصية بقوله: «أوشك أن أدعى فأجيب..»^١ أو «كأنني قد دعيت فأجبت..»^٢ وما بمعناه، وفي بعض النصوص: «إني امرؤ مقبوض وأوشك أن أدعى..»^٣ إلخ. مما لا يدع مجالاً للشك في كونه ﷺ ذكر ذلك في سياق بيان وصيته الأخيرة، ويؤكدّه أيضاً التعبير بالخليفتين بدل الثقلين أو معهما^٤.

ويقطع النظر عن هذه القرائن فإن لفظ «إني تارك فيكم..» أو «إني مخلف..» نفسه يُعدّ من التعبيرات العرفيّة التي تُستعمل في مجال الوصية، وإرادة الاستخلاف فإن المسافر إذا ترك أهلاً وعيالاً يخاف عليهم، أو ترك تجارة دائرة أو صناعة قائمة، أو كان المسافر حاكماً وترك رعيته، ففي جميع هذه الموارد إذا قال: «إني تارك فيكم فلاناً، يفهم من ذلك الاستخلاف مدّة غيابه. وأوضح في إرادة ذلك ما لو صدر من المحتضر على فراش الموت. فالرسول ﷺ - وهو ينعى إلى المسلمين نفسه - يجد نفسه مسؤولاً عن مستقبل الإسلام والمسلمين، وهو الذي نذر حياته في سبيل نشر الرسالة وترسيخ دعائمها، وهو أحرص الناس على بقائها وسلامتها، وأشدّهم اهتماماً بأمور الأمة وأنصحهم لها، ولازم ذلك أن لا يتركها دون وصيّة، ودون أن يبيّن لها ما يعصمها من الضلال والانحراف،

(١) كما في رواية أبي سعيد الخدري، ابن سعد، الطبقات الكبرى ٢: ١٩٤ والحموي، فرائد السمطين ٢: ٥٣٨، ومسنّد أحمد ٣: ١٧.

(٢) الحاكم، المستدرک ٣: ١٠٩، والنسائي، خصائص أمير المؤمنين: ٩٣، والهيثمي، الصواعق المحرقة: ١٣٦.

(٣) الأمرتسري، أرجح المطالب: ٥٦٣.

(٤) كما في رواية زيد بن ثابت في صدر البحث، مسنّد أحمد ٥: ٨٨١، الهيثمي، مجمع الزوائد ٩: ١٦٣.

وبقيها من عواصف الأهواء والفتن، وهو على وشك السفر إلى الرفيق الأعلى.
هذا ما يفهمه العقلاء في عرف المخاطبات والمحاورات والوصايا والالزامات، وما جرت عليه سيرتهم. وقد كان رسول الله ﷺ من سيرته أيضاً أن يترك في كل غزوة يقودها بنفسه أميراً على المدينة مدة غيابه، فكيف يترك الأمة كلها من بعده بغير راعٍ وعاصم يضمن لها الهدى والرشاد، ويدلها على الخير والصلاح؟!
وهذا ما عمل به الرسول، وأكدته من خلال الأحاديث المتواترة، والتي أشهرها حديث الثقلين.

الثقلان:

الثقل - محرّكة - متاع المسافر وحشمه^١، وكل شيء خطير نفيس مصون^٢.
قالوا: سمّاهما ثقلين إعظماً لقدرهما وتفخيماً لشأنهما^٣. وقيل: سمّاهما ثقلين لأن الأخذ بهما والعمل بهما ثقل^٤.
والظاهر أن التعبير عن الخليفين بالثقلين كناية عن مكاتبتهم الخاصة عنده، وموقعهما في الأمة، فهما أعزّ ما يترك في الأمة، ومنه قولهم للسيد العزيز: ثقل^٥. وهذا الوصف بنفسه كافٍ في دعوة الناس إلى التمسك بهما ومعرفة قدرهما، فضلاً عما يأتي بعده.

وقد قدّم هذا الوصف من باب التوطئة والتمهيد وتنبية المخاطبين إلى أهميّة ما يأتي، وهو يحفز عندهم الاستعداد التام لسماع التفصيل وحفظ الأسماء التي سيذكرها،

(١) الخليل بن أحمد، العين ٥: ١٣٦. والجوهري، صحاح اللغة ٣: ١٦٤٧. والفيروزآبادي، القاموس المحيط ٣: ٣٤٢. والزبيدي، تاج العروس ٧: ٣٤٥. وابن منظور، لسان العرب ١١: ٨٧.

(٢) الفيروزآبادي، القاموس المحيط ٣: ٣٤٢. والزبيدي، تاج العروس ٧: ٣٤٥. وابن منظور، لسان العرب ١١: ٨٧.

(٣) ابن الأثير، النهاية ١: ٢١٦. وابن منظور، لسان العرب ١١: ٨٧. والزبيدي، تاج العروس ٧: ٣٤٥.

(٥) ابن منظور، لسان العرب ١١: ٨٧.

بخلاف ما لو قدّم الوصيّة بهما، ثم نعتهما، فإن التفخيم والتعظيم المتأخّر قد يأتي بعد الغفلة عن سماع اسم المنعوت، فيفوت الغرض. ومثاله في العرف أن يقوم أحد الجالسين بالتعريف عن شخص قادم، فيقول: هو فلان، ثم يذكر بعد ذلك الأوصاف الموجبة لعلوّ شأنه وسموّ مرتبته، فلا يكون ذكر الاسم في المرحلة السابقة قبل معرفة أهمية المسمّى مثيراً لاهتمامهم بحفظه ولا التعرف عليه، وبخلافه لو عكس، فذكر النعوت التي تبعث فيهم الشوق للتعرف على الشخص ومعرفة الاسم، فيقع ذكر الاسم في موقعه المناسب.

فلعل هذه النكتة من جملة الأمور التي دعت الرسول ﷺ لتقديم وصف الثقلين أولاً، ثم عطف ببيان المراد منهما ثانياً، فقال: «كتاب الله وعترتي أهل بيتي».

الثقل الأول: «كتاب الله»

القرآن الكريم، جبل الله الممدود بين السماء والأرض، الذي فيه تبيان كل شيء، وهو المصدر الأول من مصادر الشريعة الإسلامية، وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلا مناص من أن يكون خليفة للرسول ﷺ وإن لم ينص على ذلك، غير أنّ مدارك الناس قاصرة عن الوصول إلى كلّ ما فيه من معارف دقيقة، وما يتضمّنه من دُرر كامنّة، إذ إن فيه من فرائد علم الله ومفاتيح غيبه ما لا يقوى على تحمّلها إلا من اجتباه واصطفاه، وأعطاه قلباً طاهراً، ومكّنه من تحمّل ثقله، وهؤلاء هم الذين عبّر عنهم القرآن الكريم بالراسخين في العلم فقال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾!

الثقل الثاني: «عترتي أهل بيتي»

قال الخليل بن أحمد: عترة الرجل أصله، وعترة الرجل أقرباؤه من ولده وولد ولده وبني عمه دنيًا^١.

وقال الزبيدي: والعترة نسل الرجل وأقرباؤه من ولد وغيره^٢.

وقال ابن الأثير: عترة الرجل أخص أقاربه^٣، وعترة النبي ﷺ بنو عبدالمطلب.

وقال ابن الأعرابي: العترة ولد الرجل وذريته وعقبه من صلبه، قال: فعترة النبي ﷺ

ولد فاطمة البتول ﷺ^٤ وقيل: عترة أهل بيته الأقربون وهم أولاده وعلي وأولاده^٥.

قال الزبيدي: والمشهور المعروف أن عترة أهل بيته، وهم الذين حرمت عليهم الزكاة والصدقة المفروضة، وهم ذوو القربى الذين لهم الخمس المذكور في سورة الأنفال^٦.

وقيل: عترة الرجل رهطه وعشيرته الأدنون، أي الأقربون ممن مضى وغبر، ومنه قول

أبي بكر: «نحن عترة رسول الله ﷺ التي خرج منها، ويضته التي تفقأت عنه، وإنما جيبت العرب عنا كما جيبت الرحى عن قطبها». قال ابن الأثير: لأنهم من قريش، والعامّة تظن أنها ولد الرجل خاصّة، وأن عترة رسول الله ﷺ ولد فاطمة (رض)، هذا قول ابن سيده^٧.

قال ابن أبي الحديد: وليس بصحيح من قال إنهم رهطه وإن بَعُدوا، وإنما قال أبو بكر

يوم السقيفة أو بعده: «نحن عترة رسول الله ﷺ ويضته التي فقئت عنه» على طريق

(١) الخليل، كتاب العين ٢: ٦٦. (٢) الزبيدي، تاج العروس ٣: ٣٨٠.

(٣) ابن الأثير، النهاية ٣: ١٧٧. وحكاها عنه الزبيدي في تاج العروس ٣: ٣٨٠، وابن منظور في لسان العرب ٤: ٥٣٨.

(٤) الزبيدي، تاج العروس ٣: ٣٨٠. وابن منظور، لسان العرب ٤: ٥٣٨.

(٥) الزبيدي، تاج العروس ٣: ٣٨٠. وابن منظور، لسان العرب ٤: ٥٣٨. وابن الأثير، النهاية ٣: ١٧٧.

(٦) الزبيدي، تاج العروس ٣: ٣٨٠-٣٨١. وابن منظور، لسان العرب ٤: ٥٣٨.

(٧) ابن الأثير، النهاية ٣: ١٧٧. والزبيدي، تاج العروس ٣: ٣٨٠. وابن منظور، لسان العرب ٤: ٥٣٨.

المجاز؛ لأنهم بالنسبة إلى الأمصار عترة له لا في الحقيقة، ألا ترى أن العدناني يفاخر القحطاني، فيقول له: أنا ابن عم رسول الله ﷺ؛ ليس يعني أنه ابن عمه على الحقيقة، بل هو بالإضافة إلى القحطاني كأنه ابن عمه، وإنما استعمل ذلك ونطق به مجازاً. فإن قَدَّرَ مَقْدَرٌ أنه على طريق حذف المضافات، أي ابن عم ابن عم أب الأب، إلى عدد كثير من البنين والآباء، فكذلك أراد أبو بكر أنهم عترة أجداده على طريق حذف المضاف^١. وخلاصة الكلام أن أهل اللغة لهم ثلاثة أقوال في معنى العترة:

١ - أنهم ولد الرجل وذريته وعقبه من صلبه.

٢ - أنهم نسله وأقرباؤه الأدنون من ولده وغيره.

٣ - أنهم رهطه وأقرباؤه القريب والبعيد.

فعلى الأول: يختص بالزهراء ﷺ وأولادها وذريتها، وعلى الثاني: يتناول جميع بني عبدالمطلب بل بني هاشم الذين حرّموا الصدقة. وأما القول الثالث: فيتناول أبناء عمه الأقربين والأبعدين.

وقد أزال الرسول ﷺ الشبهة وأوضح الأمر بإيراد قيد يوضح مراده من العترة في الحديث فقال: «عترتي أهل بيتي» فبيّن أن الثقل الثاني والخليفة الأخرى هم أهل البيت لا مطلق العترة.

ولم يكن المراد من أهل البيت خافياً، وإنما الذي يظهر من الأخبار العديدة أن هذا المصطلح كان لا يطلق بين المسلمين في الصدر الأول إلا على خمسة، هم الرسول ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ، والأدلة على ذلك كثيرة جداً أهمها: الحديث المتواتر بأن رسول الله ﷺ جمع علياً وفاطمة والحسن والحسين ﷺ عند نزول آية التطهير وجلّهم بكساءٍ خيرى وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ٦: ٣٧٥ (بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم).

وطهرهم تطهيراً». وقد وقع ذلك في بيت أم سلمة، وفي الأخبار أنها جاءت وطلبت الدخول معهم في الكساء، فمنعها الرسول ﷺ من الدخول وقال لها: «إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ أَوْ إِلَى خَيْرٍ»^١. ولا تخفى دلالة الحديث في العديد من ألفاظه على الحصر، وأن أهل البيت هم هؤلاء دون غيرهم، وأن آية التطهير مختصة بهم، وذلك للاشارات التالية:

١ - قول النبي ﷺ: «هؤلاء أهل بيتي» وذلك لأنه ﷺ لم يكن في مقام الاخبار عن شمول مفهوم أهل البيت لهؤلاء، وإلا لكان الأنسب أن يقول: هؤلاء من أهل بيتي.

٢ - إشارة الكساء الذي جلّهم به، وهي قرينة حالية كاشفة عن إرادة الحصر بإطلاق الاسم من جهة، والدعاء بالتطهير من جهة أخرى، وتطبيق الآية الشريفة من جهة ثالثة، فكأنه ﷺ أراد أن يدفع كلّ وهم، ويوجد حداً محسوساً لا يدخله الرّيب فجلّهم بالكساء وأحاطهم به.

٣ - في العديد من نصوص حديث الكساء، أن أم سلمة لما سمعت الدعاء وأحبّت أن تنال شرف الدخول فيه، استأذنت الرسول ﷺ في الدخول تحت الكساء، وهذا يؤيد دلالة فعل الرسول ﷺ على الحصر، ولأجل ذلك تصرّفت على أساس أن الدخول في الكساء والدخول في الإشارة (هؤلاء) يحقق شمول الدعاء والآية لها، ويؤيد عدم كونها من أهل البيت، وإلا لاكتفت بصدق العنوان الذي يجعلها مشمولة للآية والدعاء ولو

(١) راجع ألفاظ حديث الكساء في المصادر التالية: السيوطي، الدرّ المنثور ٥: ١٩٨ - ١٩٩. والحسكاني، شواهد التنزيل ٢: ١٠ - ٩٢. والترمذي، الجامع الصحيح ٥: ٣٥١ و٦٦٣ و٦٦٩. وتفسير الطبري ٢٢: ٥ - ٧. وتفسير القرطبي ١٤: ١٨٤. والشوكاني، فتح القدير ٤: ٢٧٩. وابن الأثير، أسد الغابة ٢: ١٢ و٣: ٤١٣. والطبري، ذخائر العقبى: ٢١ و٢٢. وابن بطريق، المعتمد: ٣٣ و٣٩. والحاكم، المستدرک ٢: ٤١٦. والمجلسي، بحار الأنوار ٣٥: ٢٠٧ - ٢٣٦. والكليني، الكافي ١: ٢٨٦ - ٢٨٧. والحويزي، تفسير نور الثقلين ٤: ٢٧٠ - ٢٧٧. والبحراني، تفسير البرهان ٣: ٣٠٩ - ٣٢٥. والقطب الراوندي، الخرائج والجرائع ١: ٤٨. والطبرسي، مجمع البيان ٨: ٣٥٧ - ٣٥٨. والشهيد التستري، إحقاق الحق ٢: ٥٠١ - ٥٥٣ و٣: ٥١٣ - ٥٣١ و١: ٦٩.

وراجع أهل البيت في آية التطهير للسيد جعفر مرتضى في الاعداد الثلاثة الأولى من مجلة «رسالة الثقلين».

بعمومها.

٤- منع الرسول ﷺ لها من الدخول تحت الكساء، وتطيبب خاطرها بأنها على خير، يدلّ صراحة على خروجها من تحت هذا العنوان، ولا ينافيه ما ورد في بعض ألفاظ حديث الكساء من قوله لها: «أنت من أهلي» أو أنه أذن لها بالدخول تحت الكساء بعد أن قضى الدعاء لأهل بيته، فإنه - على فرض صحّة هذه النصوص - ليس هناك تطابق بين المراد من أهله والمراد من أهل بيته، فيمكن شمول الأول لزوجاته دون الثاني، الذي يراد منه أهل بيت النبوة، لا بيت سكناه ﷺ كما لا يخفى، ولا دلالة في دخولها تحت الكساء بعد انقضاء كلامه ﷺ ودعائه على شمول الاسم ولا الدعاء لها.

وهناك العديد من النصوص التي لا تقلّ عن حديث الكساء دلالة على كون مصطلح «أهل البيت» أطلقه الرسول ﷺ على خصوص أمير المؤمنين وفاطمة والحسين ﷺ. على أننا في مقام تحديد المراد من أهل البيت في حديث الثقلين لسنا بحاجة للاستدلال على خروج زوجات النبي ﷺ، فإن قول الرسول ﷺ: «وعترتي أهل بيتي» أخرجهن لعدم كونهن من العترة، ومراده ﷺ أهل البيت الذين هم من العترة المطهرة. أما بالنسبة لبقية أقرباء النبي ﷺ من أعمامه وأبنائهم، فإنهم - إن سلّمنا بصدق العترة عليهم - ليسوا من أهل البيت، لما تقدّم من انحصار المصطلح المذكور في الخمسة أصحاب الكساء والأئمة من أولاد الحسين ﷺ. وذلك يُخرج بقية بني هاشم، وتدّل عليه أيضاً أمور:

١- إن الظاهر من تتبّع استعمال الرسول ﷺ والأئمة ﷺ أن المقصود من البيت هنا بيت النبوة لا بيت السكن ولا بيت النسب.

٢- لو أريد منه بيت النسب دخل فيه أبو لهب وأمثاله من بني هاشم، ممن حاربوا الله ورسوله، ولا أظن أحداً يتجرأ على ادّعاء شمول أهل البيت لأمثال هؤلاء، وانطبق آية التطهير وحديث السفينة وحديث الثقلين وآية ذوي القربى وغيرها عليهم.

٣ - أن القرآن الكريم جعل المعيار للانتساب إلى الأنبياء ليس القرابة النسبية، وإنما العمل الصالح، وقد قال سبحانه لنوح عليه السلام: ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾^١ مع أن البنية من أبرز مصاديق القرابة النسبية، وفي هذا المجال يروى عن الامام الرضا عليه السلام في حديث حول ابن نوح أنه قال: «لقد كان ابنه، ولكن لما عصى الله عز وجل نفاه عن أبيه، كذا من كان منا لم يطع الله عز وجل فليس منا»^٢.

٤ - أن مقتضى الأمر بالتمسك بهم وجعلهم قرناء الكتاب، وكونهم العاصم من الضلالة أن يكون المقصود جماعة مخصوصة لا يخالفون الكتاب ولا يعصون الله، ولا يزولون عن طريق الحق أبداً، فيخرج منه غير أهل العصمة وإن كانوا من العترة النبوية.

التمسك بالثقلين:

استفيد من حديث الثقلين عدة أمور:

الأمر الأول: دلالاته على عصمة أهل البيت عليهم السلام عن الذنوب والمعاصي وعن الخطأ والزلل، وذلك للنقاط التالية:

١ - لاقتنائهم عليهم السلام بالكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وتصريحه بعدم افتراقهم عنه، ومن البديهي أن صدور أية مخالفة للشرعية سواء أكانت عن عمد أم سهو أم غفلة تعتبر افتراقاً عن القرآن في هذا الحال، وإن لم يتحقق انطباق عنوان المعصية عليها أحياناً، كما في الغافل والساهي، والمندار في صدق عنوان الافتراق عنه عدم مصاحبته لعدم التقيد بأحكامه وإن كان معذوراً.

٢ - ولأنه اعتبر التمسك بهم عاصماً عن الضلالة دائماً وأبداً، كما هو مقتضى ما تفيد «لن» التأييدية، وفاقد الشيء لا يعطيه.

(١) هود: ٤٦.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار ٤٩: ٢١٨. والصدوق، عيون أخبار الرضا ٢: ٣٣٢.

٣- أن تجوز الافتراق عليهم الذي يتحقق بمخالفة الكتاب وصدور الذنب منهم تجوز للكذب على الرسول ﷺ حيث أخبر عن الله عز وجل بعدم وقوع افتراقهما، وتجوز الكذب عليه ﷺ متعمداً منافٍ لافتراض العصمة فيه، وهي مما أجمعت عليها كلمة المسلمين، خاصة في مقام تبليغ الأحكام، والإخبار عن الله الذي لم يخالف فيه أحد منهم!

٤- ولأنه أمر بالتمسك بهم على الإطلاق، ومن المسلم أن الرسول ﷺ لا يأمر بالتمسك والافتداء - بشكل مطلق - بمن يخالف الشريعة وأحكام الله تعالى، لأن لازمه الأمر بمخالفة الشريعة وهو محال.

الأمر الثاني: دلالة الحديث على تمييز أهل البيت ﷺ بالعلم بكل ما يتصل بالشريعة، وأنهم معدن العلوم والمعارف والأسرار، وأن علومهم لدنية من الله تعالى، إما بالإلهام أو بالتلقي من الرسول ﷺ أو بالإطلاع على أسرار الكتاب وكوامنه التي لا يدركها عامة الناس.

فلو كانت علومهم مستفادة من الناس، لكان الذي يعلمهم أولى بأن يأمر بالافتداء به والتمسك بحبله، ولو كان العلم الذي عندهم مأخوذاً من ظاهر الكتاب والسنة الموجودة بين الناس وبالوسائل المتعارفة، لكانوا ﷺ كغيرهم من الناس، فلا معنى لاختصاصهم دون غيرهم بهذه المنزلة وهذا المقام، وأمر الناس بالتمسك بهم والرجوع إليهم.

أضف إلى أن الكثير من الوسائل المتعارفة لتحصيل العلوم عند الناس لا تورث إلا الظن، ويمكن أن تخطئ وتصيب، فلا تكون عاصمة من الضلالة، ولا يصح الأمر بالتمسك بها واتباعها مطلقاً. فدل ذلك على أن لديهم علماً خاصاً اختصهم الله به.

(١) بعض هذه الفقرات مقتبسة من كتاب سنة أهل البيت للسيد محمد تقي الحكيم ص ٣٦.

وإذا كان الوحي الرسالي قد انقطع بعد الرسول ﷺ كما دلت عليه النصوص القطعية، فلا بد أن يكون عندهم من الوسائل والطرق للوصول إلى تلك العلوم بشكل لا يقبل الخطأ والاشتباه، وليس إلا الإلهام والإحاطة بعلم رسول الله ﷺ والكتاب الكريم الذي فيه تبيان كل شيء. وهذا هو الذي أهّلهم ﷺ لمقام الخلافة المذكورة في الحديث، لاختصاصهم بما كان يملكه المستخلف. وقد ورد في هذا المعنى العديد من النصوص:

منها قوله ﷺ: «ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم»^١.

ومنها قوله ﷺ: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها فمن أراد العلم فليأت الباب»^٢.

ومنها قول علي عليه السلام: «لقد علّمني رسول الله ﷺ ألف باب يفتح كل باب ألف باب»^٣.

وقد ورد عنهم ﷺ العديد من النصوص أنهم ورثوا عن رسول الله ﷺ علمه وعلوم جميع الأنبياء السابقين، فهم عندهم كتب الأنبياء السابقين، وما أملاه رسول الله ﷺ على علي بن أبي طالب عليه السلام، من الصحيفة الجامعة لما يحتاجه الناس من الحلال والحرام إلى يوم القيامة، ومن تأويل الكتاب وتفسيره، وفي أي شيء نزلت كل آية منه وأين نزلت، وأن عندهم ما يحتاج الناس إليهم ولا يحتاجون أحداً من الناس^٤.

يتحدّث الامام الصادق عليه السلام عن هذا العلم في حوار بينه وبين بُرَيْهَةَ الجاثليق حيث قال بُرَيْهَةَ: جعلت فداك، أتى لكم التوراة والانجيل وكتب الأنبياء؟ قال: «هي عندنا وراثَةٌ من عندهم، نقرؤها كما قرأوها، ونقولها كما قالوها، إن الله لا يجعل حجةً في أرضه يُسأل عن شيء فيقول: لا أدري»^٥.

(١) الطبراني، المعجم الكبير ٥: ١٦٧.

(٢) تاريخ دمشق لابن عسّاك ٣: ٤٦٧ (بتحقيق المحمودي). ومناقب أمير المؤمنين لابن المغازلي: ٨١.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار ٢٦: ٢٩ - ٣٠. والمفيد، الاختصاص: ٢٨٣.

(٤) راجع المجلسي، بحار الأنوار ٢٦: ١٨ - ٢٦ و ١٥٩ - ١٨٩. والكليني، أصول الكافي ١: ٢٣٩ - ٢٤١.

(٥) الصدوق، التوحيد: ٢٧٥. والمجلسي، بحار الأنوار ١٠: ٢٣٩. وقد وردت عدّة نصوص في كيفية وصول =

الأمر الثالث: يدلّ الحديث على أن المنقذ من الضلالة والعاصم منها هو التمسك والعمل بمجموع الثقلين، فلا يغني التمسك بأحدهما دون الآخر، كما لا يغني التمسك ببعض كلّ واحد منهما.

أما الثقل الأكبر فإنه وإن تضمن من المعارف والأحكام ما يتناول كل شيء، إلا أن البشر لا يتمكنون من استنباط واستخراج تلك المعارف منه، إلا النزر اليسير الذي دلت عليه ظواهر الكتاب الكريم، فلا بدّ من الرجوع إلى الراسخين في العلم الذين أشارت إليهم الآية الشريفة^١، الذين هم قرناء الكتاب، وعندهم علم التأويل والتفسير، وهم القادرون على الغوص في أعماقه واستخراج درره الكوامن، فلا يدرك الكتاب إلا بهم، ولا يتمسك به إلا بواسطتهم ومن خلالهم.

وأما الثقل الأصغر فكذلك، لأنهم لا يحددون عن نهج الكتاب، ولا يفارقونه، وليس لهم طريقة إلا طريقة القرآن، وليس لهم رأي إلا رأي، فلا يتأتى التمسك بهم دونه، إلا على طريقة بعض العوام والجهلاء، الذين يدعون حبّ أهل البيت^{عليهم السلام} ولا يعملون بعملهم ولا يهتدون بهديهم، ويتوهمون أنّ التمسك بهم هو حبّهم، وأنّ حبّهم يغني عن اتباع سيرتهم والعمل بنهجهم.

روي عن الامام الباقر^{عليه السلام} أنه قال: «يا جابر، أكتفي من ينتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت؟ فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون يا جابر إلا بالتواضع والتخشع والأمانة، وكثرة ذكر الله، والصوم، والصلاة، والبرّ بالوالدين، والتعهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة، والغارمين، والأيتام، وصدق الحديث، وتلاوة القرآن، وكفّ الألسن عن الناس إلا من خير، وكانوا أمناء عشائهم في الأشياء ... إلى أن قال: حسب الرجل أن

= كتب الأنبياء السابقين إلى نبينا محمد^{عليه السلام} ثم ورثها ائمة أهل البيت^{عليهم السلام} منه.

(١) «وَمَا يَتْلُمْ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ».

سورة آل عمران: ٧.

يقول: أحبّ علياً وأتولاه، ثم لا يكون مع ذلك فقالوا؟ فلو قال: إني أحبّ رسول الله ﷺ فرسول الله ﷺ خيرٌ من عليٍّ ثم لا يتبع سيرته، ولا يعمل بسنته ما نفعه حبُّه إياه شيئاً...!

ثم إن التمسك ببعض الأئمة من العترة النبوية ﷺ دون بعض، ليس تمسكاً بالثقل الأصغر، لأن الانحراف عن أي واحدٍ من أئمة أهل البيت ﷺ ومفارقته وترك الاقتداء به يؤدي بالضرورة لمفارقة الكتاب الكريم، الثقل الأكبر، لأن الثقلين لا يفترقان أبداً بنص الحديث وإذا فارق الكتاب فقد فارق الثقلين معاً.

فالتنتيجة أن التمسك بتمام الثقلين معاً طريق الهدى والعاصم من الضلالة.

الأمر الرابع: يستظهر من الحديث بقاء العترة إلى جنب الكتاب إلى يوم القيامة، وهذا معناه خلود الثقل الأكبر وعدم ضياعه من جهة، وعدم خلو الزمان من حجة لله من أهل بيت نبيه، وعدم انقطاع السلسلة المباركة للأئمة المعصومين حتى يوم القيامة. وبمعونة النصوص الأخرى التي حصرت الحجج الذين أوصى الرسول ﷺ باتباعهم والاقتداء بهم باثني عشر حجة، يمكن أن يستدل على بقاء حجة الله المنتظر الثاني عشر من أئمة أهل البيت ﷺ.

الأمر الخامس: وأخيراً فالحديث يشكّل نصّاً من النصوص التي عين رسول الله ﷺ بها خلفاءه من بعده، وأوصيائه في الناس الذين حملهم الأمانة، أمانة الرسالة، وإمامة الأمة، الإمامة الكبرى التي تشتمل على المرجعية السياسية والدينية، كما كان رسول الله ﷺ في الناس ما عدا النبوة:

«يا علي، أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»^٢.

أما المرجعية الدينية فواضح مما تقدم، حيث قرنهم بالكتاب الكريم وجعل التمسك

(١) المجلسي، بحار الأنوار ٧٠: ٩٧. الكليني، الكافي ٢: ٧٤.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار ٣٢: ٤٨٧ و ٣٦: ٣٣١ و ٤٠: ٧٨ و ١٠٠: ٣٦٢.

بهم مع الكتاب عاصماً من الضلالة.

وأما المرجعية السياسية فلا أمور عدة:

١ - لوجوب التمسك بهم واتباعهم في كل أمر ونهي، ولا شك أن أمور السياسة والحكم لا تشدّ عنها.

٢ - لما كنا قد استفدنا عصمتهم المطلقة الشاملة لأمر الدين والدنيا، كانوا هم المتعينين للإمامة، حيث إن مخالفتهم مخالفة للحق والصواب، وطاعتهم طاعة للهدى: ﴿أَمَّنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^١.
٣ - أنه عليه السلام عبّر عن الكتاب والعتره بالخليفين، كما في رواية أحمد عن زيد بن ثابت^٢، والخليفة يقوم مقام المستخلف في محل الاستخلاف، والنبي عليه السلام كان يقوم بأعباء الإمامة الكبرى، بما فيها الإمامة في السياسة والحكم، فلا بد أن يكون للخليفة ذلك المقام وتلك المهام.

٤ - أن صدر كلامه عليه السلام يوحى بأنه كان في مقام بيان وصيته الأخيرة للناس، حيث قال عليه السلام: «يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب»^٣ أو «أوشك أن أدهى فأجيب»^٤ أو «كأنني قد دعيت فأجبت»^٥ وما بمعناها. ومن المعلوم أن صاحب السلطان والولاية إذا ذكر ذلك ثم قال: «إني تارك فيكم» لا يفهم منه إلا العهد والوصية لمن يقوم مقامه، ويمارس مهامه، ويتابع مسيرته، والعقلاء يعدّون ذلك عهداً بالإمارة والولاية دون تردّد.

ويشهد لذلك أن أحد المواقع التي كرّر فيها رسول الله عليه السلام حديث الثقلين كان «غدير خم» ففي رواية مسلم قال: خطبنا رسول الله عليه السلام بماء يدعى خمّاً. وفي بعض نصوص حديث الثقلين ذيل بقوله عليه السلام: «من كنت مولاه فعلي مولاه» وهو صادر في «غدير

(١) يونس: ٣٥.

(٢) مسند أحمد ٥: ١٨١. والهيتمي، مجمع الزوائد ٩: ١٦٣. والسيوطي، الدر المنثور ٢: ٦٠.

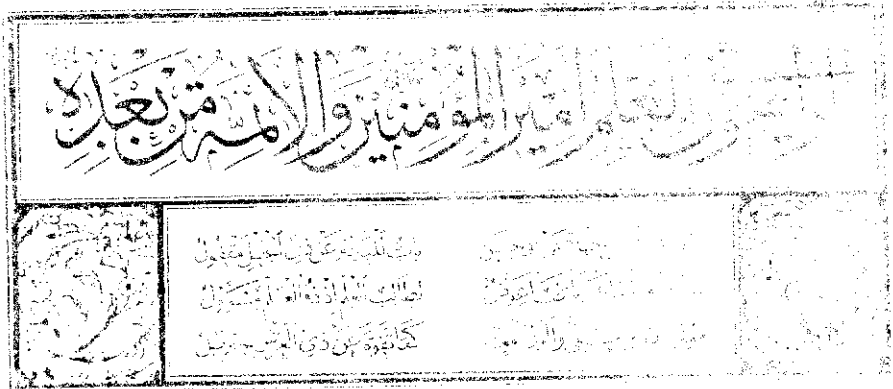
(٣) مسند أحمد ٤: ٣٦٧. (٤) راجع رواية أبي سعيد الخدري في صدر البحث.

(٥) البحراني، غاية المرام: ٢٣٣. والحاكم، المستدرک ٣: ١٠٩. والنسائي، خصائص أمير المؤمنين: ٩٣.

خم» فيكون هناك اقتران بين حديث الثقلين وحديث الغدير، ومنه يعلم أن رسول الله ﷺ قد عهد في «غدير خم» بالخلافة إلى أهل البيت ﷺ عموماً، وإلى عليّ عليه السلام بالخصوص.

٥ - تقدّم أن حديث الثقلين يدلّ على أن أهل البيت ﷺ أعلم الناس، وإذا كانوا كذلك، فهم أئمة الناس وخلفاء رسول الله ﷺ، لأن الناس يحتاجون إليهم ولا يستغنون عنهم، بينما هم مستغنون عن الناس غير محتاجين إليهم، والعقل يقضي بالرجوع إلى الأعلام الأعراف بمواطن الصواب، والافتداء به واتباعه وإطاعة أوامره ونواهيه، من دون فرق بين أمور الدين وأمور الدنيا.

«يتبع»



قصيدة



السَّيِّحُ خَالِيسٌ شَقِيرٌ (لبنان)

فهاك نسجاً بقرآن الهدى الخضل
بدوحٍ خُتمٌ على تَرْزِيمَةِ الْأَزْلِ
ويرفع المرتضى الكَرَارَ خَيْرٌ وَلِي
وساعدٌ لو يرومُ النّجم لم يَفْلٍ^(٢)
قالوا: الذي بَرَأَ الْإِنْسَانَ مِنْ وَشَلٍ^(٤)
وما عسانا نُؤدِّي الشكرَ للرُّسُل
لم يكْمُلِ الدينُ أو يَغْلُ على المِلَلِ
إذ حطَّ جبريلُ يتلوها على مَهَلٍ
وأكمل الله ديناً غير مكتمل
إن لم تبْلُغْهُ لم أعُدْ ذك في رسلي
ليثُ العرينِ على كَبْتٍ مِنَ الذَّحْلِ^(٥)

لم تشهد الحجّ في أيّامه الأوّل
يوم استوى أحمدُ المختارُ في حُدُجٍ
ويخشُرُ الناسُ رَغَمَ القَيْظِ^(٢) يَلْفَحُهُمْ
ويأخذُ المصطفى يُمْناءَ سَاعِدَهُ
هناك قال: فَمَنْ مولاكُمْ أَبْدأ؟
مِنْ بَعْدِهِ أَنْتَ يَا مُخْتَارُ سَيِّدُنَا
قال التي لم تَزَلْ لولا حَقِيقَتُهَا
مولاكُمْ حيدرُ الكَرَارِ صَاحِبُهَا
وتمّتِ النُّعْمَةُ الْكَبِيرَى بِبَيْعَتِهِ
وأبرَمَ اللَّهُ هذا الأمرَ فانطلقتُ
وتُضْرِبُ القُبَّةَ الْبَيْضاءَ يَدْخُلُهَا

(١) الدّوح: كبار الشجر.

(٢) يفل: يضعف.

(٣) يفل: يضعف.

(٤) وشل: الحقد.

(٢) القَيْظ: الحر الشديد.

(٤) وشل: ماء قليل.

وَيَدْخُلُ الْمُسْلِمُونَ الْقُرَىٰ يَحْفَظُهُمْ^١
 بَخٍ، بَخٍ لِعَلِيٍّ قَالَ قَائِلُهُمْ
 لِأَحْمَدِ ابْنَانِ اخْتَصَّ بِهِمَا
 فَأَيَّةٌ حِيدَرُ الْكَرَّارِ جَوْهَرُهَا
 وَقَدْ جَرَتْ تِلْكَ الْآيَاتُ فِي دَمِهِ
 يَا صَاحِبِي حَدِيثٌ جَاءَ مُحْكَمُهُ
 فَلَمْ يُنَلِّهَا مُحَابَاةً لِّذِي رَحِمٍ
 قَدْ نَالَهَا بِالْمَعَالِي فِيهِ إِذْ جُمِعَتْ
 (بِهَلْ أَتَى^٢ وَحَدِيثِ الدَّارِ آيَتُهُ
 وَخَيْرٍ وَمُؤَاخَاةِ النَّبِيِّ لَهُ
 وَكَلَّمَا شِئْتَ أَنْ أُحْصِيَ فُضَائِلُهُ
 وَالْفَضْلُ تُحْصَى إِذَا ضَاقَتْ مَزَاهِبُهُ
 مِنَ النَّبِيِّ نِدَاءٌ غَيْرُ ذِي حَوْلٍ^٣
 مَوْلَى الْبَرِّيَّةِ مِنْ عِنْدِ الْإِلَهِ عَلِيٍّ
 رَبِّي دَلِيلًا عَلَى الْإِسْلَامِ فِي الرُّسُلِ
 وَأَيَّةٌ رَوْعَةٌ الْقُرْآنِ حَيْثُ تُلِي
 حَتَّى اسْتَحَالَ كَوْحِي اللَّهُ فِي الْجَمَلِ
 بِمُحْكَمِ الْآيِ مَوْصُولًا بِمُتَّصِلِ
 قَدْ كَانَ أَحْمَدُ وَالْأَهْوَاءُ فِي ذَحَلِ
 وَزَانَهَا فَهُوَ فِي جِيدِ الْكَمَالِ حُلِي
 وَبِالْمَبِيتِ^٤ وَبِالْإِقْدَامِ حَيْثُ وَلِي
 وَالْفِ بَابٍ بِأَلْفٍ قَدْ حَفِظْتَ عَلَيَّ^٥
 وَعَدَهَا شِمْتُ^٦ مَوْجَ الْبَحْرِ فِي مَقْلِي
 وَلَيْسَ تُحْصَى مِائَةُ الْمُزْنِ^٧ إِنْ تَسَلَّ

- (١) القُرَى: جمع أغر، وهي أصلاً الفرس في وجهه بياض حسن وهنا المؤمن الأصيل.
 (٢) يحفظهم: يحميهم.
 (٣) غير ذي حول: غير قابل للمخالفة.
 (٤) أي سورة هل أتى.
 (٥) قول النبي ﷺ عن علي بن أبي طالب عليه السلام: «إِنَّ هَذَا أَخِي وَوَصِيي وَوَارِثِي وَخَلِيفَتِي مِنْ بَعْدِي» وذلك عندما نزلت الآية: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» فجمع رسول الله ﷺ بني عبدالمطلب لينذرهم. راجع: (مسند أحمد ١: ١٥٩ ط. مصر).
 (٦) أي مبيت أمير المؤمنين علي فرائض رسول الله صلى الله عليه وآله.
 (٧) قول الامام علي عليه السلام: «عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ أَلْفَ بَابٍ مِنَ الْعِلْمِ يَنْفَتَحُ لِي مِنْ كُلِّ بَابٍ أَلْفَ بَابٍ».
 (٨) شمت: رأيت.
 (٩) المزن: السحاب.

مصحف فاطمة

الشيخ محمد باقر

لا شك أن أهل البيت عليهم السلام هم ورثة علم رسول الله صلى الله عليه وآله والامناء عليه، فقد تواتر عنه عليه السلام أنه قال: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»^١ وهو كالصریح بكونه عليه السلام عيبة علمه ومستوع المعارف الإلهية، وقد توارثها منه الأئمة المعصومون المطهرون من ولده. فقد كانوا يتوارثون ما في القرآن الكريم وكتب الأنبياء السابقين، من دقائق المعارف والأحكام الشرعية.

ومن جملة التراث العلمي الذي كان يتوارثه أئمة أهل البيت عليهم السلام «مصحف فاطمة» الذي دَوَّن فيه علم ما يكون، مما سمعته الزهراء عليها السلام من حديث الملائكة بعد وفاة أبيها عليه السلام، كما سنرى من خلال النصوص الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة، وقد كانوا عليهم السلام يحدِّثون أصحابهم أحياناً عن تلك العلوم المدونة عندهم في هذا الكتاب ويبينون حقيقته.

(١) راجع مصادر الحديث في الهوامش التحقيقية لكتاب المراجعات للسيد شرف الدين / هامش المراجعة رقم ٤٨ ص ٣٨٧ من طبعة المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام.

لقد أثار مصحف فاطمة حفيظة العديد من الكتّاب، واتخذوا منه وسيلةً للطعن والتشنيع على أتباع أهل البيت عليهم السلام، تارةً باستغلال اسمه - باعتبار أنه يطلق عليه اسم «مصحف» - وجعله باباً لاتهمهم بأنهم لا يعترفون بالقرآن الموجود بين الدفتين والمتداول بين المسلمين قاطبة، فيوقعون الناس في وهم بأن مصحف فاطمة المذكور هو القرآن الذي يعتقده الشيعة، وتارةً أخرى بأن الاعتقاد بمصحف فاطمة يعني الاعتقاد بنزول الوحي بعد الرسول صلى الله عليه وآله ويرتبون على ذلك نتائج عديدة، منها: أن الشيعة يعتقدون بنبوة فاطمة وعلي عليهما السلام.

وفي هذا المقال تعرّض للبحث عن حقيقة مصحف فاطمة عليها السلام، ونعالج الشبهات التي تثار حوله، والضجة المفتعلة التي يطلقها هؤلاء الكتّاب الذين ينقصهم الاطلاع الكافي والدقة العلمية - إن أحسنّا الظنّ بهم - أو تنقصهم الأمانة والانصاف.

المصحف في اللغة:

المُصحف - مثلثة الميم، من أٌصحف بالضم - أي جعلت فيه الصُّحف^١، وسمي المصحف مصحفاً لأنه أٌصحف أي جُعل جامعاً للمصحف المكتوبة بين الدفتين^٢. وبناءً عليه، فالمصحف ليس اسماً مختصاً بالقرآن الكريم. ويشهد لذلك ما رواه في وجه تسمية المصحف مصحفاً، فقد روى ابن أشتة في كتاب المصاحف أنه لما جمعوا القرآن فكتبوه في الورق قال أبو بكر: التمسوا له اسماً، فقال بعضهم: السِّفر، وقال بعضهم: المُصحف فإنّ الحبشة يسمونه المصحف. قال: وكان أبو بكر أول من جمع كتاب الله وسمّاه المصحف^٣.

(١) الفيروزآبادي: القاموس المحيط: مادة صحف.

(٢) الخليل، العين ٣: ١٠. وابن منظور، لسان العرب مادة صحف.

(٣) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن ١: ١٨٥، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

ونحن لا نوافق على مضمون هذه الرواية لأننا نعتقد أن القرآن جمع في حياة الرسول ﷺ، وكلمة المصحف من أصل عربي، فلا معنى للتيان بها من الحبشة، لكن أوردناها لاقامة الحجة على من يقبلها.

فالمصحف كل كتاب أصحف وجمع بين دفتين، لكن كثرة استعماله في القرآن الكريم أوجبت انصراف الأذهان إليه، وهو لا يكفي لحمل ما ورد في روايات أهل البيت ﷺ التي تتحدث عن مصحف فاطمة على المصحف المعروف، خاصة مع وجود التقييد باضافته إليها ﷺ.

مصحف فاطمة في أخبار أهل البيت ﷺ:

- ١ - عن أبي عبيدة عن أبي عبد الله ﷺ: «... إن فاطمة مكثت بعد رسول الله ﷺ خمسة وسبعين يوماً، وكان دخلها حزن شديد على أبيها، وكان جبرئيل ﷺ يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها، وكان علي ﷺ يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة ﷺ»^١.
- ٢ - عن أبي حمزة أن أبا عبد الله ﷺ قال: «مصحف فاطمة ما فيه شيء من كتاب الله وإنما هو شيء ألقى إليها بعد موت أبيها صلوات الله عليهما»^٢.
- ٣ - عن عنبسة بن مصعب عن أبي عبد الله ﷺ: «... ومصحف فاطمة أما والله ما أزعج أنه قرآن»^٣.
- ٤ - عن الحسين بن أبي العلاء قال: سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول: «إن عندي..

(١) راجع: كتاب حقائق هامة في القرآن الكريم، للسيد جعفر مرتضى العاملي (فصل جمع القرآن).

(٢) الصفار، بصائر الدرجات: ١٥٣، ط. المرعشي، والكليني، الكافي ١: ٢٤١، والمجلسي، بحار الأنوار: ٢٦.

٤١، والقطب الراوندي، الخرائج والجرائع ٢: ٥٢٦ وفيه تخريج الحديث في مصادر عدة.

(٣) الصفار، بصائر الدرجات: ١٥٩، ط. المرعشي، والمجلسي، بحار الأنوار: ٢٦: ٤٨.

(٤) الصفار، بصائر الدرجات: ١٥٤، ط. المرعشي، والمجلسي، بحار الأنوار: ٢٦: ٤٥.

ومصحف فاطمة ما أزعج أن فيه قرآنًا^١.

٥ - عن محمد بن عبد الملك عن أبي عبد الله عليه السلام: «... وعندنا مصحف فاطمة عليها السلام أما والله ما هو بالقرآن»^٢.

٦ - عن علي بن سعيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «... وفيه مصحف فاطمة ما فيه آية من القرآن»^٣.

٧ - عن علي بن أبي حمزة عن الكاظم عليه السلام قال: «عندي مصحف فاطمة ليس فيه شيء من القرآن»^٤.

٨ - عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام، وما يدرهم ما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: قلت: وما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد»^٥.

هذه الروايات وأمثالها تدلّ على أن مصحف فاطمة الذي يعتقد الإمامية أنه عند أئمتهم وضمن ميراثهم العلمي ليس المصحف الذي فيه القرآن الكريم، وأنه كتاب آخر يتضمن علمًا، لكن ما هو ذلك العلم؟ تشير إليه بعض الروايات عن أهل البيت عليهم السلام منها:
١ - سئل الصادق عليه السلام عن محمد بن عبد الله بن الحسن فقال عليه السلام: «ما من نبي ولا وصي ولا ملك إلا هو في كتاب عندي - يعني مصحف فاطمة - والله ما لمحمد بن عبد الله فيه اسم»^٦.

٢ - روي عن الوليد بن صبيح أنه قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «يا وليد، إنني نظرت في

(١) الصفار، بصائر الدرجات: ١٥٠، ط. المرعشي، والمجلسي، بحار الأنوار ٢٦: ٣٧.

(٢) الصفار، بصائر الدرجات: ١٥١، ط. المرعشي، والمجلسي، بحار الأنوار ٢٦: ٣٨، ٤٧: ٢٧١.

(٣) الصفار، بصائر الدرجات: ١٥٦، ١٦٠، ط. المرعشي، والمجلسي، بحار الأنوار ٢٦: ٤٣، ٤٧: ٢٧٢.

(٤) الصفار، بصائر الدرجات: ١٥٤، ط. المرعشي، والمجلسي، بحار الأنوار ٢٦: ٤٥.

(٥) الكليني، الكافي ١: ٢٣٩، الصفار، بصائر الدرجات: ١٥٢، ط. المرعشي، والمجلسي، بحار الأنوار ٢٦: ٣٩.

(٦) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٤٩، والمجلسي، بحار الأنوار ٤٧: ٣٢، والمراد بمحمد بن الله هو محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى.

مصحف فاطمة عليها السلام فلم أجد لبني فلان فيه إلا كغبار النعل^١.

٣- عن فضيل بن سكرة قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال: «يا فضيل، أتدري في أي شيء كنت أنظر قبيل؟» قال: قلت: لا قال: «كنت أنظر في كتاب فاطمة عليها السلام، ليس من ملك يملك [الأرض] إلا وهو مكتوب فيه باسمه واسم أبيه، وما وجدت لولد الحسن فيه شيئاً^٢.

٤- عن سليمان بن خالد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «... وليُخرجوا مصحف فاطمة فإن فيه وصية فاطمة...»^٣.

٥- عن حماد بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن الله تعالى لما قبض نبيه عليه السلام، دخل على فاطمة من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله عز وجل، فأرسل الله إليها ملكاً يسلي غمها ويحذنها، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولِي لي، فأعلمته بذلك، فجعل أمير المؤمنين عليه السلام يكتب كلما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفاً. قال: ثم قال: أما إنه ليس فيه شيء من الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون»^٤.

يتبين من خلال هذه الروايات أن مصحف فاطمة عليها السلام ليس قرآناً، وليس كتاب أحكام، فهو مغاير لكتاب علي عليه السلام الذي أملاه عليه رسول الله صلى الله عليه وآله. والذي ورد ذكره في أخبارهم عليهم السلام إلى جنب مصحف فاطمة، وسمّوه بالجامعة تارة والصحيفة أخرى وكتاب علي عليه السلام غالباً.

وليس هناك أي رواية توهم كونه قرآناً، فضلاً عن كونها ظاهرة في ذلك ليتمسك بها

(١) الصفار، بصائر الدرجات: ١٦١، ١٧٠ ط. المرعشي، والمجلسي، بحار الأنوار ٢٦: ٤٨ و ١٥٦.

(٢) الكليني، الكافي ١: ٢٤٤، وقريب منه جداً نقله الصفار في بصائر الدرجات: ١٦٩ ط. المرعشي، والمجلسي، بحار الأنوار ٢٦: ١٥٥ و ٤٧: ٢٧٣.

(٣) الصفار، بصائر الدرجات: ١٥٧ ط. المرعشي، والمجلسي، بحار الأنوار ٢٦: ٤٣.

(٤) الصفار، بصائر الدرجات: ١٥٧ ط. المرعشي، والمجلسي، بحار الأنوار ٢٦: ٤٤، والكليني، الكافي ١: ٢٤٠.

من يفتش عن المطاعن، وعلى فرض وجودها فإن الروايات المستفيضة الواضحة والصريحة والتي قدّمتنا طائفة منها تقتضي رفع ذلك التوهم أو الظهور لو تمّ وسلم.

فاطمة عليها السلام محدّثة:

قد يتوقّف البعض عند قصّة مصحف فاطمة عليها السلام، ويرفض مسألة تكليم الملائكة للسيدة الزهراء عليها السلام نتيجة توهم التلازم بين النبوة والوحي، أو بين النبوة وتحديث الملائكة. وعليه فإن كون الرسول صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء والرسول يقتضي عدم نزول الملائكة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا دليل على عدم صحة قصّة المصحف المذكور، وقد اعتمد على هذا النحو من الاستدلال عبدالله القصيمي في كتابه الموسوم بـ «الصراع بين الاسلام والوثنية» متّهماً الشيعة الامامية بأنهم يزعمون لفاطمة وللأئمة من ولدها ما يزعمون للأنبياء والرسول^١. كلّ ذلك اعتماداً على الملازمة المزعومة بين تكليم الملائكة وبين النبوة. وهذه غفلة ما بعدها غفلة.

تعال معي إلى كتاب الله عزّ وجلّ وهو يتحدث عمّن كلّتهم الملائكة أو أوحى الله سبحانه وتعالى إليهم:

١ - ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ...﴾^٢.

٢ - ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ﴾^٣.

٣ - ﴿فَإَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾^٤.

٤ - ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى... وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ

(١) الأميني، الغدير ٥: ٥٠-٥١، نقلاً عن الصراع بين الوثنية ١: ١ و ٢: ٣٥.

(٢) مريم: ١٧-١٩.

(٣) آل عمران: ٤٢ و ٤٥.

وَمِنْ ذَرَاءِ إِسْحَاقَ يَغْقُوبُ * قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَغْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ...!.

فهذه نماذج من النساء حدثنا القرآن الكريم عنهن ولم يكن نبيات، ومع ذلك شاهدن الملائكة وحدثنهم، أو أوحى إليهن بأسلوب آخر غير تحديث الملائكة، ولم يستنكر ذلك أحد. ففاطمة عليها السلام دلت النصوص على أنها كانت محدثة ولم تكن نبيّة، وكذلك تقول الشيعة الامامية بالنسبة لأئمة أهل البيت عليهم السلام دون أن يدعي أحد منهم لهم النبوة، إذ لا تلازم بينهما كما تقدم.

ثم إن الاعتقاد بنزول الملائكة على فاطمة الزهراء سلام الله عليها لا يعدّ غلوّاً، ولا مبالغة في فضلها، فهي سلام الله عليها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وأفضل من مريم بنت عمران ومن سارة امرأة إبراهيم عليه وعلى نبينا السلام، وقد ثبت بالنصوص القرآنية مشاهدتهما للملائكة وتكليمهما لهم، فأَيُّ غلوٍّ في نسبة مثل ذلك لمن هي أفضل منهما؟

روى البخاري عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «فاطمة سيدة نساء أهل الجنة»^١.

وروى مسلم عنه صلى الله عليه وآله أنه قال لها: «يا فاطمة أما ترَضِينَ أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة»^٢.

وهي سلام الله عليها ممن نزلت بهم آية المباهلة والتطهير وضمّهم الكساء. ومن الجدير بالذكر أن الوحي له أساليب وأغراض متعدّدة، ولا تلازم بين الوحي والنبوة، وإن كان كل نبي لا بدّ أن يوحى إليه، وكذلك لا تلازم بين الوحي والقرآنية، فبالنسبة للرسول صلى الله عليه وآله لم يكن كل ما نزل عليه من الوحي قرآناً، فهناك الأحاديث القدسية وهناك تفسير القرآن وتأويله، والإخبار بالموضوعات الخارجية وأمثال ذلك

(٢) صحيح البخاري ٤: ٢٠٩ - ٢١٩.

(١) هود: ٦٩ - ٧٣.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦: ٦ - ٧.

وكلها ليست قرآناً.

فاتضح أن تحديث الملائكة للزهراء سلام الله عليها لم يكن من الوحي النبوي ولا من الوحي القرآني.

المحدثون عند أهل السنة:

إذا كان تحدّث الملائكة مع أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً غلواً، فلنلقِ نظرة على كتب الحديث والسيرة والتاريخ عند أهل السنة، لنرى كيف يدّعي تحدّث الملائكة مع الكثير من رجالهم:

١- أخرج البخاري في مناقب عمر بن الخطاب - ويعد حديث الغار - عن أبي هريرة، وأخرج مسلم في فضائل عمر أيضاً عن عائشة: أن عمر بن الخطاب كان من المحدثين. وقد حاول شراح البخاري أن يؤولوه بأن المراد أنه من الملهمين أو من الذين يلقي في روعهم أو يظنون فيصيبون الحق فكأنه حدّث.. وهو كما ترى تأويل لا يساعد عليه ظاهر اللفظ. ولأجل ذلك قال القرطبي: إنّه ليس المراد بالمحدثين المصبيين فيما يظنون، لأنه كثير في العلماء، بل وفي العوام من يقوى حدسه فتصح إصابته، فترفع خصوصية الخبر وخصوصية عمر^١.

٢- ممن ادّعي أن الملائكة تحدّثهم عمران بن الحصين الخزاعي المتوفى سنة ٥٢ هـ قالوا: كانت الملائكة تسلّم عليه حتّى اكنوى بالنار فلم يسمعهم عاماً، ثم أكرمه الله برّد ذلك^٢.

٣- ومنهم أبو المعالي الصالح المتوفى سنة ٤٢٧ هـ، روى أنه كلمته الملائكة في

(١) صحيح البخاري ٤ : ٢٠٠، وصحيح مسلم بشرح النووي ١٥ : ١٦٦، وسنن الترمذي ٥ : ٥٨١ وراجع: إرشاد الساري شرح صحيح البخاري ٦ : ٩٩ و ٥ : ٤٣١.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى ٧ : ١١ و ٤ : ٢٨٨ - ٢٨٩، ومعجم الطبراني الكبير ١٨ : ١٠٧ ح ٢٠٣.

صورة طائر ١.

٤- أبو يحيى الناقد المتوفى سنة ٢٨٥هـ، روى أنه كَلَّمْتُهُ الحوراء ١.

وأمثال هذه المرويات في كتب السنة غير قليل، ولم يستنكر ذلك أحد ولم يتهم أصحابها بالغلو.

ومما يدل على عدم الملازمة بين تحديث الملائكة والنبوة ما رواه الكليني عن حمran بن أعين قال: قال أبو جعفر [الباقر] عليه السلام: «إن علياً كان محدثاً»، فخرجت إلى أصحابي فقلت: جئتكم بعجبية فقالوا: وما هي؟ فقلت: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: كان علي عليه السلام محدثاً، فقالوا: ما صنعت شيئاً، ألا سألته من كان يحدثه، فرجعت إليه.. فقال لي: يحدثه ملك، قلت: تقول: إنه نبي؟ قال: فحرك يده - هكذا ٢ - أو كصاحب سليمان أو كصاحب موسى أو كذي القرنين أو ما بلغكم أنه قال: وفيكم مثله ٣؟

وفي «بصائر الدرجات» هذا الخبر هكذا: عن حمran بن أعين قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ألسنت حدثني أن علياً كان محدثاً؟ قال: بلى. قلت: من يحدثه؟ قال: ملك. قلت: فأقول: إنه نبي أو رسول؟ قال: لا. بل مثله مثل صاحب سليمان ومثل صاحب موسى، ومثل ذي القرنين ٤، [أما بلغك أن علياً سُئل عن ذي القرنين، فقالوا: كان نبياً؟ قال: لا، بل كان عبداً أحب الله فأحبّه وناصح الله فناصره] ٥.

ولابد من الإشارة إلى بعض رواياتنا التي تتحدث عن مصحف فاطمة أنه من إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط علي عليه السلام:

١- فعن علي بن سعيد عن أبي عبد الله عليه السلام: «.. وعندنا والله مصحف فاطمة، ما فيه آية

(١) ابن الجوزي، المنتظم ٩: ١٣٦. وصفة الصفوة ٢: ٢٨٠.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم ٦: ٨، والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ٨: ٣٦٢.

(٣) لعل المراد أنه أشار بيده نفيًا، و«أو» لعلها من زيادة النساخ، ولعلها هو، وفي البصائر: وكصاحب سليمان..

(٤) الكليني، الكافي ١: ٢٧١. (٥) الصغار، بصائر الدرجات: ٣٢٣ ط. المرعشي.

(٦) الأميني، الغدير ٥: ٤٨ عن بصائر الدرجات، إلا أن في البصائر المطبوعة سقطت هذه العبارة.

من كتاب الله وانه لإملاء رسول الله ﷺ وخط علي عليه السلام^١.

٢- عن محمد بن مسلم عن أحدهما عليه السلام: «... وخلفت فاطمة مصحفاً ما هو قرآن ولكنه كلام من كلام الله أنزل عليها إملاء رسول الله ﷺ وخط علي^٢».

٣- عن علي بن أبي حمزة عن أبي عبد الله عليه السلام: «... وعندنا مصحف فاطمة عليها السلام أما والله ما فيه حرف من القرآن ولكنه إملاء رسول الله ﷺ وخط علي^٣».

هذه الروايات الثلاث تخالف الروايات المستفيضة المتقدمة في حقيقة مصحف فاطمة، حيث ذكرت أنه «إملاء رسول الله»، والثانية منها لا تخلو من تهافت حيث جعلته كلاماً من كلام الله أنزل عليها، وفي عين الحال جعلته من إملاء رسول الله ﷺ، ولو كان من إملاء الرسول ﷺ لما كان منزلاً عليها بل عليه. والحاصل أنه لا بد من علاج هذه الروايات أو طرحها، والعلاج بأحد وجوه:

١- ربما كان من باب اشتباه الراوي أو الناسخ، حيث خلط بين الصحيفة الجامعة التي أملاها رسول الله ﷺ على علي عليه السلام وخطها بيمينه، وبين مصحف فاطمة الذي بينت الروايات أنه حدث الملك به فاطمة وكتبه علي عليه السلام، خاصة كون الاثنين واردين معاً في نفس النصوص المذكورة.

٢- أن يكون المراد من رسول الله في هذه الأخبار الملك الذي كان يحدث فاطمة عليها السلام، لا النبي ﷺ (كما احتمله المجلسي).

٣- كما يحتمل أن يكون مصحف فاطمة عليها السلام متضمناً لبعض المعارف التي تلقتها عن أبيها رسول الله ﷺ بالإضافة إلى ما تقدم من الأمور التي كان يحدثها بها الملك، ولعل الرواية التي تذكر شمول المصحف المذكور لوصية فاطمة عليها السلام تقصد هذا. فيصح عندئذ

(١) المجلسي بحار الأنوار ٢٦: ٤١، ٤٧: ٢٧١، والصفار، بصائر الدرجات: ١٥٣ ط. المرعشي.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار ٢٦: ٤٢، والصفار، بصائر الدرجات: ١٥٥ ط. المرعشي.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار ٢٦: ٤٨ - ٤٩، والصفار، بصائر الدرجات: ١٦١ ط. المرعشي.

أنه من إمام رسول الله ﷺ بهذا الاعتبار، والله أعلم.

وعلى أي حال فهذا لا يضر بمقصودنا، وهو نفي التهمة التي يتمسك بها المخالفون، حيث صرحت جميع الأخبار - بما فيها هذه الثلاثة المتقدمة - بنفي القرآنية عن مصحف فاطمة.

في نهاية المطاف نذكر أن المصحف المذكور بقي عند أئمة أهل البيت (عليهم السلام) يتوارثونه مع بقية الكتب المتضمنة لعلوم الأنبياء والرسل الماضين، ومع صحيفة الأحكام الجامعة التي أملاها رسول الله ﷺ على علي (عليه السلام)، وستعرض إن شاء الله في فرصة أخرى لهذه الصحيفة بشكل مستقل. وقد كان هذا الميراث العلمي يشكل أحد علائم الإمامة الكبرى.

المهم هو الإشارة إلى أن مصحف فاطمة كبقية الصحف والكتب لم تنتقل إلى غيرهم (عليهم السلام)، ولم تصل إلى شيعتهم، وليس هناك أي واقع لما يدّعيه افتراء بعض الكتاب من كون هذا المصحف متداولاً في بعض مناطق الشيعة، لا في بلاد الحجاز ولا في غيرها، والمؤسف أن أصحاب هذه الأقلام يطلقون العنان لأقلامهم دون تدبر ولا تثبت، ويأخذون معلوماتهم من العوام، ويصدقون كل مقولة للطعن والتشنيع، فيثبتونها في كتبهم لتصبح بعد ذلك مصادر يعتمد عليها المأجورون والساعون وراء تفريق المسلمين وزرع الفتن بينهم.

التقية .. في آراء علماء المسلمين

الشيخ عباس عباي براني

مفهوم التقية

التقية اسم مصدر من الاتقاء يقال: اتقى الرجل الشيء يتقيه إذا اتخذ ساتراً يحفظه من ضرره، ومنه الحديث: «اتقوا النار ولو بشق تمرة».

والتقاء والتقية والتقوى والتقى والاتقاء كلها بمعنى واحد في استعمال أهل اللغة^(١). وهي في الاصطلاح معنى اتقاء العباد بعضهم بعضاً، وأصله مأخوذ من قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَقُوا مِنْهُمْ تَقَاةً﴾.

وقد عرّفه السرخسي بقوله: إن التقية أن يقي الإنسان نفسه بما يظهره وإن كان يضره خلافه^(٢).

وعرّفه ابن حجر العسقلاني بقوله: التقية الحذر من إظهار ما في النفس من معتقد وغيره للغير^(٣).

فقد ظهر أن التقى والتقية معناها إظهار خلاف ما في الباطن من قول أو عمل نتيجة

(١) لسان العرب، مادة "وقى".

(٢) المبسوط: ٢٤، ٤٥، بيروت، دار المعرفة، بالأوفست من طبعة القاهرة.

(٣) فتح الباري ١٢: ٣١٤، المكتبة السلفية، القاهرة، ١٣٧٢هـ.

قهر أو خوف يواجهه الإنسان، احترازاً من الوقوع في مكروه أو التعرض لضرر، وهو من جملة «الإكراه» بالمصطلح الشرعي، ولذلك بحث عنها كثير من الباحثين من المفسرين والرواة والفقهاء تحت عنوان «الإكراه» وأدجوها (التقية) تحت الإكراه. وذكروا مسائل من جملتها الإكراه على الكفر، الإكراه على البيع، و... إلخ.

التمييز بين التقية وبين مفاهيم أخرى

هناك مفاهيم يمكن أن تلتبس بالتقية أو يوهم البعض اتحادها مع التقية، وفيما يلي نشير إليها وإلى الفوازيق الموجودة بينها وبين التقية:

١- النفاق

النفاق اصطلاحاً، إخفاء الكفر وإظهار الإيمان^١. مع أن التقية عادة تستعمل في العكس من ذلك، أي إخفاء الإيمان والعقيدة الصحيحة، وإظهار ما يوافق الظالم أو المتغلب أو الكافر ليرتفع الضرر والخطر. هذا بحسب المصطلح الشرعي. ولكن قد يحصل الخلط بينهما، كما قال ابن تيمية: أساس النفاق الذي بني عليه هو الكذب، وأن يقول الرجل بلسانه ما ليس في قلبه، كما أخبر الله تعالى عن المنافقين أنهم: ﴿يَقُولُونَ بِالْمِثْقَلِ مَا يُؤْمِنُونَ﴾^٢.

والصلة بين التقية وبين النفاق، أن المنافق كافر في قلبه، لكنه يظهر بلسانه وظاهر حاله أنه مؤمن ويعمل أعمال المؤمنين ليأمن على نفسه في المجتمع الإسلامي، وليحصل على الميزات التي يحصل عليها المؤمنون، فهو مغاير للتقية، لأنها إظهار المؤمن عند الخوف على نفسه ما يأمن به من أمارات الكفر أو المعصية، مع كراهته لذلك في قلبه واطمئنانه بالإيمان^٣.

(١) الفيومي، المصباح المنير ٢: ٧٥٧، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

(٢) منهاج السنة النبوية ١: ١٥٩، مطبعة بولاق. (٣) الموسوعة الفقهية الكويتية ١٣: ١٨٩.

٢- المداھنة

معنى المداھنة كما قال ابن حبان: متى تخلّق المرء بخلق يشوبه بعض ما يكرهه الله فتلك هي المداھنة^١. وقال تعالى: ﴿وَدَّوْا لَوْ تُدْهِىٰ فَيَذٰهِنُوْنَ﴾^٢ وفسره الفراء بقوله: ودّوا لو تلين في دينك فيلينون.

والفرق بين المداھنة والتقية أن التقية لا تحلّ إلا لدفع الضرر، أما المداھنة فلا تحلّ أصلاً، لأنها اللين في الدين وهو ممنوع شرعاً.

٣- المداراة

والمقصود من المداراة، ملاينة الناس ومعاشرتهم بالحسنى من غير ثلم في الدين من أيّ جهة من الجهات^٣، والإغضاء عن مخالفتهم في بعض الأحيان، وأصلها المداراة بالهمزة من الدره وهو الدفع، والمداراة مشروعة، وذلك لأنّ وداد الناس لا يستجلب إلاّ بمساعدتهم على ما هم عليه، والبشر قد ركّب فيهم أهواء متباينة وطباع مختلفة، ويشق على النفوس ترك ما جُبلت عليه. فليس إلى صفو ودادهم سبيل إلاّ بمعاشرتهم على ما هم عليه من المخالفة لرأيك وهواك^٤.

والفرق بين المداراة والتقية، أنّ التقية غالباً لدفع الضرر عند الضرورة، وأمّا المداراة فهي لدفع الضرر وجلب النفع^٥.

فعلى هذا البيان، يمكن أن تتحد التقية والمداراة في بعض الأحيان، بأن تكون التقية للحفاظ على العلاقات الودّية فقط، حتى يستطيع الإنسان المؤمن أن يحقق أهدافه الدينيّة من هداية الناس، ولا يشير سخطهم ويوجب هجرانهم ومنافرتهم.

وقد روي عن النبي ﷺ في ما تضافر من الأثر، أنه كان يأمر بمداراة الناس ويراه

(١) روضة العقلاء: ٥٦، القاهرة، مصطفى الحلبي.

(٢) روضة العقلاء: ٥٦.

(٣) سورة القلم: ٩.

(٤) الموسوعة الفقهيّة الكويتيّة ١٣: ١٨٦.

(٥) نفس المصدر.

رأس العقل بعد الإيمان بالله، وكذلك كثرت الروايات في أنَّ الدعوة يجب أن تكون بأسلوب نفسي متوازن، وأن تكون بالبشارة لا بالتنفير كما يقول النبي الكريم ﷺ «بشروا ولا تنفروا وبشروا ولا تعسروا».

وعلى الداعية الإسلامي أن يتدرج في بيان الحقائق الدينية، ويستمد من البرهنة العقلية والإعلام المنهجي، ويخاطب الناس بما يفهمون كما أمر به الرسول ﷺ حتى يجد الدين مكانته في قلوب الناس، فإن الدين الإسلامي لم ينتشر في العالم بالقهر والقوة بل بالإعلام والدعوة والحوار الهادئ الهادف.

التقية في القرآن الكريم والتفسير

يقول ابن كثير (ت ٧٤٧هـ): اتفق العلماء على أن المكره على الكفر يجوز له أن يوالي إبقاء مهجته ويجوز له أن يأبى كما كان بلال رضي الله عنه.^١

ويضيف قائلاً: وأما قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾^٢ فهو استثناء ممن كفر بلسانه ووافق المشركين بلفظه مكرهاً، لما ناله من ضرب وأذى، وقلبه يأبى ما يقول وهو مطمئن بالإيمان بالله ورسوله، وقد روى العوفي عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر حين عذبه المشركون حتى يكفر بمحمد ﷺ، فوافقهم على ذلك مكرهاً وجاء معتذراً إلى النبي ﷺ، فنزلت هذه الآية. وهكذا قال الشعبي وقَتادة وأبو مالك.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن عبد الكريم الجرزي عن أبي عبيدة محمد بن عمار بن ياسر، قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر فعذبوه، حتى قاربهم في بعض ما أرادوا، فشكا ذلك إلى النبي ﷺ، فقال

(١) تفسير القرآن العظيم ٢: ٥٨٨، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

(٢) النحل: ٨٠٦.

النبي ﷺ: «كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئن بالإيمان. قال النبي ﷺ: إن عادوا فعد». ورواه البيهقي بأبسط من ذلك، وفيه أنه سب النبي ﷺ وذكر آلهتهم بخير، فشكا ذلك إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما تركت حتى سببتك وذكر آلهتهم بخير. قال: «كيف تجد قلبك؟ قال مطمئناً بالإيمان. قال: إن عادوا فعد». وفي ذلك أنزل الله: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾^١.

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾^٢. قال فيها: «إلا أن تتقوا منهم تقاة أي من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرهم فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه وثبته. كما قال البخاري عن أبي الدرداء أنه قال: إنا لنكشر في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم. وقال الثوري: قال ابن عباس: ليس التقيّة بالعمل إنما التقيّة باللسان. وكذا رواه العوفي عن ابن عباس: إنما التقيّة باللسان، وكذا قال أبو العالية وأبو الشعثاء والضحاك والربيع بن أنس، ويؤيده قول الله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ الآية، وقال البخاري: قال الحسن: التقيّة إلى يوم القيامة»^٣.

وبهذا يظهر أن التقيّة حكم فقهي لا يختص القول به بمذهب دون مذهب، بل هو حكم أنزله الله في كتابه ولم ينسخ، بل جاءت السنّة وعمل الخلفاء في تقريره وتوكيده، كما تعاضده الشواهد المذكورة في الصفحات التالية:

قال القرطبي في شرح آيات التقيّة ما هذا نصّه:

«والقضيّة - أي التقيّة - لا تحلّ إلّا مع خوف القتل أو القطع أو الإيذاء أو الضرر

(١) تفسير القرآن العظيم ٢: ٥٨٧؛ وراجع: الحاكم، مستدرک الصحيحين ٢: ٢٥٧، دار الكتاب العربي، والطبري، التفسير ٤: ١٨٢.

(٢) آل عمران: ٢٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم ١: ٣٥٧؛ والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٤: ٥٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت، والطبري، تفسير الطبري ٦: ٢٢٨، ٣١٣ ط. مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٣٧٣هـ.

العظيم. ومن أكره على الكفر فالصحيح له أن يتصلّب ولا يجيب إلى التلقّف بكلمة الكفر بل يجوز له ذلك^١. بل حكى الإجماع على الرخصة وإن أفتي بأفضليّة اختيار القتل، وقال: أجمع العلماء على أنّ من أكره على الكفر فاختر القتل أنّه أعظم عند الله ممّن اختار الرخصة، واختلفوا فيمن أكره على غير القتل من فعل ما لا يحلّ له^٢.

هذا وإن من خالف جواز التقيّة من الصحابة والتابعين على قتلهم - وهم معاذ بن جبل ومجاهد - أيضاً موافقون في أصل تشريعها ونزول القرآن وثبوت السنّة بها، ولكن يجتهدون في ذلك فيما بعد ويقولون: «كانت التقيّة في جدّة الإسلام قبل قوّة المسلمين، فأما اليوم فقد أعزّ الله الإسلام أن يتّقوا من عدوّهم»^٣.
فقد أدّى اجتهادهم إلى أنّ الظروف والملابسات في عصرهم لا تسمح بالتقيّة، وتبعهم في ذلك قوم من متأخريهم.

التقيّة في السنّة النبويّة

لا تخلو كتب السنّة من روايات صحيحة في جواز التقيّة في عصر، وفيما يلي نأتي بجملة منها:

١ - روى البخاري في كتاب الإكراه:

قول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَذْرًا فَعَلَيْنَاهُمْ عَذَابًا مِنْ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^٤ وقال: ﴿إِلَّا أَنْ تَقُوا مِنْهُمْ تَهَاةً﴾^٥ وهي تقيّة. وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾^٦ فعذر الله المستضعفين الذين لا يمتنعون عن ترك ما أمر الله به، والمُكرّه لا يكون إلّا

(٢) المصدر نفسه ١٠: ١٨٨.

(٤) النحل: ١٠٦.

(٦) النساء: ٩٧.

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٤: ٥٧.

(٣) المصدر نفسه ٤: ٥٧.

(٥) آل عمران: ٢٨.

مستضعفاً غير ممتنع من فعل ما أمر به. وقال النبي ﷺ: «الأعمال بالنية»^١.

٢ - أخرج ابن أبي شيبة عن الحسن، أن مسيلمة الكذاب أخذ رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ فقال لأحدهما: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم. نعم. قال: أتشهد أني رسول الله؟ قال: نعم. وكان مسيلمة يزعم أنه رسول بني حنيفة وأن محمداً رسول قريش، ثم دعا بالآخر فقال: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم. قال: أتشهد أني رسول الله؟ قال: إني أصم، قالها ثلاثاً [في] كل ذلك يجيب بمثل الأول، فضرب عنقه. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «أما ذلك المقتول فقد مضى على صدقه ويقينه وأخذ بفضلته فهنيئاً له، وأما الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه»^٢.

٣ - روى الحاكم والبيهقي وغيرهما عن محمد بن عمار عن أبيه: أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سب النبي ﷺ وذكر ألهمهم بخير، فلما أتى النبي عليه الصلاة والسلام قال: «ما وراءك؟» قال: شر يا رسول الله، ما تركت حتى نلت منك، وذكرت ألهمهم بخير، فقال ﷺ: «كيف تجد قلبك؟» قال: مطمئناً بالإيمان، قال ﷺ: «فإن عادوا فعد»^٣.

٤ - جاء في الحديث الصحيح: «الله وضع عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»^٤.

إلى غير ذلك من الروايات المنثورة في المجموعات الحديثية، ولذلك لم يذهب أحد من العلماء إلى نفيه بتاتاً وإنكاره من رأس، وإنما الخلاف في أمور يسيرة فرعية

(١) صحيح البخاري ٩: ٣٤ - ٣٥، عالم الكتب، بيروت، بالوفست من طبعة إدارة الطباعة المنيرية، بدون تاريخ.

(٢) مسند ابن أبي شيبة ١٢: ٣٥٨ طبعة السلفية.

(٣) ابن جرير، تفسير الطبري ١٤: ١٨٢، ط. الحلبي، والحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین ٢: ٣٥٧، ط. دائرة المعارف العثمانية.

(٤) ابن ماجه، السنن ١: ١٥٩، ط. الحلبي، السخاوي، المقاصد، ص ٢٣٠، ط. الخانجي، والطبراني، المعجم الكبير، والحاكم النيسابوري، المستدرک.

كما ستقف عليه.

التقية في كلمات الصحابة

كان الصحابة يقولون بجواز التقية عند الإكراه والإيذاء، وفيما يلي نصوص تدل على ذلك، مضافاً إلى ما مرّ عليك:

- ١ - ما كلام يدرأ عني سوطين إلا كنت متكلماً به^١.
- ٢ - قال عمر بن الخطاب: ليس الرجل آمناً على نفسه إذا أخفته أو أوثقته أو ضربته^٢.
- ٣ - قال ابن عباس في تفسير آية: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ نهى الله المؤمنين أن يلاطفوا الكفار، أو يتخذوهم وليجة من دون المؤمنين، إلا أن يكون الكفار عليهم ظاهرين، فيظهرون لهم اللطف ويخالفونهم في الدين^٣.
- ٤ - قال القرطبي: والتقية لا تحل إلا مع خوف القتل أو القطع أو الإيذاء أو الضرر العظيم، ولم ينقل ما يخالف ذلك فيما نعلم إلا ما روي عن معاذ بن جبل من الصحابة ومجاهد من التابعين^٤.

وكثير من الصحابة والتابعين أفتوا بجوازها، بل يوجبونها في ظروف عصيبة يؤدي التذمر والتجلد فيها إلى تعريض المسلمين للدمار والهلاك، بحيث يؤدي استشهادهم إلى ثلم في الدين، وتأخير للنصر، وإضاعة للجهود المبذولة في نشر الدين الحنيف، واستيلاء العدو الكافر أو الظالم الغاشم. وعلى ذلك كان عمل الصحابة والتابعين، وعملهم حجة عند أهل السنة والجماعة، بل عملهم نفس السنة عندهم.

إن الخليفة عمر بن الخطاب لما سمع من الأسرى المسلمين العائدين من الروم أن واحداً منهم - وهو عبدالله بن حذافة - قبّل رأس القيصر، وبذلك نجّى عدداً من

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٠: ١٩٠، وابن حجر، فتح الباري ١٢: ٣١٤.

(٢) نفس المصدر (القرطبي).

(٣) تفسير الطبري ٦: ٢٢٨، ٣١٣، ط. مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٣٧٣هـ.

(٤) المصدر.

الأسرى المسلمين من الإعدام والاستشهاد، فإنَّ عمر قبَّل رأس هذا الأسير المسلم وقال: يجب على كلِّ مسلم أن يقبِّل رأسه^١.

وقال ابن عباس: فيمن يُكرِّهه اللصوص فيطلق: ليس بشيء^٢.
وقال ابن عمر، وابن الزبير: قال النبي ﷺ: «الأعمال بالنية»^٣.

التقية في كلمات التابعين:

١ - قال الحسن البصري: التقية جائزة للمؤمن إلى يوم القيامة^٤، إلا أنَّ الله تبارك وتعالى ليس يجعل في القتل تقية^٥.

٢ - كان الشعبي (ت ١٠٤ هـ) يعمل بالتقية، وكان ينال من الحسن البصري وأبي حازم سلمة بن دينار لعدم مراعاتهما التقية. أمَّا سليمان بن عبد الملك الأموي فكان يلوم الحسن لصراحة لهجته أمام الحجاج بقوله: أغضبت الأمير وأوغرت صدره^٦.
هذا غيظ من فيض، والباحث المتتبع إذا أراد الاستقصاء يستطيع أن يحصل على نماذج كثيرة ومواطن جمَّة من أقوالهم وأفعالهم في هذا المجال، وقد تركنا الإسهاب روماً للاختصار.

التقية في كلمات الفقهاء:

١ - قال السرخسي: إنَّ هذا النوع [يعني النطق بكلمة الكفر تقية] يجوز لغير الرسل،

(١) ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب ٥: ١٨٥، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، الهند، ١٣٢٦ هـ.

(٢) البخاري، الصحيح ٩: ٣٥ (كتاب الإكراه) عالم الكتب، بيروت.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) السيوطي، الدر المنثور ٥: ١٧٢، فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب ٨: ٢٨، ابن حجر العسقلاني، فتح الباري

(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١: ١٩٠.

١٢: ٢١١، ط. السلفية.

فأما في حق المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين فما كان يجوز ذلك فيما يرجع إلى أصل الدعوة إلى الدين الحق^١.

٢ - قال ابن قدامة: لا تجوز الصلاة خلف المبتدع والفاسق في غير جمعة وعيد يصلّيان بمكان واحد من البلد، فإن من خاف منه إن ترك الصلاة خلفه فإنه يصلّي خلفه تقيّة ثم يعيد الصلاة. واحتجوا بما روي عن جابر أنه قال: سمعت النبي ﷺ على منبره يقول: لا تؤمن امرأة رجلاً ولا يؤمن أعرابي مهاجراً ولا يؤمن فاجر مؤمناً إلا أن يقهره بسلطان أو يخاف سوطه أو سيفه^٢.

٣ - وقد أخذ العلماء في عهد المأمون والمعتصم وامتحنوا ليقولوا بخلق القرآن، وكان ذلك بمشورة بعض من المعتزلة^٣، فلما هدد العلماء وأوذوا قالوا بذلك فتركوا، ولم يثبت منهم في المحنة إلا أربعة أو خمسة مات بعضهم في السجن^٤، منهم أبو غسان مالك بن إسماعيل، وأبو الظاهر وأبو جعفر الأيلي، ويحيى بن عبد الله بن بكير، والأصم^٥.

هل تجوز التقيّة فيما بين المسلمين؟

من الممكن هنا أن يثار سؤال، وهو أن التقيّة بعد تسليم جوازها تختص بحالة وقوع المؤمن بين الكفار، وأما بين أهل نحلته ودينه - أي المسلمين - فهل تجوز؟، وفيما يلي نأتي بنصوص وحكايات حتى يظهر أن الحكم سواء، فإذا تعرّض المسلم للقتل

(١) المبسوط ٢٤ : ٤٥، ابن حجر، وفتح الباري ١٢ : ٢١١، القاهرة، ط. السلفية ١٣٧٢، والرازي، مفاتيح الغيب، ٨ : ١٤.

(٢) المغني في الفقه ٢ : ١٨٦، ١٩٢، وابن ماجه، كتاب السنن ١ : ٣٤٣ ط. عيسى الحلبي، القاهرة.

(٣) وهو أحمد بن أبي دؤاد وزير المأمون.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية ١ : ٣٢٤ و٣٣٥، مطبعة السعادة، القاهرة.

(٥) أبو العرب التميمي (ت ٢٣٣هـ)، كتاب المحن، ص: ٤٤٢ - ٤٤٣، ط ٢، تحقيق الدكتور يحيى وهيب الجبوري، بيروت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

والتعذيب والملاحقة والضغط والكبت يجوز له إظهار ما ينجيه من العذاب شريطة أن لا يؤدي ذلك إلى هدم الدين، لأن فلسفة التقيّة هي حفظ الدين وصيانة المؤمنين، وإليك النصوص:

١ - ظاهر الآية يدلّ على أنّ التقيّة إنّما تحلّ مع الكفار الغالبيين، إلّا أن مذهب الشافعي: أنّ الحالة بين المسلمين إذا شاكلت الحالة بين المسلمين والمشركين حلّت التقيّة محاماة على النفس^١.

٢ - والحنابلة أيضاً فتواهم على العموم، أي لا يفرّقون بين أن يكون القاهر والمُكره والخوف منه مسلماً أو كافراً، ويعتقدون أن من ترك واجباً أو فعل محرّماً بسبب الخوف والإكراه، فلا إثم عليه^٢.

لقد أدرج فقهاء الإسلام التقيّة في باب «الإكراه» وبحثوا عن أحكامها هناك، قال ابن حجر العسقلاني في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾^٣: الكفر يكون بالقول والفعل من غير اعتقاد، وقد يكون بالاعتقاد، فاستثنى الأول وهو المكره^٤.

معنى الإكراه المبيح للتقية

وقد فسروا الإكراه بقولهم: «حمل الإنسان على شيء يكرهه»^٥. وجاء عنهم: يقال: أكرهت فلاناً إكراهاً، حملته على أمر يكرهه، والكره بالفتح اسم منه^٦.

(١) الرازي، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ٨: ١٤، الموسوعة الفقهيّة الكويتيّة، ١٣ / ٢١٩١: ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.

(٢) اللجنة الدائمة للبحوث العلميّة والإفتاء [في السعودية]، فتاوى اللجنة، ٤ (التفسير)، دار أولي النهى، الرياض، ١٤١١ هـ.

(٣) النحل: ١٠٦.

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٢: ٣١٤.

(٥) ابن عابدين، ردّ المحتار على الدرّ المختار ٥: ٨٠.

(٦) مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، ٢: ٤١٢.

وجاء في تعريف آخر: حمل الغير على أمر يمتنع عنه بتخويف يقدر الحامل على إيقاعه ويصير الغير خائفاً به^١.

شروط الإكراه

المعنى المذكور في التعريف السابق، فسروه بالخوف ولو ممّا يفعله الحكام الظلمة بالمتهمين كيداً. فإذا كان الدافع هو الحياء مثلاً، أو التودّد فليس بإكراه^٢. قال أكثر الفقهاء: إنّ النيل بشيء من العذاب كالضرب والخنق والمصر والحبس والغطّ في الماء مع الوعيد يكون إكراهاً بلا إشكال، فأما الوعيد بمفرده فليس بإكراه في رواية، وفي رواية أخرى هو إكراه إذا خاف القتل أو الضرب الشديد^٣. ومن شروط الإكراه، ثلاثة أمور:

- ١ - أن يكون الإكراه من قادر بسلطان أو تغلب كاللص وغيره.
- ٢ - أن يغلب على ظنّه نزول الوعيد به إن لم يجبه على ما طلبه.
- ٣ - أن يكون ممّا يستضرّ به ضرراً كثيراً كالقتل والضرب الشديد والقيّد والحبس الطويلين... وإن توعدّ بتعذيب ولده فالأولى أن يكون إكراهاً، وقيل ليس بإكراه^٤. وقال عمر بن الخطاب: ليس الرجل أميناً على نفسه إذا أوجعته أو ضربته أو أوثقته^٥. وقد وسّعوا في هذه الأسباب، وقالوا، بأنّه يشمل تيقّن إيقاع الضرر واحتماله، وهذا الضرر أعمّ من أن يكون واصلاً إلى النفس أو إلى الغير القريب، والضرر بالمال النفيس دون التافه، وفيما يلي كلماتهم في ذلك الصدد:

(١) البردوي، كشف الأسرار ٤: ١٥٠٣.

(٢) ابن عابدين، ردّ المحتار على الدرّ المختار ٥: ٨٠ و٨٩، المنحة على تحفة ابن عاصم ٢: ٤١.

(٣) ابن قدامة (ت ٦٢٠)، المغني ٨: ٢٦٠ و٧: ١١٩. ط. دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.

(٤) نفس المصدر ٨: ٢٦١ و٧: ١٢٠.

(٥) نفس المصدر ٨: ٢٦٠.

١ - التهديد:

الفاعل الواقع على المكره قد يكون تهديداً بأخذ أو حبس ماله الذي له وقع، لا التافه الذي لا يعتد به، أو تهديداً بالفجور بامرأته إن لم يطلقها^١.

وفي الأثر عن عمر: أنَّ رجلاً في عهده تدلَّى يشتر [يستخرج] عسلاً فوقفت امرأته على الحبل وقالت: طلقني ثلاثاً وإلا قطعته، فذكرها الله والإسلام فقالت: لتفعلن أو لأفعلن، فطلقها ثلاثاً، ورفعت القصّة إلى عمر، فرأى طلاق الرجل لغواً وردّ عليه المرأة^٢. ولذلك لم يفرق ابن قدامة بين التهديد المجرّد والتهديد مع الفعل^٣.

٢ - أمر السلطان:

الحنفيّة يقولون: أمر السلطان إكراه وإن لم يتوعّد، وأمر غيره ليس بإكراه إلا أن يعلم تضمّنه التهديد بدلالة الحال^٤.

أحكام التقيّة:

التقيّة مشروعة لحفظ حياة المسلم وماله وعرضه بشرط أن يكون قادراً على حفظ دينه أيضاً، وأمّا إذا أوجبت التقيّة هدم الدين، فلا تجوز باتفاق العلماء. أمّا علماء السنّة فقد مرّ عليك ما جاء منهم، وأمّا علماء الشيعة ففي ما يلي نشير إلى كلماتهم في هذا المضمّن:

قال الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ):

فأمّا إقامة الحدود فهو إلى سلطان الإسلام المنصوب من قبل الله تعالى وهم أئمة

(١) ابن عابدين، ردّ المحتار ٥: ٨٠، وتحفة المحتاج ٧: ٣٧، والمنحة على تحفة ابن عاصم ٢: ٤١، فروع ابن مفلح ٣: ١٧٦.

(٢) البيهقي، السنن ٧: ٣٥٧، ط. دائرة المعارف العثمانية.

(٣) المغني ٨: ٢٦١، الشرح الكبير، ٨: ٣٤٣، الشوكاني، نيل الأوطار ٦: ٢٦٨.

(٤) إتحاف الأبصار: ٤٤، والأناسي، المجلّة ٣: ٥٦١.

الهدى من آل محمد ﷺ. ومن نصّبوه لذلك من الأمراء والحكام، وقد فوّضوا النظر فيه إلى فقهاء شيعتهم مع الإمكان، فمن تمكّن من إقامتها على ولده وعبدّه ولم يخف من سلطان الجور إضراراً به على ذلك فليقمها، ومن خاف من الظالمين اعتراضاً عليه في إقامتها أو خاف ضرراً بذلك على نفسه، أو على الدين، فقد سقط عنه فرضها...
ويضيف قائلاً:

وليس لأحد من فقهاء الحق ولا من نصّب به سلطان الجور منهم للحكم أن يقضي في الناس بخلاف الحكم الثابت من آل محمد ﷺ، إلا أن يضطرّ إلى ذلك للتقيّة والخوف على الدين والنفس، ومهما اضطرّ إليه في التقيّة فجائز له إلا سفك دماء أهل الإيمان، فإنّه لا يجوز له على حال اضطراب ولا اختيار، لا على وجه من الوجوه ولا سبب من الأسباب^٢.

ويقول الشيخ مرتضى الأنصاري (ت ١٢٨١هـ):

أمّا الكلام في حكمها التكليفي، فهو أنّ التقيّة تنقسم إلى الأحكام الخمسة: فالواجب منها ما كان لدفع الضرر الواجب فعلاً، وأمثله كثيرة. والمستحبّ ما كان فيه التحرّز عن معارض الضرر بأن يكون تركه مفضياً تدريجياً إلى حصول الضرر، كترك الإدارة مع العامة وهجرهم في المعاشرة في بلادهم، فإنّه ينجز غالباً إلى حصول المباينة الموجب لتضرّره منهم. والمباح ما كان التحرّز عن الضرر وفعله مساوياً في نظر الشارع، كالتقيّة في إظهار كلمة الكفر على ما ذكره جمع من الأصحاب، ويدلّ عليه الخبر الوارد في رجلين أخذتا بالكوفة وأمرتا بسبّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه. والمكروه ما كان تركه وتحمل الضرر أولى من فعله، كما ذكر ذلك بعضهم في إظهار

(١) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، المقنعة: ٨١٠ ط ٢، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٠هـ.

(٢) المصدر نفسه: ٨١١.

كلمة الكفر، وأنَّ الأولى تركها ممَّن يقتدي به الناس، إعلاءً لكلمة الإسلام، والمراد بالمكروه حينئذٍ ما يكون ضده أفضل.

والمحرّم منه ما كان في الدماء^١.

فقد بان لك أنَّ التقيّة هي الاحتراز من الظالم والكافر في العمل، والاحتفاظ بالإيمان الصحيح في الباطن حتّى يرتفع الضغط، وإلاّ فهي ليست بعقيدة خاصّة وتنظيم باطني لدى الشيعة لهدم الإسلام كما تحاول بعض الأقلام المأجورة تعريفها، وخدعت بذلك جماعة من الباحثين غير المتعمّقين فردّوا هذه الكلمات دون أن يكون لهم مستند في ذلك.

إنَّ عقائد الشيعة وأتباع آل البيت عليهم السلام كانت دائماً واضحة وجليّة للناس والحكّام، وأحكامهم الفقهيّة كانت معلومة لهم، وإنّما المهمّ كان تطبيقها في ظروف تسمح السلطات لأصحاب المذاهب بتطبيق أحكام مذهبهم والقضاء بين أبناء طائفتهم على منهجهم، فأخذ الشيعة بالتقيّة يرجع إلى هذا ولا غير.

أقسام التقيّة:

قد بان لك من خلال السطور السابقة أنَّ التقيّة تنقسم إلى أقسام أربعة، وإنّما الجائز منها قسمان، والأقسام الأربعة هي:

١ - المداراة.

٢ - الخوف.

٣ - المداينة.

٤ - النفاق.

(١) التقيّة: ٣٩، تحقيق الشيخ فارس حسّون، ط. ١، مؤسسة قائم آل محمد، قم، ١٤١٢هـ.

والتقية الجائزة المشروعة هي القسمان الأول والثاني، والمحرمة الأخيران. وإليك فيما يلي نص فقهاء أهل السنة من الحنابلة والسلفية على جواز التقية، وقد سمّوها «تورية» وجوّزوها فيما إذا كان العامل بها محققاً أو مظلوماً، وحرّموها فيما إذا كان ظالماً وأثماً:

«التورية معناها: أن يقول الإنسان قولاً يظهر للمخاطب خلاف ما يريد المتكلم، مثل: قال رجل: واللّه لا أنام إلا تحت السقف، ثم أخذ فراشه، وصعد إلى السطح ونام، فقلنا له: حنثت فييمينك فقال: أنا أردت بالسقف السماء، لأنّ الله تعالى يقول: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾، فهذه تورية لأنك أظهرت للسامع خلاف ما تريد، ومثل أن يقول رجل: واللّه لا أنام الليلة إلا على فراش، ثم دبر - جمع - كومة من الرمل ونام عليها، قلنا له: حنثت فييمينك، فقال: إنّ الأرض فراش، قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾، فهذه هي التورية.

وقد اختلف العلماء في جواز التورية، فمنهم من قال: إنّها تجوز مطلقاً إلا للظالم، ومنهم من قال: إنّها لا تجوز، ومنهم من قال: إنّها تجوز للحاجة والمصلحة، ولا تجوز لغير ذلك.

مثالها للظالم: تخاصم رجلان فادّعى أحدهما على الآخر مبلغاً قدره ألفا ريال أمام القاضي، فقال القاضي للمدّعي: هل عندك بيّنة؟ قال: لا. فتوجّه القاضي للمدّعى عليه باليمين، فقال: (واللّه، ما لّه عندي ألفان) فعلى ضوء هذا القسم سيفهم القاضي والمدّعي أنّ (ما) نافية أي ليس له عنده ألفان، لكن هو أراد أنّ (ما) اسم موصول بمعنى الذي، وتقدير (عليّ) تأويله: (واللّه، الذي له عندي ألفان)، فهو صادق بينه وبين نفسه، ولكنه كاذب مع القاضي وخصمه، فهذه التورية هنا لا تجوز بالاتفاق، لأنّ التوريّ ظالم. مثال للمظلوم: جاء رجل رقم (١) إلى رجل آخر رقم (٢) وقال له: إنّ لفلان رقم (٣) عندك مبلغ ألف ريال أعطنيها، ورقم (١) ظالم يريد أخذ الوديعة لنفسه، فقال رقم

(٢) لرقم (١): «والله، ما لرقم (٣) عندي شيء» ففهم رقم (١) أنه ليس عنده شيء، لكن رقم (٢) قصده أن تكون (ما) اسماً موصولاً. أي: «والله، الذي له عندي شيء». هنا قد يكون مظلوماً هذا الذي عنده الوديعة، لأنه لو أخذت منه الوديعة وضاعت على رقم (٣) ضمّنه إيّاها، فيجب عليه حينئذ أن يُؤزّي ليدفع ظلم هذا الظالم. وإذا كان الإنسان لا ظالماً ولا مظلوماً، فالمسألة فيها خلاف، منهم من قال: إنه يجوز، ومنهم من قال إنه لا يجوز.

مثال ذلك: رجل يتكلم مع زميل له في مسألة من المسائل، هذا الزميل تكلم بكلام تورية أظهر لصاحبه خلاف ما يريد بدون مصلحة ولا حاجة، وبدون دفع ظلم، فقال بعض العلماء: إنه جائز، وقال آخرون: إنه ليس بجائز.

مثال آخر: جاء رجل إلى آخر، وقال: أقرضني عشرة دراهم فقال الرجل: والله ما عندي شيء، وذلك لأن الرجل مماطل لا يوفي، لكنه رأى أنه لن يتخلّص منه إلّا بالحلف، فيظنّ الرجل النفي، وأنه ليس عنده شيء، مع أن الرجل في نيّته يريد الإثبات أي (والله الذي عندي شيء) فهذه التورية قال بعض العلماء: إنها جائزة، وقال بعضهم: ليست بجائزة.

والأولى فيما أرى أن يكون الإنسان صريحاً، إلّا في حال يخاف على نفسه، لأنه إذا لم يكن صريحاً ثمّ ظهر الأمر خلاف ما يفهم من ظاهر كلامه تُسبب إلى الكذب وصار بعد ذلك لا يوثق بقوله^١.

تقية الأنبياء ﷺ

وهنا لا بدّ من أن نمرّ على بحث آخر وهو أن الأنبياء ﷺ هل يجوز لهم التقية أو لا؟

(١) محمد بن صالح العثيمين، دروس وفتاوى في الحرم المكي: ٤٣٧ - ٤٣٩ إعداد: بهاء الدين عبدالمعتمد آل دحروج، ط. ٣، مكتبة أولي النهى - الرياض - دار خضر - بيروت، ١٤١١ هـ.

قال بعض الفقهاء: ذلك لا يجوز، لأنّ الأنبياء في ما يتعلّق بتبليغ رسالتهم معصومون من الله، ومأمورون بأداء الرسالة، فمن جانب أن الله يعصمهم من الأخطار المحيطة بهم، ومن جانب آخر، إذا عملوا بالتقية فلا يمكنهم تنفيذ مهمّتهم الإلهية^١.

ولكن مضافاً إلى أنّ الفقيه ليس من شأنه أن يفتي بشيء في حق الأنبياء ﷺ وفتواه ليس حجة في حقهم، فإن القرآن الكريم وقصص الأنبياء خير شاهد على أنّهم ﷺ عملوا بالتقية في ظروف خاصّة، للإبقاء على حياتهم أو حياة أصحابهم حتى يتمكّنوا من إبلاغ رسالتهم في ظروف مؤاتية لأهدافهم، وفيما يلي نماذج من هذه الظروف:

١ - أن إبراهيم الخليل ﷺ حينما أراد أن يبقى في مدينة المشركين لكسر أصنامهم اتقى منهم. قال تعالى: ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَمِيعٌ﴾^٢.

٢ - أن إبراهيم ﷺ عندما أراد تنبيه المشركين إلى خطئهم في عبادة النجوم والقمر والشمس قال بمقالتهم في الظاهر، ثمّ رجع عنها بمسوّغ، كما يحكي لنا الكتاب الكريم: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾^٣.

وكذلك قال في القمر: ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾^٤.

وكذلك في الشمس: ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ﴾^٥.

وكان كلّ ذلك تمهيداً لهداية قومه، لأنّه كان يقول بعد كلّ قول: ﴿لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ﴾. وأخيراً التفت إلى خالق السماوات والأرض وقال:

﴿إِنِّي وَجْهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^٦.

وهذا عندما أحسّ بأنّ الظروف مساعدة لإظهار دعوته، والقلوب مستعدّة لقبول دينه.

ويوجد في قصة حياة إبراهيم ﷺ عندما طلب منه الجبار الظالم حاكم مصر، امرأته

(١) السرخسي، المبسوط، ٢٤: ٤٥، وابن حجر، فتح الباري، ١٢: ٢١١، المكتبة السلفية، القاهرة، ١٣٧٢هـ.

(٢) (٦-٣) الانعام: ٧٦-٧٩.

(٣) الصفات: ٨٨-٨٩.

سارة، ولم يستطع الصمود في وجهه، أعطاهما ولكن دعا الله سبحانه أن لا يسلط الظالم على حريمه.

وكذلك عندما يتحدّث القرآن الكريم عن الأنبياء وحواريهم، يسرد لنا قصصاً من تقيتهم وكنماهم للإيمان حذراً من سطوة المشركين وإحباط خططهم الإعلامية.

لذلك يقول سبحانه لموسى عليه السلام: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً إِنِّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾^١.

وكذلك يقول للوط عليه السلام: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أذْيَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾^٢.

ويقول حاكياً عن يعقوب عليه السلام: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^٣.

وعن يوسف عليه السلام: ﴿قَبِّدْ أَبَا يَعْقِبَ قَبْلَ وَهَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرِجْهَا مِنْ وَهَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَنُفَوِّقُ كُلَّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِمْ﴾^٤.

ويتحدّث عن حواري عيسى عليه السلام: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾^٥.

من المسؤول والآثم في التقيّة ١٩

لا شك أن إثم التقيّة يعود إلى من يعامل الناس بالظلم والكبت وبالقمع والإرهاب، وبممارسته السيئة يسود الخوف والإكراه على المجتمع الإسلامي، وقد نهى الله تعالى عن إكراه الناس بغير حق^٦.

فإن الإكراه بغير حق ليس محرّماً فحسب، بل هو إحدى الكبائر، لأنه أيضاً يبنى بقلة

(١) الدخان: ٢٣.

(٢) الحجر: ٦٥.

(٣) يوسف: ٥.

(٤) يوسف: ٦٦.

(٥) يس: ١٤.

(٦) الشوكاني، نيل الأوطار، ٨: ٢٠٨، ابن حجر، الفتاوى الكبرى، ٤: ١٧٣، تيسير التحرير ٢: ٣١٠.

الاكتراث بالدين، ولأنه من الظلم، وقد جاء في الحديث القدسي:
«يا عبادي، إني قد حرّمت على نفسي الظلم وجعلته بينكم محرّماً فلا تظالموا»^١.

ما هو غرض المتحاملين على التقية؟

إذا كان غرضهم أنّ الحرية المذهبية يجب أن تكون سائدة بحيث تتمكّن جميع الفرق الإسلامية من إظهار عقائدها وطرحها على طاولة الحوار الحرّ، وكلّ من يريد أن يحتجّ على فرقة أو مذهب يخاطبه ببرهان وينظره بحجّة، ويجب أن يرتفع الاضطهاد الفكري والارهاب الاعتقادي، فهذا أمر مستحسن يدعمه الكتاب العزيز بقوله: ﴿أَذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^٢.

وأما إذا كان قصده أنّ المذاهب الإسلامية بعامة يجب أن تخضع لحكم فقيه واحد أو مذهب ورأي خاص، وليس لكلّ مدرسة أن تحتفظ بترائها لا ظاهراً ولا باطناً فهذا ما لا تؤيده الشريعة السمحاء، ولا يسوّغه العقل، ولا يلائم روح الإسلام المتسامح، ولا يتمشّي مع حرّية الاجتهاد في الإسلام.

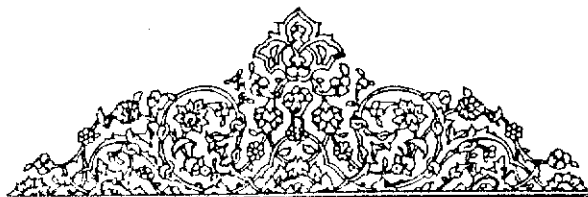
هل التقية نفسها من الأحكام أو من العقائد؟

ومن جملة التمويهات التي نواجهها في مسألة التقية أن بعض الناقدين والمخالفين لهذا الحكم الإلهي يعتبرونها عقيدة خطيرة وهدامة، ويعدّونها من النفاق، والحقيقة أن التقية حكم من أحكام الشريعة ورخصة للمؤمنين المستضعفين، مَنْ اللّهُ بها عليهم ليصونوا بها أرواحهم وأموالهم من سطوة الظالمين والكافرين ويدرأوهم ويماشوهم

(٢) النحل: ١٢٥.

(١) مسلم، الصحيح، ٤: ١٩٩٤، ط. الحلبي.

حتى يزول غضبهم وتهدا ثورتهم ويعودوا إلى رشدهم.
 فإنّ التقيّة لو تدبّروا في معناها وعلموا مغزاها لا يقصد بها إلّا حفظ الدين وحماية
 المؤمنين، حتّى يبقى تراث الدين للأجيال القادمة. وحقّاً فإنّ التقيّة كانت السرّ وراء
 استمرار الوجود الإسلامي، ونجاته من فتن عظيمة وحملات دمويّة كبرى، مثل زحف
 التتار، وقيام الثورة الشيوعيّة في الأقطار الإسلاميّة، وكذلك إبّان تسلط الاستعمار
 الغربي على الأراضي الإسلاميّة المقدّسة، واللّه سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿إِنَّا
 نَخُنُّ نَزْلَنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١).



قَالَ الْأَمَامُ الصَّدَاقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

إِنَّ الْفِقْهَ رُسُلُ الْمُؤْمِنِ

وَلَا إِجْمَاعَ لِمَنْ لَا تَقِيَّةَ لَهُ

مَجَارِ الْأَسْوَارِ / ج ٧٢ / صَفْحَةٌ ٣٩٤



حقوق الإنسان في الإسلام والأعلان العالمي والمبادئ التي بُنيت عليها

٣

سماحة الشيخ محمد علي السخيري

على ضوء ما تقدّم يجب أن نؤكد من جديد على أن الاعلان العالمي - مع
الاسف - لم يربط مطلقاً بين المسألتين الواقعيّة والاجتماعيّة، في حين أكد
الاعلان الاسلامي على هذا الربط تماماً، ولذلك كان منطقياً مع ذاته وذات الحقوق
المقرّرة.

إنّ الاعلان العالمي يطرح الأسس التالية في مقدمته:

- * ضرورة معرفة الحيثيّة الذاتيّة للإنسان لتحقيق الحرّيّة والعدالة والسلام.
- * وقوع الأعمال الوحشيّة نتيجة عدم الاعتراف بالحقوق الانسانيّة.
- * ظهور عالم جديد تسوده حرّيّة التعبير والعقيدة وعدم الخوف من الفقر باعتبار

ذلك أسمى آمال البشرية.

* ضرورة صيانة الحقوق لئلا يضطر الانسان للثورة ضد الظلم.

* ضرورة تشجيع العلاقات الودية.

* عزم الشعوب على دعم التقدم الاجتماعي.

* ضرورة تحقيق التفاهم المشترك.

ولكن ما هي الحيثية الذاتية للانسان؟ هل هي الفطرة؟ وإذا كانت كذلك فكيف نطرح هذا الاعلان أمام عالم يعجّ بالأفكار المادية المنكرة لنظرية الفطرة؟ وما هي المميزات للعمل الوحشي عن العمل الانساني؟ وهل يمكن الوصول إلى معيار عام واقعي إذا لم نؤمن بنظرية التكامل الانساني؟

وهل هناك دراسة للآمال الانسانية توضح أن هذه الآمال تنحصر في الحرية التعبيرية والعقيدية والتخلص من الخوف والفقر؟

وهل صحيح أن الأمل الانساني يكمن في تحرره في التعبير بما يشاء والاعتقاد بما يشاء دونما أية ضوابط حتى لو استهزأ بمقدسات الآخرين مثلاً؟

ثم أليس هنا خلط بين الأسس والبنى الفوقية؟ ألا أن يقال: إن الآمال الانسانية العامة يجب تحقيقها باعتبارها حاجات ضرورية.

فإذا كان الأمر كذلك، قلنا: أليس الأمل الانساني في الوصول إلى معرفة المطلق الخالق، والاستناد إلى القوة المطلقة، والعبودية للمالك الحق أملاً إنسانياً عاماً يتجلى من خلال استعراض مجمل التاريخ الانساني؟

ثم أليس الأمل الانساني العام يكمن في تحقيق نظام خلقي شامل؟ فأين الحديث عنه؟ بل أليس فسح المجال للتحرر الفردي في كل مجال (السلوكي، والعقائدي، والاقتصادي والسياسي) دونما تقييد بقيمة خلقية يؤدي إلى فناء قسم كبير من النظام الخلقي؟

وهكذا الحديث عن باقي الأسس المذكورة في مقدمة الاعلان.

وعلى أي حال، فإن الباحث لا يستطيع أن يدرك العلاقة المنطقية بين الأسس والبني
الفوقية، بل قد يلمح أهدافاً سياسية أخرى من خلال تعبيرات أخرى من قبيل: (كثلاً
يضطر الانسان للنهضة. والثورة باعتبارها آخر علاج). و(ضرورة تشجيع العلاقات
الودية) وأمثالها ليدرك الهدف الذي يطرحه المشككون في دوافع الاعلان العالمي على
ضوء الظروف التي طرح فيها.

حيث إنه طرح بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وسيطرة القوى العظمى على العالم.
وحيث خرجت أمريكا منها منتصرة بأقل قدر من الخسارة في الأموال والأرواح، في
حين خرجت الأقطار الاوربية ضعيفة منهكة القوى من جهة، وراحت الشيوعية توسع
من نفوذها بطرح فلسفة تاريخية تبني عليها نظرية ثورية يسيل لها لعاب الجماهير
المحرومة فتجذبها إليها من جهة ثانية.

وحيث التوق العالمي إلى نظام جديد تقل فيه النزاعات، ويتحقق فيه الحلم الانساني
لقيام النظام الأفضل.

كل هذه الظروف كانت تتطلب فلسفة وشعاراً إنسانياً عالمياً تطرح أمريكا فيه نفسها
رائدة لحضارة إنسانية ومستقبل بشري رائع فتخرج عن انزوائها إلى قيادة العالم، وتعمق
فلسفتها الرأسمالية القائمة على الحرية الفردية، وتنافس النظرية الشيوعية بنظرية
إنسانية أخرى يسيل لها لعاب المحرومين أيضاً.

على أن الشعوب المحرومة يجب أن تُعطى حقاً شبه وهمي لتقول كلمتها، فكانت
الجمعية العامة للأمم المتحدة تعبيراً عن التساوي في الأصوات بين أمريكا وبورما مثلاً.
أما القوة والتسلط فتخص بهما القوى العظمى المنتصرة من خلال مجلس الأمن وحق
النقض (الفيتو).

هكذا إذن يتصور المشككون في هذا الاعلان الدوافع الحقيقية.

إلا أثة على أي حال يمثل بلا ريب نقلة كبرى على صعيد الاعتراف الرسمي الدولي بحقوق الانسان، الأمر الذي لا يمكن إنكاره، رغم كل نقاط الضعف فيه، كما سيبدو لنا - إن شاء الله تعالى - في ما يلي من بحوث.

الاعلان الاسلامي

وعندما ندرس المقدمة التي تبين الأسس التي يقوم عليها نظام الحقوق نجدها متقدمة جداً ومنطقية جداً في مجال الربط بين المسألتين الأنفتين، حتى يمكننا أن نستفيد منها بسهولة كل الحقوق المذكورة في الاعلان:

فالأساس الأول:

هو الايمان بالله تعالى وصفاته الكمالية.

وإن (خلق كل شيء)، هبة النعم كلها، خلق الانسان في أحسن تقويم، الكرم، منح الانسان الخلافة، إيكال العمارة له، وضع أمانة التكليف على عاتقه، تسخير الكون له). كلها تصوّرات تشكّل أسساً للايمان بحق الانسان في الحياة، في الكرامة، في إعمار الأرض، في حمل التكليف، في الاستفادة من الكون. بل يمكننا أن نستفيد كل الحقوق من هذا المقطع.

والأساس الثاني:

هو التصديق بالاسلام الهادي، الاسلام دين الحق، دين الرّحمة للعالمين، دين التحرير للمستعبدين، والتعطيم للطواغيت، دين المساواة إلا بالتقوى، دين إلغاء الفوارق والكراهية بين الناس الذين خلقهم الله من نفس واحدة. وللباحث أن يستنبط من هذه الأسس أيضاً أهم الحقوق الفردية والاجتماعية: (حق طلب التعاون والرّحمة، حق الحرية، حق المقارعة ضد الطّاغوت، حق المساواة).

والأساس الثالث:

عقيدة التوحيد الخالص (العبادة لله وحده والتحرر من سواه، مما يستدعي الحرية المسؤولة والكرامة).

الأساس الرابع:

تشريعات الاسلام في المحافظة على الدين والنفس والعقل والعرض والمال والنسل، وملاحظة خصائصها العامة من الشمول والوسطية والتعامل الواقعي، وهو أساس بنفسه أيضاً لمجمل الحقوق.

الأساس الخامس:

الدور الحضاري للأمة الاسلامية باعتبارها خير أمة أورثت البشرية حضارة متوازنة تربط الدنيا بالآخرة وتجمع بين العلم والإيمان.

الأساس السادس:

الإيمان بالمساهمة الانسانية في حماية حقوق الانسان.

الأساس السابع:

الإيمان بالحاجة الدائمة للبشرية إلى السند الإيماني.

الأساس الثامن:

الإيمان بأن الحقوق الأساسية جزء من الدين، فرعايتها عبادة وإهمالها منكر، وكل إنسان مسؤول عنها بمفرده، والأمة مسؤولة عنها بالتضامن، وهو أساس نظري للمسؤولية الفردية والاجتماعية لتطبيق بنود الاعلان.

هذه هي الأسس القوية للحقوق يطرحها الاعلان الاسلامي بكل براعة ويصدق بها مع ذاته كما قلنا، ونحن نعتقد أنها تشكل أساساً طبيعية لهذه الثبني الفوقية.

إلا أننا نرى أن الأمر ما زال بحاجة إلى إعادة نظر، ولذا نشير إلى بعض النواقص التي نرجو أن يتم تكميلها، ومنها:

أولاً: ضرورة الإشارة في الأساس الأول إلى الصفات الإلهية الذاتية وهي: (العلم والقدرة والحياة) فإن لها إحياءاتها المهمة في معرفة هذه الحقوق، خصوصاً إذا أشرنا إلى الطلب الاسلامي للمسلم بأن يكون ربانياً يتحلّى بالصفات الإلهية المناسبة له. ثانياً: حبذا لو تمّ نقل الأساس الثالث إلى المرتبة التالية للأساس الأول فهو المرحلة الطبيعية التي تتلو مرحلة الصفات وهي مرحلة التوحيد.

ثالثاً: وحينئذ فمن الطبيعي أن يلتحق الأساس الرابع بالثالث، كما تضاف بعض صفات الشريعة الأخرى إليها لأنها تترك أثرها الإيجابي في موضوع الحقوق الانسانية، وهذه الصفات هي من قبيل: (الواقعية، الشمول، الخلود، المرونة، الترابط بين أجزاء الشريعة، وتصورها للترابط والتكامل بين أبناء البشرية وأبناء الأمة الاسلامية، وأمثال ذلك).

رابعاً: الإشارة للنظام الحقوقي الاسلامي ضرورية في المقدمة وكذلك مسألة الإشارة للنظام الأخلاقي وأهدافه.

خامساً: من المناسب أن تطرح في المقدمة فكرة عالمية الرسالة، وذلك دفعاً لشبهة ربما تطرح نفسها، وملخصها: أنّ هذه الحقوق لا تصلح لأن تطرح على الصعيد العالمي، في حين أن الاسلام عندما ينطلق من نظرية الفطرة وصفته الواقعية يلاحظ مسألة الانسجام مع الحاجات الفطرية، الأمر الذي يمنحه صفة عالمية، لأنّ الفطرة لا تختلف من إنسان لآخر.

الحقوق الانسانية على اختلاف أنواعها في الاعلانيين

قبل كلّ شيء ينبغي أن نلقي نظرة خاطفة على مجمل الحقوق الواردة في الاعلانيين ليمكننا المقارنة بينها.

وقبل معرفة هذا المجمل لا بدّ أن نلاحظ أن ترتيب المواد يختلف بين الاعلانيين،

كما أنه قد يُذكر حقّ في أكثر من مادة، إلا أن الملاحظ أيضاً أن الترتيب في الاعلان الإسلامي أكثر منطقية وترتيباً منه في الاعلان العالمي مما يعبر عن تكامل في الصياغة الإسلامية.

ثم إن هذه الحقوق نفسها قد يمكن إرجاع بعضها إلى البعض الآخر باعتبار نسبة العموم والخصوص بينها، ولكن أفرادها في مادة لا بد أن يكون لأهمية خاصة لهذا الحق وضرورة للتأكيد عليه.

موارد الاتفاق بين الاعلانيين

وإذا أردنا أن نلخص أهم موارد الاتفاق بين الاعلانيين أمكننا ذكر ما يلي: يتفق الاعلانان على حقوق الحياة المناسبة، والحرية، والأمن ونفي التعذيب، ونفي العقوبة غير العادلة، ونفي السلوك المنافي للشؤون الشخصية (الإهانة).

كما يتفقان على حقّ تأمين البيئة الصحية المناسبة والتمتع بالخدمات الاجتماعية، والحياة الكريمة ومنع التوقيف دون سبب قانوني، ومنع تقييد الحريات، والابعاد، والنفي، ومنع الجزاء دونما علة أو بشكل يزيد على الجريمة، وضمان الكرامة الذاتية، ومنع أي تأثير للموقع الاجتماعي على مستوى الكرامة، وكذلك حق تأمين المستوى المعيشي المناسب.

وهكذا يتفقان أيضاً على مسألة تساوي الرجل والمرأة من حيث الكرامة الذاتية، وضرورة تأمين الشخصية الاجتماعية للمرأة كالرجل وكذلك موضوع تأمين الشخصية المالية الاعتبارية لها، كما أنه يجب أن يتمّ الزواج برضا الطرفين، وأن العائلة ركن أساس للمجتمع، ولها الحق في التمتع بدعم الدولة والمجتمع، وضرورة توفير الأمن الديني والمالي والعرضي والشخصي والعائلي وطيقاً ودولياً وحق الاستقلال في الشؤون الخاصة: (المسكن، العائلة، المال والمراسلات والاتصالات).

وكذلك نجدهما يتوافقان على مبدأ التعليم والتعلم، وهدفهما وهو التكامل الانساني (رغم اختلاف معنى التكامل) وترجيح رأي الأبوين على غيرهما في هذا الموضوع. ويعتبر الاعلانان أن كل إنسان يولد حراً ولا يمكن استعباده، وأن الأفراد متساوون من حيث الحقوق، وأن لهم عقلاً ووجداناً (وهذا ليس أمراً حقوقياً) وأنه يلزم التعاون بروح الاخوة.

ويؤكدان على حرية التفكير والعقيدة والبيان (إلى الحد المعقول) وأن للإنسان أن يتمتع باتجاهه العلمي والأدبي والفني، وأن له حقّ التمدّج بأحد الأديان، وحرية التفكير إلى الحد الذي لا يضرّ به وبالأخرين، وحقّ التمتع بالشخصية القانونية، وحقّ التنقّل من مكان لآخر، وحق اللجوء شريطة أن لا تكون هناك جريمة غير سياسيّة. كما ينسجم الاعلانان في الاعتراف بحق العمل، والحرية في اختياره، وأنه لا يمكن تحميل العامل أكثر مما يطيق، وحقّ التمتع بصورة مساوية في الأجرة، وحقّ التمتع بضمان المستوى المتوسط للمعيشة عند العطالة غير المتعمدة والمرض ونقص الأعضاء والترمّل والشيخوخة.

ويتفقان أيضاً على أن كلّ شخص بريء حتّى تثبت إدانته، وأن الجريمة شخصية، وأن لكلّ فرد حقّ التمتع بمحاكمة عادلة، وأنّ الجزاء هو نفس ما قرّر له عند الارتكاب. وهكذا يتفقان على حقّ التملك وضرورة نفي أي حرمان من الملكية في نفس الوقت الذي يجب أن لا تضرّ الملكية بالمجتمع.

وكذلك يتفقان على منع الاستبداد، وأنّ لكلّ أحد الحقّ في الاشتراك في صياغة القرار السياسي، وتصديّ الوظائف العامّة، كما يجب تحقيق المساواة أمام القانون، وإعطاء الأفراد حقّ التقاضي لدى المحاكم المناسبة، وحقّ تشكيل الجمعيات الخيرية والاجتماعية.

وأخيراً يؤكدان معاً على أن كلّ إنسان مكلف بحماية هذه الحريات والتمتع بها، وأنّ

عليه السعي نحو التكامل، وأنَّ كلَّ فرد يجب أن لا يزاحم حُرَّيات الآخرين، وأنَّه لا يجوز استغلال هذا القانون لتحقيق مصالح فردية أو حكومية معينة. هذه أهمُّ نقاط الاتفاق لخصناها روماً للاختصار.

موارد الافتراق

اما الموارد التي يختلفان فيها فيمكن تلخيصها بشكل نقاط:

١- إنَّ الاعلان الاسلامي يفصل - بحق - بين أصل الكرامة (أو الكرامة التي يحصل عليها الانسان باعتبار اتمائه الانساني فقط) والكرامة المكتسبة التي ينالها عبر سيره التكاملي المعنوي وعمله الصالح في خدمة الخلق. وهذه نقطة مهمة لم يدركها الاعلان العالمي، ولذلك نعتبره في هذا المجال ناقصاً جداً، فإنَّ أيَّ وجدان يدرك الفرق بين عالم كبير كابن سينا مثلاً، وفرد عادي يعيش لنفسه دون أن يترك أثراً في الحياة.

٢- التركيز - في الاسلامي - على كون الخلق عيال الله تعالى يوضح الأساس المفهومي الكامل لهذا التساوي في أصل الكرامة، ولا يكفي بالجانب الحقوقي البحث. بالاضافة إلى ربط الكرامة بمجموعها بالوجود الكريم المطلق، فالخلق كلُّهم عيال على الله تعالى ونسبته إليهم واحدة تماماً، إلَّا أنَّ بينهم تنافساً في التقرب المعنوي إليه عبر البناء النفسي بالعقيدة الواقعية والعمل الصالح المؤثر في تحقيق مقتضى الخلافة.

أما الاعلان العالمي فهو يفتقد هذا المستوى من الفهم تماماً.

٣- ونفس هذا المفهوم نلاحظه في المادة الثانية من الاسلامي، فالحياة هبة الله - من حيث المفهوم - وبالتالي فقيمتها الحقوقيّة رفيعة جداً ويجب صيانتها وكفالتها بأقصى ما يمكن حتّى يتحقّق هدف هذه الهبة.

أمّا - العالمي - فلا نجد فيه مثل هذا السمو، وإن كان يؤكّد على أن للانسان عقلاً ووجداناً، وهي إشارة جيدة إلَّا أنَّها تكاد تقف عند حقيقة واضحة دون أن تعبرها إلى

مقتضياتها.

٤- التركيز - في الاسلامي - على حرمة إفناء النبوع البشري، إشارة حكيمة إلى الهبة الالهية السالفة ولزوم استمرار هذا المدد الالهي، في حين لم يشر الاعلان العالمي لهذا المعنى، ولا معنى للقول بأن هناك عموماً في بعض المواد، فهو أمر مبهم لا أثر له في المجالات الحقوقية.

وينبغي أن نشير إلى عبارة (استمرار الحياة إلى ما شاء الله) فهي عبارة موحية بلزوم المحافظة على الحياة من قبل الجميع، حتى صاحب الحياة نفسه، فتجب صيانتها ضد أي تهديد مهما كان، والحقيقة هي أن اهتمام النصوص الاسلامية بالحياة الانسانية لا يبلغه أي مذهب أو فكرة عقائدية واجتماعية مطروحة في الساحة.

٥ - يضاف إلى ذلك مسألة الاشارة إلى حماية الجنين في المادة السابعة وهي غير موجودة في الاعلان العالمي.

٦- وبالتالي فإن هناك تركيزاً على حرمة الجنازة الانسانية ولزوم عدم انتهاكها وحرمة تشريحها العشوائي - اللهم إلا أن يكون هناك مجوز شرعي - وهذا أمر يفتقده الاعلان العالمي.

٧- تطرح المادة الثالثة مسألة أخلاق النزاع والحرب التي جاء الاسلام بأروع مثلها، بشكل لا مثيل له آنذاك. فالحياة مصونة إلى أقصى حد ممكن، وحرمة الكرامة الانسانية محفوظة حتى بعد الموت، فالتمثيل حرام حتى بالكلب العقور، والأسر له أحكامه الأخلاقية المؤطرة بالرحمة، والزرع والمنشآت المدنية مصادنة.

وهذه المادة لا نجد لها أثراً في الاعلان العالمي مما يشكل أكبر نقص فيه. وقد حاول العالم تدارك هذا النقص في اتفاقيات جنيف التالية.

٨ - والمادة الثامنة - من الاسلامي - أيضاً تؤكد على السمعة الانسانية، الأمر الذي يؤكد الاعلان العالمي إلا أنها هنا تمتد بها إلى ما بعد الموت بما يشمل حماية الجثمان

٩- ورغم أن الاعلانيين معاً يؤكدان على كون العائلة ركناً أساسياً في البناء الاجتماعي وأن على المجتمع والدولة حمايتها تماماً، وأن لكل من الرجل والمرأة الحق في الزواج الذي يجب أن لا تمنع منه عوائق منشؤها العرق أو اللون أو الجنسية. إلا أن هناك فروقاً بين الاعلانيين في هذا المجال يمكن أن نلخصها على النحو التالي:

أ- الاعلان الاسلامي أشار إلى أن الزواج هو الأساس في التشكيل العالمي، ولم يشر الاعلان العالمي إلى هذه الحقيقة.

ب- اعطى الاعلان العالمي حقوقاً مساوية لكل من الرجل والمرأة مما يشمل حتى النفقة والمهر والطلاق وأمثال ذلك، في حين فصل الاعلان الاسلامي في هذه الأمور فأكد بأن على المرأة حقوقاً تعادل ما عليها من واجبات، وأن لها شخصيتها المدنية وذمتها المالية المستقلة وحق الاحتفاظ باسمها ونسبها، وأن على الرجل عبء الانفاق ومسؤولية الرعاية (وهو تعبير مناسب عن القوامة).

ج- الإشارة الاسلامية إلى الواجب الاجتماعي على المجتمع والدولة لازالة العوائق أمام الزواج وتيسير سبله، أمر لا نجده في الاعلان العالمي.

د- ونشير هنا إلى وجود فارق آخر وهو عدم ذكر الدين في الاعلان الاسلامي عائقاً يجب نفيه، في حين ركز الاعلان العالمي عليه، والحقيقة هي أن الدين والانسجام فيه إلى حد ما، كوحدة دين الزوج والزوجة إلى حد الايمان بالاله الواحد والايمان بالرسالة أمر ضروري جداً لتحقيق الانسجام المطلوب، وإلا انخرمت كل الآمال المعلقة على التشكيل العائلي الذي يراد له أن يكون الأساس الاجتماعي.

١٠- يختلف الاعلان الاسلامي عن نظيره العالمي بأن الاسلامي يؤكد على حقوق الأبوين وحقوق الأقارب.

١١- في مجال التربية والتعليم نجد الاعلان الاسلامي يؤكد وجوبهما على المجتمع

والدولة، وذلك بشكل مطلق ولكل المراحل، أما الاعلان العالمي فيؤكد على أن التعليم الابتدائي يجب أن يكون مجانياً وإجبارياً، ثم يطرح فكرة الفرص المتساوية في المراحل الأخرى.

١٢- أهداف التربية في الاعلان الاسلامي تلتخص في: (إيجاد التكامل والتوازن وتنمية الشخصية، وتعزيز الايمان بالله، والاحترام للحقوق والواجبات وحمايتها). في حين يؤكد الاعلان العالمي على مسألة إيجاد الحد الأكمل من النمو في الشخصية، وتقوية احترام الحقوق والحريات الانسانية، وتسهيل مبدأ حسن التفاهم والتضحية واحترام العقائد المخالفة، ونشر المحبة والعمل على حفظ السلام، والفرق بينهما واضح.

١٣- المادة العاشرة في الاعلان الاسلامي تنسجم تماماً مع الأسس العقائدية والانسانية، فهي تؤكد على أن الاسلام ينسجم تماماً مع المميز الأول والآخر للانسان (الفطرة) فهو دين الانسانية.

وبالتالي فمن الطبيعي أن يمنع أي لون من الاكراه والاستغلال لابعاد الانسان عن خط الفطرة لأنه يعني تغريبه عن ذاته.

وهكذا نجد الاعلان الاسلامي يكتفي بالمادة العاشرة التي تمنع الاكراه والاستغلال، ويسكت عن مسألة الحرية في هذا التغيير، وذلك لأن للإسلام رأيه الكامل الواضح الذي يبينه هذه المادة، فهو دين الفطرة، وما عداه من أديان أصابها التحريف ففقدت مصداقيتها الدينية الكاملة.

أما الاتحاد فهو في نظر الاسلام خروج عن الاطار الانساني ودخول في العالم الحيواني، بل هو أضل من هذا المستوى.

وفي قبال هذا المعنى نجد الاعلان العالمي يؤكد على حرية تغيير الدين والعقيدة مطلقاً، مما يعبر عن فارق جوهري في التصور بينهما، ولنا بصدد الاستدلال على

صحة الموقف الاسلامي بقدر ما نحن بصدد التأكيد على أن الاعلان العالمي يفصل المسألة الحقوقية عن المسألة الفلسفية كما قلنا، وهو أمر رفضناه بشدة.

١٤- في قبال المادة الحادية عشرة من الاعلان الاسلامي تطرح المادة الرابعة من الاعلان العالمي نفسها، إلا أن الفرق شاسع بينهما، فالمادة الاسلامية تعلن ولادة الانسان بطبيعته حراً، وتنفي عنه الاستعباد والذل والقهر والاستغلال، وتعتبر الحرية نابعة من عبوديته لله تعالى. فالعبودية لله تعالى لا تعني - كما يتصورها الجاهلون - تكريساً للذات الالهية، فهو الغني المطلق جل وعلا، وإنما يعني التحرر من كل تعلق بسواه، والعمل وفق هداه لأنه سبيل الفلاح.

أما المادة العالمية فإنما ترفض الاستعباد ونظام الرقّ دونما بيان للأسس أو توضيح للعلاقة الانسانية بالله تعالى.

١٥- ومما يمتاز به الاعلان الاسلامي مسألة نفي الاستعمار بشتى أنواعه، وتحريمه تحريماً مؤكداً، ومنح الشعوب حق العمل للتحرر وتقرير المصير، وإيجاب الدعم لها على كل الشعوب الأخرى، ثم التأكيد على الشخصية المستقلة لجميع الشعوب. في حين لا يذكر الاعلان العالمي هذا الموضوع مما يكشف - على الأقل - عن نقطة ضعف كبيرة في أهداف واضعيه - بل ربما أراد أن يحذر بعض الشعوب لئلا تلجأ للثورة ضده كما يبدو من الفقرة الثالثة في مقدمته.

١٦- ومما يمتاز به الاعلان الاسلامي أيضاً أنه لم يذكر حق التجنس بجنسية لأن هذا من الأمور الموضوعية، التي مرّقت حتى الأمم الواحدة وتحولت إلى عائق كبير في سبيل توحيدها.

١٧- ورغم أن الاعلانيين آمنوا بحقوق العمل إلا أن الاعلان الاسلامي طلب من العامل بدوره أن يخلص ويتقن عمله، كما طلب من الدولة أن تتدخل بكل نزاهة لحل النزاع بين العامل ورب العمل وإقرار الحق دون تحيز.

١٨- تؤكد المادة الرابعة عشرة في الاعلان الاسلامي على حق الكسب، ولكنها تقيد به بالمشروع، مما يوحي بمفهوم الوصف بوجود أساليب مرفوضة، وذكرت منها الاحتكار والغش والاضرار بالنفس أو بالغير كما ركزت على منع الربا مؤكداً. أما الاعلان العالمي فلا نجده يتعرض لمثل هذه الأمور.

١٩- تؤكد المادة الخامسة عشرة ضرورة مشروعية السبيل لحصول الملكية، وتؤكد أيضاً على أن لا تؤدي الملكية إلى إيجاد ضرر بالشخص نفسه أو بغيره، وإذا تمسكنا مع اتساع مفهوم الضرر ليشمل الأضرار الاجتماعية المتنوعة أدركنا دقة التعبير الاسلامي ونفوره من استغلال الرأسمالية لهذا الحق في الاضرار بحق الشعوب الأخرى وضرب اقتصادها ونهب خيراتها.

٢٠- ومما يمتاز به الاعلان الاسلامي حقاً هو اعتباره المسألة الأخلاقية حقاً إنسانياً مهماً، فقرر ذلك في المادة السابعة عشرة.

ولا يوجد نص يقابله في الاعلان العالمي وإن كان قد ذكر في المادة التاسعة والعشرين أن رعاية المقتضيات الأخلاقية يمكن أن تشكل حدوداً لتمتع الفرد بالحريات، ولكن ملاحظة عبارة (في اطار مجتمع ديمقراطي) في ختام المادة تنبئنا أن المراد بالأخلاق هنا هو حريات الآخرين لا المعاني الأخلاقية الرفيعة، وعلى أي حال فهي لا تقرر - بل ريب - حقاً إنسانياً في الحصول على بيئة أخلاقية نظيفة تمكن الانسان من بناء ذاته معنوياً.

٢١- من الأمور التي امتاز بها الاعلان الاسلامي أيضاً موضوع رفضه لاختضاع أي فرد للتجارب الطبية أو العلمية إلا بشروطين: الرضا، وعدم الخطر.

٢٢- كما رفضت المادة العشرون فكرة سن القوانين الاستثنائية التي تجيز تعريض الانسان للتعذيب أو المعاملات المذلة والقاسية والمنافية للكرامة، أو تعريضه للتجارب وأمثال ذلك.

وهي فكرة جديدة بالاهتمام ولا تركيز عليها في الاعلان العالمي.

٢٣- ربما ظن البعض أن الاعلان العالمي يمتاز بمنحه الحرية المطلقة للتعبير والبيان، إلا أننا نعتبر ذلك نقصاً، فإنه لا يمكن السماح ببيان يترك أثره الأخلاقي المخرب ويشوه الحقيقة ويهين مقدسات الآخرين، فالاهانة للمقدسات هي بلا ريب أشد كثيراً من الاهانة للأشخاص. لذلك فإن تقييده في الاعلان الاسلامي بعبارة (بشكل لا يتعارض مع المبادئ الشرعية) هو الأقرب للروح الانسانية وهو ما صرحت به الفقرة ج- من المادة الثانية والعشرين.

٢٤- ومما امتاز به الاعلان الاسلامي كذلك مسألة منح الانسان حق الدعوة إلى الخير والنهي عن المنكر مما يؤكد المسؤولية الفردية تجاه ما يقع من مخالفات للبيئة الأخلاقية من جهة، وتجاه كل ما يرتفع بالمستوى الايجابي للمجتمع من جهة أخرى. وقد كنا (في مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية بالقاهرة) نحبذ عند مناقشة هذه المادة والعبارة الاسلامية ذكر عنصر الأمر بالمعروف، إلا أن البعض أصر على حذفها لأسباب لم نقف عليها في نهاية الأمر.

٢٥- هناك إشارة رائعة في الاعلان الاسلامي لحقيقة أن ولاية الأمر أمانة يحرم استغلالها، وهذا ما لا نجد له مقابلاً في الاعلان العالمي، وإن كنا نجد أن الضرورة كانت تقتضي أن يشار إلى الشروط العامة التي تشرطها الشريعة الاسلامية في ولي الأمر. ٢٦- ومن الفروق بين الاعلانيين - وهو فرق طبيعي - أن الاعلان الاسلامي يقيد كل المواد بأحكام الاسلام في حين يقيد الاعلان العالمي كل الحريات الفردية بحرية الآخرين فقط.

٢٧- ثم إن الاعلان الاسلامي قرر أن الشريعة الاسلامية هي المرجع الوحيد لتفسير أو توضيح أية مادة في حين أن الاعلان العالمي لم يذكر مرجعاً مشابهاً.

٢٨- وأخيراً نقول: إن هناك فروقاً كثيرة أخرى لم نجد مجالاً للتعرض لها تفصيلاً في

هذا المقال من قبيل أنّ (الحرية) عندما تُذكر تُقيد أحياناً بالمسؤولية. فيقال (الحرية المسؤولة) أو في الحدود الشرعية وذلك لضمان عدم تحولها إلى عنصر هدام.

موارد النقص في الاعلان العالمي

وعلى ضوء ما سبق يمكننا أن نلخص موارد النقص في الاعلان العالمي على النحو التالي:

أولاً: فصله للمسألة الحقوقية الاجتماعية عن المسألة الفلسفية.

ثانياً: عدم وجود ترتب منطقي بين المقدمة والمواد الحقوقية.

ثالثاً: عدم الفصل بين أصل الكرامة الانسانية والكرامة المكتسبة بالتقوى والعمل الصالح.

رابعاً: عدم التعرض لكل جوانب الحقوق الحيوية كحياة وحرمة الجنازة، ومسألة إفناء ينبوع البشري.

خامساً: عدم التعرض لمسألة أخلاق النزاعات.

سادساً: ربما أطلق الأمر أحياناً مع أنه يلزم التقييد كموضوع حقوق الزوجين المتساوية دائماً في كل مقتضيات الزواج، ومسألة تغيير الدين.

سابعاً: عدم ذكر حقوق الأبوين والأقارب.

ثامناً: عدم التعرض لمسألة نفي الاستعمار.

تاسعاً: عدم ذكر حق الفرد في توفير محيط أخلاقي.

عاشراً: السماح بحرية البيان مطلقاً وهو أمر مخرب.

هذا بالإضافة للنقائص الأخرى.

حقوق الانسان بين النظرية والتطبيق في الماضي والحاضر

ربما كان هذا الفصل بحثاً تبعياً باعتباره يتجاوز القانون إلى التطبيق، إلا أننا نراه بحثاً

أساسياً معبراً عن نقص في القانون نفسه، سواء في ذلك الاعلان العالمي أو الاعلان الاسلامي - مع الأسف - فلا الاعلان احتاطا لنفسيهما بوضع ما يضمن التطبيق، ولا الدول الموقعة ألزمت نفسها بالعمل به.

أما الاعلان العالمي فإنما تمت الموافقة عليه باعتباره هدفاً سامياً مشتركاً بين البشرية لا قانوناً إلزامياً.

وهنا تقول السيدة روزفلت رئيسة لجنة حقوق الانسان:

«إن الاعلان ليس ميثاقاً أو اتفاقية دولية، ولا يترك أي إلزام قانوني، وإنما هو بيان لمجموعة من الحقوق المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالانسان والتي يعتبر تحققها مطلوباً على الصعيد العالمي»^١.

هكذا إذاً وبكل بساطة يتحول هذا الاعلان بكل ما أحاطه إلى مجموعة خلقية قانونية لا أكثر.

وعلى هذا النمط أيضاً جاء الاعلان الاسلامي - مع الأسف - فقد بدأ في أوائل اقتراحه بعبارة كانت تحوي قدراً من الضمان في التطبيق، حيث جاء في المادة الثامنة والعشرين من الوثيقة التي اتفق عليها في طهران^٢ هذا النص:

«تعمل الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الاسلامي على اتخاذ جميع الاجراءات اللازمة لتطبيق أحكام هذا الاعلان».

ولكن مؤتمر وزراء الخارجية التاسع عشر المنعقد في القاهرة الذي وافق نهائياً على الاعلان صوت بالأكثرية على حذف هذه المادة، وذلك بعد مناقشة حادة واعتراض من بعض الدول الاسلامية (العلمانية) التي رفضت قبول هذا الاعلان، إلا إذا توافق مع

(١) الملائمة الجعفري، الحقوق العالمية للإنسان: ٥٠. نقلاً عن الدكتور مقدر، كتاب تطورات الأمم المتحدة: ٢٠٠.

(٢) حين عقد اجتماع للخبراء في طهران من ٢٨ - ٣٠ / جمادى الأولى / ١٤١٠ هـ الموافق ٢٦ - ٢٨ ديسمبر ١٩٨٩م أُلقيت النظرة الأخيرة على الوثيقة وقد تشرفت برئاسة هذا الاجتماع.

قوانينها المعمول بها.. وهذا هو التناقض الكبير، فالاسلام يُرفض قبوله إلا إذا أُختصر
وهُذَّب لينسجم مع القوانين الوضعيّة لهذه البلدان!!

ووعده المؤتمر بإصدار قرار ملزم خارج الاعلان ولم يفعل ذلك لا في تلك الدورة
ولا في الدورات التالية وبقي الاعلان حبراً على ورق.

ولم أجد لهذا الاعلان أي أثر فعلي عاجل على مجمل أوضاع عالمنا الاسلامي،
الأمر الذي يؤسف له أشد الأسف.

ولكن هل ترك الاعلان العالمي أثره؟

لا ريب في أنه وجد له صدئ كبيراً في التطبيق في كثير من المجالات.

إلا أن النقص الكبير كان يكمن في دوافع الذين طرحوه او الذين تولّوا تطبيقه، أو
شاءت لهم قوتهم من جهة وشعاراتهم المرفوعة من جهة أخرى أن يطرحوا أنفسهم
مدافعين عنه وعن بنوده، وأعني بهم القوى الغربية الكبرى.

إنهم يفتكون بالانسان بشتى الصور ويهتكون كرامته ويسلبون شعوباً كاملة أعزّ ما
تملك ثم يتجحّون بحقوق الانسان والحرية وأمثالها.

وعبر هذا المنطق تعود دولة الكيان الصهيوني الغاصبة لكل حقوق الانسان في
فلسطين دولةً ديمقراطية متطورة، في حين توصف الدول الاخرى التي لا تسير في
ركاب الغرب بالعداء لحقوق الانسان.

إن الحديث في هذا المجال ذو شجون وخصوصاً إذا نظرنا الى ما يسمّى (بحق
النقض) الذي تتمتع به الدول الكبرى خارقة بذلك كل حقوق الانسان، ولكنه على أيّ
حال يحوّل البحث الى مجال آخر لست الآن بصدد الدخول فيه.

والله تعالى نسأل أن يوفقنا للعمل بأحكامه والقيام بكل ما فرضه من حقوق.

الخلاصة:

طرحنا في بحثنا المقارن بين حقوق الانسان في الاعلان الاسلامي ونظيرها في

الاعلان العالمي - مقدمة أكدنا فيها العلاقة بين المسألة الفلسفية (الموقف من الحياة والوجود) والمسألة الاجتماعية (الموقف من النظام الاجتماعي) وشرحنا أهم المصطلحات في البين ثم بينا فيها ملاكات تشخيص الحقوق الانسانية ولخصناها بـ (الوجدان الفطري) إجمالاً وبالدين الواقعي (تفصيلاً)، ثم ذكرنا لمحة سريعة عن تطورات النظرة الحقوقية عبر التاريخ.

وفي المرحلة التالية من المقال ذكرنا نصي الاعلانيين (الاسلامي والعالمي) وقدمنا قائمة مقارنة للحقوق، وتحدثنا بعد ذلك عن المبادئ التي بُنيت عليها في كلا الاعلانيين. أما في المرحلة الثالثة من البحث فقد ذكرنا مواطن الالتقاء ومواطن الاختلاف بشيء من التفصيل.

ثمّ عقبنا بذكر موارد النقص في الاعلان العالمي ثم بعض الملاحظات على الاعلان الاسلامي.

وختمنا البحث بذكر أكبر نقص في الاعلانيين وهو عدم الالتزام فيهما والذي يقلل من تأثيريهما خصوصاً مع ملاحظة وضع الحكومات في عالمنا الحالي.



الاجتماع الثامن

لجنة تنسيق العمل الإسلامي في القاهرة

في إطار دعوة من شيخ الأزهر الشيخ جاد الحق، وأمين عام منظمة المؤتمر الإسلامي حامد الغابد لحضور الاجتماع الثامن للجنة (تنسيق العمل الإسلامي في مجال الدعوة) الذي انعقد في القاهرة بتاريخ ٢٠١ / جمادى الأولى / ١٤١٤ هـ (١٧-١٨ / أكتوبر / ١٩٩٣ م). قام وفد من الجمهورية الإسلامية في إيران مكون من:

١- الشيخ محمد علي التسخيري الأمين العام للمجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام).

٢- السيد أبو الحسن نواب.

٣- الدكتور محمد علي آذرشب.

بزيارة مصر وحضر اجتماعات اللجنة المذكورة وساهم بنشاط في فعاليتها كما قام بسلسلة من اللقاءات المشمرة.

وقد وافانا سماحة الأمين العام للمجمع بالتقرير التالي عن ذلك:

شيء عن تشكيل اللجنة:

نظراً لاتساع نطاق الدعوة الإسلامية، وقيام العديد من المنظمات الرسمية والشعبية في العالم الإسلامي بذلك، وضياع التنسيق المطلوب بينها، وارتفاع

الرغبة في تحقيقها، وعرض ذلك على منظمة المؤتمر الإسلامي ورغبة الأمين العام في تحقيق ذلك، فقد صادق المؤتمر العشرون لوزراء الخارجية على القرار رقم ٢٤ / ٢٠ ث - حول أنشطة الدعوة وإعادة تنشيط لجنة تنسيق العمل الإسلامي، وأقر أهمية وضع استراتيجية للعمل الإسلامي المشترك في مجال الدعوة، وطالب بتشكيل لجنة خبراء للقيام بذلك. وهذا المعنى أكدته مؤتمر القمة الإسلامي السادس بـ «دكار» وهو ما أكدته أيضاً المؤتمر الإسلامي الحادي والعشرون لوزراء الخارجية في «كراچی»، وتم عقد اجتماع بمدينة «جدة» في الفترة ٧ - ٨ / شوال / ١٤١٣ هـ (٣٠ - ٣١ / مارس / ١٩٩٣م) لوضع جدول زمني لصياغة الاستراتيجية الإسلامية.

ثم اجتمعت اللجنة في ٢٠ - ٢١ / محرم / ١٤١٤ هـ (١٠ - ١١ / يوليو / ١٩٩٣م) ووضعت ملاحظاتها على مشروع مقترح عليها، ووضعت ترتيبات لإتمام الموضوع، إلا أن الأمر لم يتم على الشكل المطلوب، وقدم المشروع ناقصاً إلى اجتماع القاهرة الذي تحدث عنه.

اجتماع القاهرة

وكان هذا الاجتماع حافلاً بالشخصيات العلمية والممثلة لمختلف المنظمات الإعلامية والدعوية ومنظمات الخدمات في العالم الإسلامي، مما أعطى الاجتماع أهمية متميزة خصوصاً في مجال التنسيق بين النشاطات.

إلا أنني اعتقد أن الاجتماع لم يؤت ثماره المطلوبة، وإنما استغرقت مناقشة لائحة واحدة، هي المشروع المقدم من قبل لجنة الخبراء، ذلك أن هذه اللجنة لم تجد الوقت الكافي لوضع الصيغة النهائية المتفق عليها، فقدّم المشروع ناقصاً، الأمر الذي استوجب أن تتم مناقشته، ثم عدم القبول به، إلا باعتباره خطوة على الطريق.

ملخص المشروع المقترح:

وكانت الخطة المقدمة مكونة من فصول:

الفصل الأول:

ملامح وخطوط عريضة في استراتيجية الدعوة الإسلامية ، جاء فيها تعريف بالمصطلحات، وبيان بالساحات: الداخلية والخارجية، العربية والإسلامية والعالمية.

في الساحة الداخلية:

وجاء فيها التأكيد على بناء الفرد والاقتصاد، وفي مجال بناء الفرد طرحت عدّة أسئلة حول المنهج التربوي والمنهج الفكري والثقافي.

وفي مجال المنهج الفكري جاء الحديث عن:

١ - النظرية السياسية.

٢ - النظرية الجهادية.

٣ - النظرية الإسلامية.

٤ - النظرية الإعلامية.

وفي مجال بناء الاقتصاد:

طرحت أسئلة حول النظرية الاقتصادية، وتوفير الكفاءات الإنتاجية، والتنمية وزيادة

المصادر الطبيعية، وزيادة مصادر المياه الجوفية.

وفي الساحة العربية:

طرحت فكرة الخصومة بين الاتجاه الغربي والاتجاه الإسلامي وبعض الحلول، وفي

الساحة الإسلامية أشار إلى جعلها امتداداً عضواً لجسد الأمة العربية، وطرحت قضية

القوميات وراح يعالج هذا الحل.

في الساحة العالمية:

طرحت بعض الأمور الواقعية وبعض الاقتراحات للتعرف على العلاقات الدولية

والاستراتيجيات والحركات السياسية، وبعض الاقتراحات أيضاً للاهتمام بالبحوث والمناهج والكفاءات ومراكز جمع المعلومات.

وفي الفصل الثاني:

قدّم دراسة مفصلة في استراتيجية الدعوة، كأنّه أراد أن يفصّل ما أوجزه هناك، وكانت أهمّ النقاط التي ناقشها:

أولاً: بين بعض خصائص الأمة والدعوة.

ثانياً: ثمّ ما آلت إليه من مصير.

ثالثاً: ثمّ علّل هذه الحالة بأمور ثلاثة:

أ - عدم إمام السواد الأعظم بحقيقة الدين، ووجود تناقضات بين الجهات الإسلامية، والخطابين القومي والإسلامي، وفقه تدوين الأفراد، وفقه تدوين الدولة.

ب - الخصومة بين الدعاة والمسؤولين.

ج - عدم وضوح فقه العلاقات الدولية.

وراح يحلّ المشاكل عبر ما يلي، وهنا بدأ بالاستراتيجية:

أولاً:

ذكر ميادين الدعوة وحصرها بـ:

أ - الميدان الإقليمي.

ب - الميدان العالمي.

ج - عمارة الأرض.

في الميدان الإقليمي:

ركّز على الأمن الثقافي والاقتصادي والسياسي (بيان مطوّل وحشد من النصوص).

في الميدان العالمي:

ذكر عالميّة الإسلام وأهدافه ببيان مسهب فيه الكثير من الشواهد.

في ميدان عمارة الأرض:

أطال في ذكر أهداف الإسلام فيها.

ثانياً:

نوابت الدعوة الإسلامية ومنطلقاتها. وذكر فيها كلّ توجّهات الإسلام العامّة من: العالمية، والعدالة، والوفاء بالعهود، واحترام عقائد الآخرين والنفع للناس، وقاعدة الدوافع، والوسطيّة، والاستخلاف، والتوازن، والقسط، والعقد الاجتماعي، ومنهجية الحوار، والتزام الحكمة، وإتقان المهمة، وتطابق الأقوال والأفعال، وحصانة البيوت، وحقوق الإنسان، والتكافل بين الناس، وحق التعليم، والشورى، وحق الدفاع، ومبدأ السلم، والاعتناء بالصحة، والاقتصاد، ومبدأ الإجارة، وتحريم الاحتكار، والفن، وتقرير التكافل، ومبدأ التصنيع، والكشف عن منابع الثروة، والضمان الاجتماعي، والزراعة، والتجارة.

ثالثاً:

وسائل الدعوة، وركّز على:

١ - إعداد البرامج الأسرية.

٢ - الاعتناء بالحلقات التربوية.

٣ - الاعتناء بالدروس المسجدية.

٤ - التركيز على خطبة الجمعة.

٥ - المناهج التعليمية.

- ٦- البرامج الإعلامية.
- ٧- الاعتناء بخطبة العيدين.
- ٨- الاستفادة من شهر رمضان.
- ٩- الاعتناء بالجمعيات الخيرية.
- ١٠- ندوة عالمية في إطار رابطة العالم الإسلامي.
- ١١- عقد الندوات التربوية والفكرية.
- ١٢- عقد مؤتمرات متخصصة.
- ١٣- عقد لقاءات حوار مع غير المسلمين.
- ١٤- الاعتناء بالمراكز.
- ١٥- إصدار موسوعة إسلامية دعوية.
- ١٦- الاعتناء بالكتاب.
- ١٧- الاهتمام ببرامج الثقافة في المدارس والجامعات.
- ١٨- الاهتمام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- ١٩- فتح جمعيات مسجدية.
- ٢٠- فتح مستوصفات.
- ٢١- فتح مدارس خيرية.
- ٢٢- إقامة دورات مهنية.
- ٢٣- إنشاء صناديق خيرية مالية.
- ٢٤- الاستفادة من النوادي الاجتماعية.
- ٢٥- تطوير برامج رعاية الشباب.
- ٢٦- إيجاد موارد مالية للدعوة في إطار منظمة المؤتمر الإسلامي.

رابعاً:

توصيات عامة للداعية.

إلا أن الخطة كانت مبتلاة بنقائص عديدة أهمها:

- ١ - أنها لم تعط التعليقات والمبررات التي تطلبتها أو النتائج المتوخاة منها.
- ٢ - أنها لم توضح المقصود بالساحات الداخلية، في حين أن الحديث المندرج تحت هذا العنوان هو حديث عن مجمل الأمة الإسلامية.
- ٣ - ثم ما معنى أن نحصر هدفنا ببناء الفرد وبناء الاقتصاد وننسى العناصر الأخرى؟
- ٤ - على أن الأسئلة المطروحة في كل من هذين الحقلين أسئلة ناقصة وهي تبقى في الأطروحة بلا جواب.
- ٥ - تلخص الأطروحة النظرية الإسلامية السياسية بحلّ التناقض بين أهل السلطان والدعاة الحركيين، وتنسى أن أصل المشكلة هي كيفية ممارسة الأمة حقها.
- ٦ - كما تلخص النظرية الجهادية في مشكلة ما تسميه بالإفراط في فهم عنصر الجهاد، وهي مسألة مصطنعة في كثير من الأحيان، وتنسى الجوانب الكبرى في النظرية الجهادية.
- ٧ - التركيز على وجود ميدان داخلي ثم عربي ثم إسلامي ثم عالمي أمر لا مسوغ له، ويجب أن تطرح المشكلة في الميادين القومية على أساس التناقض بين الاتجاه القومي الضيق والاتجاه الإسلامي الواسع.
- ٨ - على أن أهداف الخطة في الساحات المختلفة غير واضحة المعالم.
- ٩ - ثم إنه لا مسوغ للإتيان ببعض القواعد والحقوق الإسلامية بشكل غير جامع ولا مانع باعتبارها من ثوابت الدعوة، في حين أنه كان من الأفضل أن تذكر هنا الخصائص العامة للدعوة الإسلامية، ومن ثم فإن الترتيب المنطقي يكاد يكون معدوماً، واللغة الاستراتيجية ضائعة، خصوصاً في بعض التعبيرات الأدبية المفرقة.

وعلى أي حال فقد توالى المناقشات حولها، ممّا أدّى إلى تشكيل لجنة للبيان الختامي اشتركت فيها. وقد ركزت اللجنة على لزوم قيام لجنة الخبراء بالاستمرار في تنقيح المشروع على ضوء الانتقادات المطروحة في أقرب فرصة، ثمّ عرضه على أعضاء لجنة العمل المشترك ليعطوا رأيهم فيه، ثمّ وضع الصيغة النهائية التي تطرح على مجموع الدول الأعضاء في منظمة الدول الإسلامية للمصادقة عليه، إما في اجتماعات الوزراء أو القمة القادمة.

على هامش الزيارة

- أ- كانت للوفد لقاءات جيّدة مع كلّ من سماحة شيخ الأزهر، ومفتي مصر سماحة الشيخ محمّد الغزالي، وكذلك مع بعض المفكرين المصريين، حيث تطرّق الحديث في هذه اللقاءات إلى كثير من المواضيع التي تهمّ القضية الإسلامية العامّة.
- ب - يبدو أنّ الكثير من منظمات الدعوة والإغاثة المنتشرة هنا وهناك تعاني الكثير من عدم التنسيق والتعاون، وخصوصاً من قبل الدول والحكومات، الأمر الذي انعكس بوضوح في بعض التعليقات واللقاءات.
- ج - صادف انتهاء جلسات هذه اللجنة انعقاد المجلس الأعلى للدعوة والإغاثة في القاهرة وهو اجتماع مهم كما يبدو.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ :

مَنْ لَمْ يَخْبِرْ أَسَانَةَ اللَّهِ كَلِمَةً لَمْ يَخْبِرْ عَنْ عِزِّ اللَّهِ

وَعَمَلَهُ وَلَا خَبَرَهُ عَمَلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَفْقَهُ مَا يَخْبُرُهُ

(صواعق الكافي / الجزء الثامن / صفحة ١٢٠)

من الدرس والتشويه

في دائرة المعارف الإسلامية

(١)

الشيخ فؤاد كاظم المقدادي (الغفر)

لقد كتبت دائرة المعارف الإسلامية من قبل مجموعة كبيرة من المستشرقين من جنسيات أوروبية مختلفة. وكان المشرف على معظم موادها هو المستشرق «فنسك» أو «ونسك»* المعروف بأنه من أكبر المتعصبين ضد الإسلام، والذي يدعي أن الرسول ﷺ ألّف القرآن من خلاصة الكتب الدينية والفلسفية التي سبقته، وقد نشرت هذه الدائرة باللغة العربية مرتين، الأولى عام ١٩٣٢م إلى حد الحرف ع والمرة الثانية في السبعينات دون أي تغيير في موادها. ولغرض الإحاطة العلمية بأهم جوانب التشويه والدس الذي اشتملت عليه هذه الدائرة، والأغراض والأهداف الكامنة خلف ذلك لا بدّ لنا أن نتناولها من جانبيين رئيسيين:

(٥) راجع الترجمة الخاصة بـ «فنسك» في موضوع «مع نماذج من كبار رجال الغرب في منهج تناولهم للشرق الإسلامي» للكاتب والمنشور في مجلة رسالة الثقلين العدد السادس - السنة الثانية.

(١) د. الهواري، حسين «المستشرقون والإسلام» ص ٧١٠ وما بعدها.

الجانب الأول: وهو التعرف على هوية وخلفية أبرز العقول والأقلام التي تصدّت لكتابتها، والهدف من ذلك هو تسليط الضوء على منهج تفكير محرري هذه الدائرة، ومدى قربهم وبعدهم عن الموضوعيّة والأمانة العلمية في النقل والتدوين والاستنتاج، واكتشاف الأغراض والأهداف غير العلمية - إن وجدت - التي تكمن وراء ما يقع بين أيدينا من صور ومفردات التشويه والدرس، التي تظهر لنا أثناء التتبع والملاحظة العلمية النقدية لمواد وفصول هذه الدائرة.

الجانب الثاني: وهو مادة الدائرة ومطالبها العلمية، ويتمّ ذلك من خلال التتبع التفصيلي بروح علميّة منطقية لمواد وفصول هذه الدائرة، واكتشاف موارد الدرس والتشويه فيها بعيداً عن التحميل والاختلاق، وتسليط الضوء على طبيعتها ودرجة أهميتها، لتكون عاملاً مساعداً في نجاح محاولتنا لاكتشاف أهداف وأغراض هذا التشويه والدرس.

وفي الجانب الأول نورد ترجمة مختصرة لنماذج من المستشرقين الذين شاركوا «فنسك» في تحرير دائرة المعارف هذه وهم:

١ - لويس ماسينيون Louis Massignon (١٢٩٩ - ١٣٨٢ هـ، ١٨٨٣ - ١٩٦٢ م):
أكبر مستشقي فرنسا المتأخرين، وصفه الدكتور محمد البهي في كتابه «الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي» بأنه من المستشرقين الخطيرين. عمل موظفاً في وزارة المستعمرات الفرنسية في شبابه، ثم مستشاراً لها بقية حياته. الراعي الروحي للجمعيات التبشيرية الفرنسية في مصر. زار العالم الاسلامي اكثر من مرة. وخدم بالجيش الفرنسي خمس سنوات في الحرب العالمية الاولى. كان عضواً بالمجمع

(١) لمزيد من التفصيل لغرض الاحاطة بهوية وتوجهات هذا المستشرق راجع ترجمته الخاصة في موضوع «مع نماذج من كبار رجال الغرب في منهج تناولهم للشرق الاسلامي» للكاتب والمنشور في مجلة رسالة الثقلين العدد السادس - السنة الثانية.

اللغوي المصري والمجمع العربي العلمي في دمشق. متخصص في الفلسفة والتصوف الاسلامي^١.

٢ - يوسف شخت Joseph Schakhet (١٣٢٠ - ١٣٩٠ هـ، ١٩٠٢ - ١٩٧٠ م): مستشرق هولندي من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق. ولد في مدينة راتيبور بألمانيا. درس اللغات الشرقية وتخصص بالعربية، ونال الدكتوراه في الفلسفة عام (١٩٢٣ م)، ودرّس اللغات الشرقية بجامعة فرايبورغ (١٩٢٧ م)، وانتقل إلى جامعة كونكسبرج (١٩٣٢ م)، وفي عام (١٩٣٤ م) عُين أستاذاً لتدريس اللغات الشرقية في الجامعة المصرية، وعمل في وزارة الاستعلامات البريطانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥ م)، وتجنّس بالجنسية البريطانية. ودرّس في جامعة اكسفورد، وجامعة الجزائر، فجامعة ليدن بـ(هولندا) عام (١٩٥٤ - ١٩٥٩ م)، ثم في جامعة كولومبيا بـ(نيويورك). عُرِفَ بتعصّبه ضدّ الإسلام والمسلمين.

من أعماله تصحيح كتب للخصاف ولمحمد بن الحسن الشيباني وللقزويني، وجزأين من «الشروط» الكبير للطحاوي؛ وكتاب جالينوس في «الأسماء الطيبة» من ترجمة حنين، وكتب أخرى في الفقه والفلسفة والطب. وله مؤلفات باللغات الألمانية والانجليزية والفرنسية في «تاريخ الأدب العربي» و«الفقه الإسلامي»، وله في مجلة المشرق ثلاث محاضرات بالعربية في «تاريخ الفقه الإسلامي»^٢.

٣ - هنري لامنس اليسوعي H. Lommens (١٢٧٨ - ١٣٥٦ هـ، ١٨٦٢ - ١٩٣٧ م): مستشرق بلجيكي المولد، فرنسي الجنسية، من علماء الرهبان اليسوعيين. تعلّم في

(١) الزركلي، خيرالدين - الاعلام «قاموس تراجم» م ٥ وكذلك الدكتور البهي، محمد - الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ٥٥٦.

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٤٦ : ٢٠٢، والرسالة ٢ : ١٧١٥، والمشرق ٢٨ و ٢٩ و ٣٢ و ٣٣، والمستشرقون ٨٠٣، ومجلة الدراسات الاسلامية بمدير ١٣ : ٢٢١. عن الزركلي، خيرالدين - الاعلام «قاموس تراجم» م ٨ وعن د. البهي، محمد - الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ٥٥٨.

«لوفان» وفي «فيينا»، وتلقى علم اللاهوت في إنجلترا. وكان استاذاً للأسفار القديمة في كلية «روما». استقر في «بيروت» فتولّى إدارة جريدة «البشير» مدة من الزمن، وكذلك إدارة مجلة «المشرق»، ودرس في الكلية اليسوعية. شديد التعصب ضد الاسلام والحقد عليه، مفرط في عدائه وافتراءاته لدرجة أقلقّت بعض المستشرقين أنفسهم. (انظر ص ١٥ - ١٦ من العدد ١، من المجلد ٩ يناير سنة ١٩٢٥م من «مجلة جمعية الدراسات الشرقية» الأمريكية). اشتهر بأبحاثه عن عرب الجاهلية والعهد الاموي، وصنّف كتباً عن العرب والاسلام بالفرنسية، وكتباً بالعربية، منها: «مهد الاسلام»، «مكة قبيل الهجرة»، «الطائف قبيل الهجرة»، «الجزيرة العربية الغربية قبيل الهجرة»، «الاسلام»، «خلافة معاوية»، «خلافة يزيد»، «تاريخ سوريا»، «فرائد اللغة»، «المذكرات الجغرافية في الاقطار السورية»، «تسريح الأبصار فيما يحتوي لبنان من الآثار» جزآن، «الألفاظ الفرنسية المشتقة من العربية»، «مختارات للترجمة من العربية الى الفرنسية وبالعكس»، مات في بيروت^١.

٤- رينولد ألين نيكلسن Reynold Allen Nicholson (١٢٨٥ - ١٣٦٤هـ، ١٨٦٨ - ١٩٤٥م): من أكبر مستشقي إنجلترا المتأخرين. تخصص في التصوف الإسلامي والفلسفة. تعلّم في كمبردج وغيرها، ودرس العربية والفارسية ودّرّسهما في جامعة كمبردج. كان عضواً بالمجمع اللغوي المصري، وهو من المنكرين على الاسلام أنه دين روحي، ويصفه بالمادية وعدم السمو الانساني، اشترك في نشر «تذكرة الأولياء» للعطار، و«اللمع» للسراج، و«ترجمان الأشواق» مقالات في التصوف لابن عربي. وله كتب بالانجليزية منها: «تاريخ الآداب العربية» صدر سنة ١٩٣٠م، و«متصوفو الاسلام» صدر

(١) مجلة المشرق ٣٥: ١٦١، والمستشرقون ٦٧، ومعجم المطبوعات ١٥٨٥، والربع الاول من القرن العشرين، ١٥٩ والكتبخانة ٤: ١٧٦. عن الزركلي، خيرالدين - الاعلام «قاموس تراجم» ٨م. وعن د. البهي، محمد - الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ٥٥٨. وعن المنجد «الاعلام» ص ٦٠٩.

سنة ١٩١٠م، و«دراسات في التصوف الإسلامي» ترجمته الى العربية أبو العلا عفيفي، ونشر بها، و«ترجمات من الشعر والنثر» عن العربية والفارسية، وترجم وحلّل كتاب «المثنوي والمعنوي» لجلال الدين الرومي^١.

٥ - دافيد صموئيل مرجليوث Davide Samuel Margoliouth (١٢٧٤ - ١٣٥٩هـ، ١٨٥٨ - ١٩٤٠م): وهو ابن حزقيال الانجليزي البروتستانت، متعصب ضد الاسلام، ومن كبار المستشرقين، من أعضاء المجمع العلمي العربي بـ«دمشق». كان عضواً بالمجمع اللغوي المصري، والمجمع اللغوي البريطاني، وجمعية المستشرقين الالمانية. مولده ووفاته بـ(لندن). تعلّم في جامعة اكسفورد، وعين أستاذاً للعربية فيها سنة ١٨٩٩م. وعمل في مجلة الجمعية الآسيوية الانجليزية، ترأس تحريرها، ونشر فيها بحوثاً، منها «فهارس» لديوان أبي تمام، وزار الشرق الاوسط مراراً. ومما يذكر أنه صاحب الكولونيل «بلفور» في زيارة لـ(بغداد) لمساعدة القيادة العسكرية البريطانية العامة في بعض الامور^٢.

وفي إحدى الاجتماعات التي افتتحها بلفور قدّم للحاضرين «مرجليوث»، وقام هذا المستشرق فأخذ يخطب باللغة العربية، ومن جملة ما قاله لهم: «إن العراق قد تعود على حكم الاجانب منذ القديم، فقد حكمه المغول، وحكمه الاتراك، وحكمه الإيرانيون، وهو لا يستطيع أن يحكم نفسه، وعلى هذا يجب على العراقيين أن يختاروا الانجليز أوصياء عليهم، أو تحت انتدابهم أو حمايتهم»^٣.

من مؤلفاته بالعربية كتاب «آثار عربية شعرية»، وامتاز بكثرة ما نشره من مؤلفات

(١) المستشرقون ٩٤، ومجلة الكتاب ١: ١٢١، ومعجم المطبوعات ١٨٨٦م. عن الزركلي، خيرالدين - الاعلام «قاموس تراجم» م ٣. وعن د. البهي، محمد - الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ٥٥٧، وعن المنجد «الاعلام» ص ٧٢١. وعن البعلبكي، منير - موسوعة المورد - المجلد السابع ص ١٢٩.

(٢) Burgoyne (Gertude Boll) London 1961 - vol2 p103.

(٣) البازركان، علي (الوقائع الحقيقية) ص ٦٧.

العرب، «كمعجم ياقوت» و«إرشاد الأريب» و«الأنساب»، للسمعاني، و«ديوان ابن التعاويذي» و«حماسة البحتري» و«نشوار المحاضرة» للتونخي و«رسائل أبي العلاء المعري» مع ترجمتها الى الانجليزية. وله في لغته كتب عن الاسلام والمسلمين، لم يكن فيها مخلصاً للعلم على الرغم من توسعه في معرفة المسلمين وأدبهم، منها «نشأة الإسلام الأولى» صدر في سنة ١٩١٣م، و«محمد وظهور الإسلام» صدر في سنة ١٩٠٥م، و«الجامعة الإسلامية» صدر في سنة ١٩١٢م^١.

٦- دانكن بلاك ماكدانلد Duncan Black Macdonald (.....١٣٦٢هـ،١٩٤٣م): مستشرق أمريكي من أشد المتعصبين ضد الاسلام. يصدر في كتاباته عن روح تبشيرية متأصلة. من أوسع المستشرقين اطلاعاً على الدين الإسلامي، ومن كبار محرري «دائرة المعارف الإسلامية»، ومن كتبه: «تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية في الاسلام» صدر سنة ١٩٠٨م. تعلم العربية والعبرية والسريانية. وله محاضرات ومقالات كثيرة بالانجليزية عن الثقافة الإسلامية في أكثر نواحيها. ونشر بالانجليزية «فهرس المخطوطات العربية والتركية في مكتبة نيويورك بشيكاغو»، وعني بكتاب «ألف ليلة وليلة» فجمع منه نسخاً لا توجد عند غيره^٢.

٧- إجناس كولد صيهر Ignaz Gold ziher (١٢٦٦ - ١٣٤٠هـ، ١٨٥٠ - ١٩٢١م): مستشرق مجري موسوعي. عرف بعدائه للإسلام وبخطورة كتاباته عنه، تعلم في «بودابست وبرلين وليبسيك». ورحل الى سوريا سنة ١٨٧٣م، وانتقل الى فلسطين، فمصر. وعين استاذاً في جامعة «بودابست» (عاصمة المجر) وتوفي بها. له تصانيف

(١) المشرق ٣٩: ٥٤ - ٥٧ وسركيس ١٧٢٨ والمستشرقون ٩٣ وجريدة الاهرام ٤/ ٣/ ١٩٤٠م. عن الزركلي، خيرالدين - الاعلام «قاموس تراجم» م ٢. وعن د. البهي، محمد - الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي - ص ٥٥٧. وعن البعلبكي، منير - موسوعة المورد - المجلد السادس ص ١٩٦.
(٢) مجلة المجمع العلمي ٩: ٩٥ و٧١، ودليل الاعارب ١٤٥. عن الزركلي، خيرالدين - الاعلام «قاموس تراجم» م ٢. وعن د. البهي، محمد - الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي - ص ٥٥٦.

باللغات الألمانية والإنجليزية والفرنسية في الإسلام والفقه الاسلامي والادب العربي، ترجم بعضها الى العربية، ونشرت مدرسة اللغات الشرقية بـ«باريس» كتاباً بالفرنسية في مؤلفاته وآثاره. ومما نشره بالعربية «ديوان الحطيثة»، وجزء كبير من كتاب «فضائح الباطنية» المعروف بالمستظهري، للغزالي. وترجم الى الألمانية كتاب «توجيه النظر الى علم الأثر» لطاهر الجزائري، وكتاب «المعمّرين» للسجستاني، وغيرهما. وترجم الى العربية من كتبه «العقيدة والشريعة في الإسلام»، كتب عن القرآن والحديث، ومن كتبه في ذلك «تاريخ مذاهب التفسير الاسلامي» المترجم الى العربية تحت نفس العنوان^١.

٨- أ.ج. أربري A.J. Arburry: مستشرق انجليزي معروف بالتعصب ضد الاسلام والمسلمين. عمل استاذاً بجامعة كمبردج. ومن المؤسف أنه استاذ لكثير من المصريين الذين تخرجوا في الدراسات الاسلامية واللغوية في انجلترا. ومن كتبه: «الاسلام اليوم» صدر عام ١٩٤٣م، و«مقدمة لتاريخ التصوف» صدر عام ١٩٤٧م، و«التصوف» صدر عام ١٩٥٠م و«ترجمة القرآن» صدر عام ١٩٥٠م^٢.

٩- كارل بروكلمان Carl Brockelmann (١٢٨٥ - ١٣٧٥هـ، ١٨٦٨ - ١٩٥٦م): مستشرق ألماني يعتبر أحد أبرز المستشرقين في العصر الحديث، عالم بتاريخ الادب العربي. ولد في «رستوك» بـ«ألمانيا» ونال شهادة «الدكتوراه» في الفلسفة واللاهوت. وأخذ العربية واللغات السامية عن «نولدكه» وآخرين. درّس في عدة جامعات ألمانية، وكانت ذاكرته قوية يكاد يحفظ كل ما يقرأ. ودرّس العربية في معهد اللغات الشرقية

(١) مجلة المجمع العلمي العربي ١: ٣٨٧ ثم ١٠: ١٨٨، والتراث اليوناني لعبد الرحمن بدوي ٣٠٧، والعقيدة والشريعة في الاسلام: مقدمته، والربع الاول من القرن العشرين ١٣١، والمستشرقون ١٩٦، وفي مجلة الزهراء ١: ٣٢١ رسالة منه الى الشيخ طاهر الجزائري، بالعربية بخطه، كتب توقيعه عليها: «العبد الحقير الفقير إجناس كولند صيهر المجري». وعن الزركلي، خيرالدين - الاعلام «قاموس تراجم» م ١. وعن د. البهي، محمد - الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ٥٥٣.

(٢) د. البهي، محمد - الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي - ص ٥٥٢.

بـ «برلين» ١٩٠٠م، وتنقل في التدريس، تقاعد سنة ١٩٣٥م. عمل في الجامعة متعاقداً سنة ١٩٣٧م، ثم كان سنة ١٩٤٥م أميناً لمكتبة الجمعية الألمانية للمستشرقين، وأمضى أعوامه الأخيرة في مدينة «هاله»، وكان من أعضاء المجمع العلمي العربي في دمشق، وكثير من المجامع والجمعيات العلمية في ألمانيا وغيرها. صنف بالألمانية «تاريخ الادب العربي» في مجلدين، وأتبعهما بملحق في ثلاثة مجلدات، وكلفته جامعة الدول العربية أن يدخل الملحق في الاصل، وينقلها الى العربية، ولبروكلمان «تاريخ الشعوب الاسلامية» ترجم الى العربية في بيروت وطبع بها في خمسة أجزاء صغيرة، وفهرسان لخزائني برسلاو وهامبورغ، يُعرفان بمخطوطاتهما العربية، وكتاب في «نحو اللغة العربية» بالألمانية، و«معجم للغة السريانية» و«قواعد السريانية»، و«ترجمة ديوان لغات الترك» للكاشغري، إلى الألمانية، وكلها مطبوعة.

ومما نشر بالعربية قسم كبير من «عيون الأخبار» لابن قتيبة، ورسالة «تلقيح مفهوم أهل الآثار» لابن الجوزي، وجزء من «طبقات ابن سعد»، ورسالة «ما تلحن فيه العموم» للكسائي، وقد أشارت لبعض أخطائه التاريخية والعلمية مجلة «الإسلام» AL - ISLAM التي تصدر بالإنجليزية في «كراتشي» باكستان ص ١٤١ من العدد الاول - مايو - سنة ١٩٥٨م^١.

١٠ - كرستيان سنوك هرخرونيه Christian Snouck Hurgronje (١٢٧٣ -

١٣٥٥هـ، ١٨٥٧ - ١٩٣٦م): مستشرق هولندي. ولد في «استرهوت»، وتعلم بـ «ليدن»

(١) مجلة المجمع العلمي العربي ٣١: ٥٠٥ - ٥٠٨ وإبراهيم مذكور، في مجمع اللغة ٢٤: ١٢ - ١٦، ومجلة «فكر وفن» العربية الألمانية العدد ١٥، ومعجم المطبوعات ٥٥٣، والمستشرقون ١٢١، ومقال في مجلة «الابحاث والتطورات» الألمانية (آب ١٩٥٦م) بقلم المستشرق «يوهن فيك» أسليت خلاصته من قبل المستشرق الدكتور «مُنزل» (كمرسل) في السفارة الألمانية بالقاهرة. و«قافلة الزيت» محرم ١٣٨١هـ بقلم المستشرق «ارنست بانرت» جاء فيه: إن عصر الاستشراق الذهبي قد انتهى مع بروكلمان في أوروبا عامة وفي ألمانيا خاصة. عن الزركلي، خيرالدين - الأعلام «قاموس تراجم» م ٥٠. والدكتور البهي، محمد - الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ٥٤٧، والبلبكي، منير، موسوعة المورد - المجلد الثاني ص ١٢٠.

و«ستراسبورج». وأقام في «جدة» بالحجاز سنة (١٨٨٤م) سبعة أشهر، يقول: أنه دخل «مكة» متسماً باسم عبدالغفار، ومكث بها في «سوق الليل» خمسة أشهر، واضطرَّ إلى مغادرتها فجأة قبل حلول موسم الحج، لانكشاف أمره لكلمات فاه بها وكيل قنصل فرنسا بـ«جدة» في بعض المجالس. رحل إلى بلاد «الجاوي» فأقام ١٧ سنة. وعيّن استاذاً للعربية في «جامعة ليدن» سنة ١٩٠٦م، ثم كان مستشاراً في الأمور الإسلامية والعربية بوزارة المستعمرات الهولندية، له عدة كتب بالألمانية عن الإسلام والمسلمين حاربها بها، أشهرها كتابه عن «مكة في القرن التاسع عشر» في مجلدين، نشره سنة ١٨٨٩م، ومجموعة في ستة مجلدات، طبعها سنة (١٩٢٣ - ١٩٢٧م) في «الاسلام وتاريخه» و«الشرعية الإسلامية» و«بلاد العرب وتركيا» و«الاسلام في المهاجر الهولندية» و«اللغة والأدب» و«ملاحظات في الكتب» ذكر فيه بعض المخطوطات وتواريخ كتابتها، و«فهارس الاجزاء المتقدمة»^١.

١١ - جودفروا ديمومبين Gaudefroy Demombynes (١٢٧٨ - ١٣٧٦هـ، ١٨٦٢ - ١٩٥٧م): مستشرق فرنسي، كان استاذ العربية في مدرسة اللغات الشرقية بـ«باريس». صنّف كتباً عن العرب وبلادهم وأدبهم بالفرنسية. وترجم إليها «رحلة ابن جبير»، وألّف متعاوناً مع «بلاشير» «قواعد العربية الفصحى». له كتاب عن «الحج» فيه كثير من الخلط والتشويه. (انظر ص ١٣ من العدد ١ من المجلد ٩، يناير سنة ١٩٢٥م من مجلة جمعية الدراسات الشرقية)^٢.

(١) أحمد علي، في مجلة «الحج» ٣٩: ٥ من فصل مترجم عن مجلة Islamic Review الانجليزية. وشكيب ارسلان في مجلة الفتح ٢٩ شوال ١٣٤٩هـ وهو يذكر أنه «أسلم» خلال اقامته باندونيسيا، وحج. وحاضر العالم الاسلامي، طبعة الحلبي ١: ٣٣٨ - ٣٤٥ والمستشرقون ١٤٧، ومعجم المطبوعات ١٠٥٩ والرسالة ٤: ١١٥٩. عن الزركلي، خيرالدين - الاعلام «قاموس تراجم». م. ٥. وعن د. البهي، محمد - الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي - ص ٥٤٥.

(٢) د. البهي، محمد - الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي - ص ٥٤٣ وكذلك الزركلي، خيرالدين - الاعلام «قاموس تراجم» م. ٢.

١٢ - توماس ووكر آرنلد Thomas Walker Arnold (١٢٨٠ - ١٣٤٩هـ، ١٨٦٤ - ١٩٣٠م): مستشرق إنجليزي من أهل «لندن»، تعلم في «كمبردج» وعُين مدرساً في كلية «عليكره» بالهند سنة ١٨٨٨م، فاستأذاً للفلسفة في «لاهور»، رئيساً للكلية الشرقية في جامعة البنجاب، وعاد إلى «لندن» فعُين استأذاً للعربية في جامعتها سنة ١٩٠٤م، فمديراً لمعهد الدراسات الشرقية، وزار مصر قبيل وفاته، له كتب «تعاليم الاسلام» و«المعتزلة» و«الخلافة» بالانجليزية وقد ترجم الاخير الى العربية وطبع. وله كتب بالانجليزية أيضاً في الفن والرسم الإسلاميين، ساعده فيها «لوي بنيون» من رسامي الفنون الشرقية، وقد قال في شأنه المستشرق «اربري»: كان آرنلد مرجعاً في الشؤون الاسلامية^١.

١٣ - ريتيه باسيه Ren'e Basset (١٢٧١ - ١٣٤٢هـ، ١٨٥٥ - ١٩٢٤م): مستشرق فرنسي، من أعضاء المجمع العلمي العربي. ولد في لونييفيل وتعلم في ناتسي ثم في مدرسة اللغات الشرقية بـ «باريس». وعين مدرساً للعربية في مدرسة الجزائر العليا سنة ١٨٨٢م، ثم تولى إدارتها. واختير «عضواً» في كثير من المجمع العلمية، ترأس مؤتمر المستشرقين بالجزائر سنة ١٩١٠م.

نشر بالعربية «تحفة الزمان» لعرب فقيه، في فتوح الحبشة، مع ترجمة فرنسية، و«الخرجية» في العروض، و«تاريخ بلاد ندرومة وترارة بعد خروج الموحدين منها» وله بالفرنسية مقالات في المجالات الشرقية في فرنسا والجزائر وتونس، وله تصانيف أيضاً، توفي بالجزائر، ألفت في تاريخ البربر والاحباش والآداب العربية^٢.

(١) Buckland 17 والمستشرقون ٩٣ والمجمع العلمي العربي ٢٣، ٢٧٧ و British Orientalists 25 ولوسيان بوفافي Journal Asiatique 146 - p 227 T. عن الزركلي، خيرالدين - الاعلام «قاموس تراجم» م ٢.

(٢) Journal Asiatique T - cc 1V - 137 - 141. ومجلة المجمع العلمي ٤ : ١٦٤ ثم ٥ : ١٦٩ والربع الاول من القرن العشرين: ١٢٣، والمستشرقون: ٦٣، ومكتبة فاروق الاول، فهرس التاريخ ٥٦. عن الزركلي، خيرالدين - الاعلام «قاموس تراجم» م ٣. وعن المنجد «الاعلام»، ص ١١٢.

١٤- إيفارست ليفي بروفنسال L'evi - Provencal Evariste (١٣١١ - ١٣٧٦هـ، ١٨٩٤ - ١٩٥٥م): مستعرب فرنسي الأصل، كثير الاشتغال بتصحيح المخطوطات العربية ونشرها، ولد وتعلم في الجزائر. وحضر حرب الدردنيل في الجيش الفرنسي، فجرح، ونُقل إلى مصر، ثم أعيد إلى فرنسا. عُيّن سنة ١٩٢٠م مدرّساً في معهد العلوم العليا المغربية في الرباط، فمديراً له (سنة ١٩٢٦ - ١٩٣٥م) وانتدب من خلال ذلك سنة (١٩٢٨م) لتدريس تاريخ العرب والحضارة الإسلامية في كلية الآداب بالجزائر، كما انتدب لتدريس تاريخ العرب وكتاباتهم بمعهد الدراسات الإسلامية في السوربون بـ«باريس»، واستقال من إدارة معهد الرباط (سنة ١٩٣٥م)، ودُعي لالقاء محاضرات في جامعة القاهرة (سنة ١٩٣٨م)، وألحقه وزير التربية الفرنسية بديوانه في باريس (سنة ١٩٤٥م) وعين في السنة ذاتها استاذاً للغة العربية والحضارة الإسلامية في كلية الآداب بـ«باريس»، ووكيلاً لمعهد الدراسات السامية في جامعتها. كان من أعضاء المجمعين: العلمي العربي بدمشق، واللغوي بالقاهرة، مات بـ«باريس» (سنة ١٩٥٥م) تعاون مع محمد بن أبي شنب على تصنيف «المخطوطات العربية في خزانة الرباط» ومما نشر «كتابات عربية في اسبانيا» و«نص جديد للتاريخ المريني» و«اسبانيا المسلمة في القرن العاشر» و«الحضارة العربية في اسبانيا» و«وثائق غير منشورة عن تاريخ الموحدين» و«منتخبات من مؤرخي العرب في مراكش» و«البيان المغرب» لابن عذاري، و«مقتطفات تاريخية عن برايرة القرون الوسطى» و«أعمال الأعلام، القسم الثاني، في اخبار الجزيرة الاندلسية» لابن الخطيب، و«مذكرات الامير عبدالله آخر ملوك غرناطة» و«صفة جزيرة الاندلس» اختزله من الروض المعطار، و«سبع وثلاثون رسالة رسمية لديوان الموحدين» و«جمهرة انساب العرب» لابن حزم، و«نسب قريش» للزيري^١.

(١) المستشرقون ١: ٢٧٥، ودليل الاعارب: ٩١، ١٤٠، و Broc راجع فهرسته في 1179 - 3 - S، وانظر مجلة Arabica الجزء ٣ القسم ٢ - مايو ١٩٥٦م. عن الزركلي، خيرالدين - الاعلام «قاموس تراجم» م ٢.

١٥ - كارل فلهلم سترستين Karl Vilhelm Zetterstee'n (١٢٨٣ - ١٣٧٢ هـ، ١٨٦٦ - ١٩٥٣ م): مستشرق سويدي، من العلماء، من اعضاء جمعيات علمية كثيرة، منها المجمع العلمي العربي. ولد في «أورسته» بالسويد. وتخرج «دكتوراً» في الفلسفة بجامعة أوبسالة سنة ١٨٩٥ م وعين فيها استاذاً للغات السامية، قام برحلات متعددة، وزار مصر والشام وتونس أكثر من مرة. تولى تحرير مجلة «العالم الشرقي»، وحضر عدة مؤتمرات للمستشرقين. ترجم «القرآن» الى اللغة السويدية سنة ١٩١٧ م، وصنف بلغته كتاب «اللغات الشرقية» و «تاريخ حياة محمد» و «سياحة في شرق بلاد الفرس»، ومن أهم ما حققه ونشره بالعربية «تهذيب اللغة» للأزهري، والجزآن الخامس والسادس من «طبقات ابن سعد» و «طرفة الاصحاب» للأشرف الرسولي، و «شمس العلوم» لنشوان الحميري، نشر منه جزأين وعهد الى الاستاذ «س. ديدرينغ» بإتمامه، و «تاريخ لسلطين مصر والشام» لم يعرف مصنفه، و «معارج الانوار النبوية من صحاح الاخبار المصطفوية» و «ألفية ابن مَعط الزواوي» في النحو، وغير ذلك. وكان يمضي مقالاته احياناً باسم «عبدالرحمن» وعلى الاكثر بحروف اسمه الثلاثة K. V. Z. أما اسم أبيه فهو «الكسندر موريس سترستين»^(١).

١٦ - جورجيو ليفي دلا فيدا G. Levi, Della Vida (١٣٠٣ - ١٣٨٧ هـ، ١٨٨٦ - ١٩٦٧ م): من كبار المستشرقين الايطاليين، مولده ووفاته بـ «روما». كان أستاذ العربية واللغات السامية المقارنة في جامعته، عمل في فهرست كتب الفاتيكان، وقد عُهد اليه في اعوامه الاخيرة بالكتابة عن المخطوطات النصرانية. ولما بلغ السبعين من عمره احتفل به العلماء وصنّفوا في تكريمه «كتاب الدراسات الشرقية» بالاطالية في مجلدين كبيرين. له كتابات كثيرة في دائرة المعارف الاسلامية والمجلات العلمية. ومما حققه

(١) من ترجمة له بقلمه، في مجلة المجمع العلمي العربي ٧: ٣٢٠ - ٣٣٤ وترجمة ثانية بامضاء «الدكتور س. ديدرينغ»، في مجلة المجمع ايضاً ٢٩: ١٤٠ - ١٤٣. عن الزركلي، خير الدين - الاعلام «قاموس تراجم» - ٥٠.

للنشر «طبقات الشعراء» لابن سلام و«شعر يزيد الاول» و«نسب فحول الخيل» لابن الكلبي، ومن تأليفه «فهرس المخطوطات العربية الاسلامية في مكتبة الفاتيكان» الجزء الأول بالاطيالية، ولم يكمله^١.

١٧ - كارل فلرس Karl Vollers (١٢٧٣ - ١٣٢٧هـ، ١٨٥٧ - ١٩٠٩م): مستشرق الماني، تولّى إدارة المكتبة الخديوية (دار الكتب المصرية) مدة. وكان من أساتذة جامعة «نيا» في المانيا، نشر بالعربية ديوان «المتلمس» مع ترجمة له الألمانية، وكتب بالألمانية «العربية العامية عند قدماء العرب» و«اللهجة العربية في مصر» ووصف «المخطوطات الشرقية التي بمكتبة لايبسيك» في مجلد ضخّم^٢. عُرف بافترائه أن القرآن الكريم لم يكن معرباً وأن اللغويين هم الذين حذوه على مثال لغة الشعر العربي الذي يتميز بوجود الاعراب.

١٨ - فرانتس بول (بوهل) Frantz Buhl (١٢٦٦ - ١٣٥١هـ، ١٨٥٠ - ١٩٣٢م): مستشرق دانمركي. من اعضاء المجمع العلمي العربي. ولد وتوفي في كوبنهاكن. كان استاذ اللغات السامية في جامعته. كتب في دائرة المعارف الاسلامية فصولاً في تراجم بعض اعلام المسلمين، وله كتاب في «جغرافية فلسطين القديمة» باللغتين الدانمركية والالمانية. وكتاب «حياة محمد» كتبه باللغة الدانمركية، وترجم الى الالمانية، وكان واسع الاطلاع بأدب الجاهلية العربية وتاريخها^٣.

١٩ - جاكب بارت Jacob Barth (١٢٦٧ - ١٣٣٢هـ، ١٨٥١ - ١٩١٤م): مستشرق

(١) انظر المستشرقون ١: ٣٩٠ والمكتبة: العدد ٦٢ من ٢٣ والرسائل المتبادلة ٢١٨. عن الزركلي، خيرالدين -

الاعلام «قاموس تراجم» م ٢.

(٢) الربع الاول من القرن العشرين ٨١ والمستشرقون ١١٣ ومعجم المطبوعات ١٦١٥. عن الزركلي، خير الدين -

الاعلام «قاموس تراجم» م ٥.

(٣) مجلة المجمع العلمي ١٢: ٢٨٢ والمستشرقون ١٨١ واسم الشائع بالعربية «فرانز» والدانمركيون يلفظونه

«فرانش» والهاء في لفظهم «بوهل» لا تكاد تظهر. عن الزركلي، خيرالدين - الاعلام «قاموس تراجم» م ٥.

الماني، كان يدرّس العربية في الكلية الاكليركية، جامعة برلين. من كتبه بالالمانية «ابحاث في الشعر العربي القديم»، وكتاب في «الآداب العربية والعبرية»، ونشر في العربية «ديوان القطامي» و«فصيح ثعلب»^١.

٢٠- ج. هـ. كريمرز J. H. Kramers: مستشرق هولندي كثير الطعن في الاسلام وصاحب ميول تبشيرية سافرة^٢.

٢١- أدوين كالفرلي E. Calverley: مستشرق أمريكي متعصب، رئيس تحرير مجلة «العالم الاسلامي» The Muslim World الأمريكية لفترة من الزمن، من الذين باشروا التدريس في الجامعة الأمريكية بالقاهرة عدة مرات، معروف باتجاهات تبشيرية سافرة^٣.

٢٢- باول كراوس Paul Kraus (١٩٠٤ - ١٩٤٤م): مستشرق ألماني، من أصل تشيكوسلوفاكي، تعلم في جامعة براغ. وتلقى العلوم الشرقية بجامعة برلين، وعين في معهد التاريخ للعلوم بـ«برلين»، ثم مدرساً بجامعة (سنة ١٩٢٣م) وانتدب للتدريس في السوربون بـ«باريس»، ثم استاذاً للغات السامية في جامعة فؤاد الاول (بمصر) سنة ١٩٣٦م، فأقام الى أن مات منتحراً، عُرف بكيده للاسلام خصوصاً في ما يتعلق بادعائه ان القرآن كان غير معرب، وان الذين حذوه على مثال لغة الشعر العربي المعرب هم اللغويون. له «رسالة في تاريخ الافكار العلمية في الاسلام» ثلاثة اجزاء، وله أيضاً «رسالة في فهرست كتب محمد بن زكريا الرازي لابي الريحان البيروني» نص وتعليق، وساعد ماسينيون على نشر «أخبار الحلاج»، وله في دائرة المعارف الاسلامية دراسات عن المستنصر والرازي وابن الراوندي وابن جبير، وفي مجلة الثقافة بمصر (سنة

(١) المستشرقون ١١٥ ومعجم المطبوعات ٦٦٣، والربع الاول من القرن العشرين ص ٨٣. عن الزركلي،

خيرالدين - الاعلام «قاموس تراجم» ٨م.

(٢) د. البهي، محمد - الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ٥٤٧.

(٣) عن د. البهي، محمد - الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص ٥٢٨.

١٩٤٤م) له مقالات عنوانها «من منبر الشرق» وغير ذلك^١.

بعد هذا الاستعراض السريع لأبرز المستشرقين، الذين تصدّوا أو ساهموا تحت إشراف المستشرق «فنسك» في كتابة وتحرير مواد دائرة المعارف الإسلامية، نلاحظ بوضوح أن الجامع فيما بين توجهاتهم وأبرز الخلفيات التي تتحكّم في عقولهم وأقلامهم هي معاداة الاسلام، والتعصب ضده باعتباره ديناً سماوياً، لذا فإن بعضهم ينكر بصراحة أصل سماوية الدين الاسلامي، والبعض الآخر يحاول نسف الأساس الذي يقوم عليه القول بسماويته. وبذلك نستطيع أن نخرج برؤية كليّة عن كتاب ومحزري هذه الدائرة، مفادها أنهم يفتقدون النزاهة والموضوعية في تناول أمهات القضايا الإسلامية، خصوصاً مايمتّ إلى أصوله العقائدية بصلّة، وأنهم في طريقة تناولهم لها يهدفون إلى زرع الشكّ بصحة سماوية الدين الاسلامي، وصحة نزول الوحي الإلهي فيه على النبي محمد ﷺ، وهذا ما نجده طافحاً في الكثير من مواد ومطالب دائرة المعارف الإسلامية عند تناولنا للجانب التالي من دراستنا لها.

ودعماً لما ألمانا له في بيان هوية وخلفيّة كتاب هذه الدائرة والمشرّفين على تحريرها، نشير إلى أن الكثير من الباحثين المتصفيين والمحقّقين المتخصّصين قد تصدّى لدراسة دائرة المعارف الإسلامية، وأشاروا إلى أنها تحوي مجموعة من الاخطاء والدسائس الناشئة عن التعصّب الأوربي، وأن أغلب كتابها قساوسة مبشرون لا يهمهم سوى الافتراء على الاسلام وتشويه حقيقته. وقد اجمعت آراؤهم على أن دائرة المعارف الإسلامية تضم مجموعة من المحاذير التي يجب التنبيه لها والتصدي للرد عليها وكشف اهدافها وهي:

١ - سيطرة البدع الدخيلة في الدين الاسلامي على مواد الموسوعة باستفاضة

(١) المستشرقون: ١٩٣، ودليل الاعارب: ١٠٤ و ١٠٦. عن الزركلي، خير الدين - الاعلام «قاموس تراجم» المجلد ٢ ص ٤٢. وعن الجندي، انور - مخططات الاستشراق - مجلة منار الاسلام - العدد ٧ - السنة ١٤.

مثيرة، وباستخدام اساليب الكذب المتقنة، حتى ليظن الباحث انها من اصول الاسلام، وقد ائمن مؤلفو الدائرة في تسجيلها وشرحها وكأنها حقائق ثابتة ومن الاصول المقررة والمسلم بها وليس من الدخائل.

٢ - القصد المتعمد في الجمع بين اساطير البدع التي ما انزل الله بها من سلطان وحقائق الشريعة.

٣ - جمعت دائرة المعارف هذه خلاصة ما كُتِبَ عن الاسلام في الكتب التي ألفتها المستشرقون، والتي كانت السمة الغالبة عليها الهجوم وبشراسة على الاسلام خلال السنوات الطويلة، وكانت متفرقة في هذه المؤلفات التي لم يكن يقرأها إلا بعض الغربيين الذين يُختارون للعمل في البلاد الاسلامية، ثم جاءت الدائرة لتظم هذا كله وتجعل منه مصدراً اسلامياً يرجع اليه بسهولة ويُسر بعد ان ترجمت أغلبها الى العربية.

٤ - اصرار القائمين على هذه الدائرة على عدم التصحيح - ولو بالتعليق الهامشي - للاخطاء والمطاعن التي انكشف أمرها جلياً، وهذا اكثر ضرراً من أشركت المبشرين والمستشرقين وصحفهم، لأن هذه كلها لا تخدع أحداً من أهل الحقيقة والمعرفة، إنما خطر تلك يكمن في نشوء جيل من المتعلمين يعتبرها مراجع موسوعية أساسية تظافرت عليها جهود عشرات العلماء والمفكرين، فيستقي منها ويعتمد عليها دون أن يفرق بين الحق والباطل فيها، أو يعلم أن مؤلفي هذه الدائرة من ألد خصوم الاسلام والمسلمين. وتفصيل ذلك نرجئه الى الجانب الثاني من دراستنا لهذه الدائرة، وهو الذي يختص بمفردات ومطالب مادة الدائرة.

«يتبع»

رسالة حمزة

في معرفة النسخ

٢

رئيساً في البدر

سرّ اعتماد الطبري على روايات سيف

لم يكن أمر سيف خافياً على الطبري، وكيف يخفى عليه أمره وشيوخ الطبري أنفسهم أعرضوا عنه؟ أمثال: عمر بن شبة، وعلي بن محمد المدائني، مضافاً إلى إعراض مُصنِّفين آخرين كابن سعد والبلاذري، هذا مضافاً إلى كلمات الرجالين القدماء أمثال: يحيى بن معين (ت ٢٣٣هـ)، وأبي داود (ت ٢٧٥هـ)، والنسائي (ت ٣٠٣هـ).

إذاً لماذا يُورد الطبري روايات سيف ويعتمد عليها؟

والجواب نجده صريحاً من المصنف نفسه، حيث قال في ذكره حوادث سنة (٣٠هـ): «وفي هذه السنة - أعني سنة (٣٠هـ) - كان ما ذكر من أمر أبي ذر ومعاوية وإشخاص معاوية إيّاه منها إليها (أي المدينة) أمور كثيرة كرهت ذكرها، أمّا العاذرون معاوية في ذلك فإنهم ذكروا في ذلك قصة كتب بها إلي السري يذكر: أن شعبياً حدّثه

سيف، عن عطية، عن يزيد الفقعسي، قال: لما ورد ابن السوداء الشام لقي أبا ذر^١.
ويقول في حوادث سنة (٣٥هـ): وذكرت أموراً كثيرة في سبب مسير المصريين إلى
عثمان ونزولهم ذا خشب، منها ما تقدّم ذكره، ومنها ما أعرضت عن ذكره كراهة منّي
لبشاعته^٢، ثم يذكر رواية سيف في ذلك تفصيلاً.
ويقول في حوادث السنّة نفسها أيضاً: «... إنّ محمّد بن أبي بكر كتب إلى معاوية بن
أبي سفيان لما ولي، فذكر - أي هشام عن أبي مخنف - مكاتبات جرت بينهما، كرهت
ذكرها لما فيها ممّا لا يحتمل سماعها العامّة»^٣.

الوضع الفكري في عصر الطبري

ومن أجل أن نفهم كلمات الطبري هذه لا بدّ لنا أن نشير ولو باختصار إلى طبيعة
الأجواء الفكرية السائدة في عصره، وقد كانت أجواء صراع بين خطّين:
الأول: يحمل التركة العقائدية والحديثية المتبنّة في العهد الأموي، والتي تقوم على
أساس الولاء لمعاوية والبراءة من علي عليه السلام.
الثاني: يحمل تراثاً عقائدياً وحديثياً يقوم على أساس الولاء لعلي عليه السلام والبراءة من
معاوية، ويضمّ هذا الخطّ مدرستين أساسيتين:
الأولى: مدرسة الإمام جعفر الصادق عليه السلام وتقوم على أساس الاعتقاد بإثني عشر
وصياً عيّنهم الله تعالى لحفظ سنة النبي صلى الله عليه وآله في الأمة من بعده، أولهم علي عليه السلام ثمّ الحسن
فالحسين، ثمّ تسعة من ذريّة الحسين عليه السلام، وأصحاب هذه المدرسة مضطهدون من قبل
السلطة في عصر الطبري.

الثانية: مدرسة معتزلة البغداديين التي تقوم على أساس الاعتقاد بأفضليّة علي عليه السلام

(١) تاريخ الطبري ٤: ٢٨٣.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٥٦.

(٣) المصدر: ٥٥٧.

على أبي بكر وعمر مع صحّة بيعتهما، وهو القول الذي كان يجهر به المأمون وأغلب خلفاء بني العباس.

رأي العامة في بغداد

وقد كانت «العامة» في بغداد وغيرها من بلدان الخلافة العباسيّة إلى سنة (٣٢٣هـ) تمثّل الخطّ الأوّل في جانب الولاء لمعاوية ومعارضة الطعن عليه، وقد ظهر ذلك واضحاً في حوادث سنة (٢١٢هـ). قال نبطويه: بعث المأمون منادياً فنادى في الناس ببراءة الذمّة ممّن ترخّم على معاوية أو ذكره بخير... فأنكر الناس ذلك واضطربوا ولم ينل مقصوده ففتر إلى وقت^١.

وفي رواية المسعودي: وأمر بلعنه على المنابر، وأنشت الكتب إلى الآفاق بذلك، فأعظم الناس ذلك وأكبروه، واضطربت «العامة» منه، فأشير عليه بترك ذلك^٢. واستمرّت عامّة بغداد تحمل عقيدة الولاء لمعاوية والغضب على الطاعنين فيه إلى سنة (٣٢٣هـ)، كما نفهم ذلك من خبر ابن الأثير، قال في حوادث سنة (٣٢١هـ): أمر علي بن بليق في عهد القاهر بلعن معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد على المنابر ببغداد فاضطربت «العامة»، فأراد علي بن بليق أن يقبض على البرهاري رئيس الحنابلة - وكان يثير الفتن هو وأصحابه - فعلم بذلك فهرب^٣.

وقال في حوادث سنة (٣٢٣هـ): وعظم أمر الحنابلة وقويت شوكتهم.. فخرج توقيع الراضي بما يُقرأ في الحنابلة ينكر عليهم فعلهم ويؤيخهم باعتقاد التشبيه وغيره، فمنه: (تارة، أتكم تزعمون أنّ صورة وجوهكم القبيحة السمجة على مثال ربّ العالمين،

(١) سير أعلام النبلاء، ١٠: ٢٨١، ترجمة المأمون وفوات الوفيات ٢: ٢٣٨. وتاريخ الطبري حوادث سنة ٢١١ هـ.

(٢) مروج الذهب ٣: ٤٥٥ - ٤٥٦.

(٣) الكامل في التاريخ ٨: ٣٠٧. وعاش البرهاري سبعمائة وسبعين سنة وتوفي سنة ٣٢٨ هـ، وكان معاصراً للطبري.

وهيئتكم الرذلة على هيئته، وتذكرون الكف والأصابع والرجلين والنعلين المذهبين، والشعر القطط، والصعود للسماء، والنزول إلى الدنيا، تبارك الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً، ثم طعنكم على خيار الأئمة، ونسبتكم شيعة آل محمد ﷺ إلى الكفر والضلال، ثم استدعواكم المسلمين إلى الدين بالبدع الظاهرة والمذاهب الفاجرة التي لا يشهد بها القرآن، وإنكاركم زيارة قبور الأئمة، وتشنيعكم على زوارها بالإبتداع، وأنتم مع ذلك تجتمعون على زيارة قبر رجل من العوام ليس بذي شرف، ولا نسب ولا سبب برسول الله ﷺ، وتأمرون بزيارته، وتدعون له معجزات الأنبياء، وكرامات الأولياء، فلعن الله شيطاناً زين لكم هذه المنكرات، وما أغواه^١.

رأي العامة في دمشق

كان ذلك أمر العامة في بغداد، أمّا أمرهم في غير بغداد فقد كان أشدّ وخاصة في دمشق، حيث استمرّ أهلها بالطعن على علي عليه السلام والولاء لمعاوية، كما هو واضح من كلمات النسائي صاحب السنن، حين سئل عن سبب تأليفه كتاب «الخصائص» قال: «دخلت دمشق والمنحرف بها عن علي كثير، وصنّفت كتاب «الخصائص» رجاء أن يهديهم الله».

وأوضح منه سبب شهادته على أيديهم كما روى ذلك من ترجم له، ذكروا: أنّه خرج من مصر في آخر عمره إلى دمشق فسئل بها عن معاوية وما جاء في فضائله، فقال: ألا يرضى رأساً برأس حتى يُفَضَّل؟ فما زالوا يدفعون في حُضْنِيهِ «وفي شذرات الذهب: في خصييه» حتّى أخرج من المسجد ثمّ حمل إلى الرملة فدفن بها سنة (٣٠٣هـ)^٢.

(٢) سير أعلام النبلاء. وتهذيب التهذيب.

(١) الكامل في التاريخ ٨: ٣٠٧.

عقيدة السلف

ويشارك العامة في معارضة الطعن على معاوية أغلب أهل الحديث، ويعرفون من قبل المتأخرين بـ (السلف) وهم أحمد بن حنبل صاحب «المسند»، وابن أبي شيبة صاحب «المصنف» والبخاري ومسلم وغيرهم، الذين رووا فضائل معاوية، واعتذروا له عن مخالفته علياً عليه السلام في صفين وترحموا عليه، كما رووا فضائل علي عليه السلام وترحموا عليه، ويسمى موقف الترحم على علي عليه السلام ومعاوية والاعتذار لمعاوية بـ «عقيدة السلف».

التشيع لعلي عليه السلام بدعة عند السلف

وسمى السلف موقف التشيع لعلي عليه السلام والبراءة من معاوية بـ «البدعة»، وقسموها إلى صغرى وكبرى.

وأرادوا بـ «البدعة الصغرى» التشيع مع الغلو أو التشيع بلا غلو. قال الذهبي: فالشيعة الغالي في زمان السلف وعرفه: هو من تكلم في عثمان والزبير وطلحة ومعاوية وطائفة ممن حارب علياً عليه السلام وتعرض لسبهم. والغالي في زماننا وعرفنا هو الذي يكفر هؤلاء السادة ويتبرأ من الشيخين أيضاً، فهذا ضال متعثر.

وأرادوا بـ «البدعة الكبرى» الرفض الكامل^١، أي القول بالوصية وعدم تصحيح بيعة أبي بكر وعمر.

وقال أيضاً: وقد احتوى كتابي هذا على ذكر الكذابين الرضاعين «قاتلهم الله»... ثم على الثقات الأتبات الذين فيهم بدعة... ثم البدعة: كبرى وصغرى. روى عاصم الأحول عن ابن سيرين قال: لم يكونوا يسألون عن الأسناد حتى وقعت

(١) ميزان الاعتدال.

الفتنة، فلما وقعت نظروا من كان من «أهل السنة» أخذوا حديثه، ومن كان من أهل البدعة تركوا حديثه^١.

والذي يظهر من كلام ابن سيرين هو أن تسمية «التشيع» لعلي عليه السلام وتخطئة معاوية وعمرو بن العاص وغيرهم بـ «البدعة» من تركة الامويين التي حملتها العامة وأهل الحديث، واستمرت إلى عهد الذهبي وابن حجر، ومنها إلى اليوم عند البعض.

مدرسة الإمام الصادق عليه السلام في عصر الطبري

وفي عصر الطبري كان الموقف واحداً إزاء مدرسة الإمام الصادق عليه السلام، فقد كان الأئمة عليهم السلام مضطهدين من السلطة العباسية، أما أتباعهم وحملتهم حديثهم فقد كانوا مضطهدين مرفوضين من السلطة والعامة معاً، يشاركونهم في ذلك في قليل أو كثير أهل الحديث والمعتزلة، وكانوا يُسمون «بالرافضة» ولا زال بعضهم يصّر على تسمية شيعة الإمام الصادق عليه السلام بذلك إلى اليوم.

عقيدة الطبري في الإمامة

قال ياقوت: وكان أبو جعفر (الطبري) يذهب في الإمامة إلى إمامة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وما عليه أصحاب الحديث في التفضيل، وكان يكفر من خالفه في كلّ مذهب، إذ كانت أدلة العقول تدفع ذلك كالقول في القدر، وقول من كفر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من الروافض والخوارج، ولا يقبل أخبارهم ولا شهاداتهم. وذكر ذلك في كتابه «الشهادات» وفي «الرسالة» وفي أول «ذيل المذيل» وكان لا يورث الكفرة منهم، وكان إذا عرف من إنسان بدعة أبعدته وطرحه، وقد هجر طبرستان لما انتشر الرفض بها، وقد

(١) ميزان الاعتدال: المقدمة. ولسان الميزان: المقدمة.

قال بعض الشيوخ ببغداد بتكذيب حديث غدير خم وقال: إنَّ علي بن أبي طالب كان باليمن في الوقت الذي كان رسول الله ﷺ بغدير خم، فبلغ أبا جعفر ذلك فابتدأ بالكلام في فضائل علي بن أبي طالب وذكر طرق حديث غدير خم^١.

قال الذهبي: جمع الطبري طرق حديث غدير خم في أربعة أجزاء رأيت شطره فبهرني لسعة رواياته، وجزمت بوقوع ذلك.

وقال أيضاً: وشُنَّ عليه بيسير تشييع، وما رأينا إلا الخير^٢.

وقال أبو بكر بن كامل: حضرت أبا جعفر حين حضرته الوفاة، فسألته أن يجعل كلَّ من عاداه في حلٍّ، فقال: كلَّ من عاداني وتكلَّم فيَّ في حلٍّ إلا رجلاً رمانني بيدعة^٣. قال ياقوت: ودفن ليلاً خوفاً من العامة لأنَّهم كانوا يتهمونه بالتشييع^٤.

تأريخ الطبري

وفي ضوء ما عرفنا من طبيعة الوضع الفكري في عصر الطبري، ومن التهمة التي وجَّهت إليه من «العامة» يتَّضح لنا سرُّ «مراعاته للعامة» في حوادث الفتنة وحرب الجمل وغيرها، بإيراده روايات سيف، مع اطلاعه الكامل على كلمات أهل الجرح والتعديل فيه، وكثرة المجهولين في طرق رواياته.

ويبدو أنَّ الطبري كان يهدف لكتابه في التاريخ أن يكون مرآة عاكسة لروايات الاتجاهين المتصارعين ومدارسهما المختلفة، بدرجة تسمح بها حالة عصره، ولا يتعد بها كثيراً عن عقيدته، فجاء بعدد لا بأس به من روايات الواقدي في الفتنة في قبال روايات سيف فيها، كما جاء بعدد وافر من روايات عمر بن شبة في حرب الجمل، وعدد قليل جداً من روايات نصر بن مزاحم فيها، في قبال روايات سيف في ذلك، جاء

(٢) سير أعلام النبلاء ١٤: ٢٧٧.

(٤) المصدر: ٤٠.

(١) معجم الأدباء ١٨: ٨٣-٨٥.

(٣) معجم الأدباء ١٨: ٨٤.

بذلك من أجل أن لا يكون في صف العاذرين معاوية.

واعتمد كثيراً على روايات أبي مخنف في حرب صفين والجمل، ومقتل حجر، وقتل الحسين عليه السلام، إلا في قتل علي عليه السلام وبيعة الحسن عليه السلام، فإنه جاء بروايات الزهري والشعبي وعوانة وغيرهم، لكي لا يحسب من الشيعة الذين يقولون بالوصية للحسن والحسين بعد علي عليه السلام بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومراعاة لموقف السلطة السلبى من الحسينين. والطبري يراعى العباسيين مراعاة تامّة في ذكره أخبار ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام، وسبب وفاته وأنه أكل عنباً فأكثر منه فمات فجأة، في قبال رواية السم التي كانت معروفة ومتداولة.

وبهذه الرؤية في انتقاء الأخبار تحقق للطبري في كتابه ما أراد له وخاصّة بعد وفاته، وصار الكتاب الأول من بين كتب التاريخ لا ينافسه كتاب آخر، وتداوله الحكّام والعامة وغيرهم، وحاز الطبري بسببه على لقب «إمام المؤرخين».

وثمة أمر آخر ساعد الطبري كثيراً على تحقيق هدفه في كتابه، وهو ما أشار إليه في مقدّمة كتابه قال: فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشعنه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصّحة ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتى من قبل بعض ناقله إلينا، وإنما أدّينا ذلك على نحو ما أدّى إلينا^١.

فإنّ هذا الكلام يصلح للردّ على العامة لو اعترضوا على إيراد حديث الدّار والوصيّة لعلي عليه السلام^٢، أو حديث إسلام أبي بكر بعد إسلام خمسين شخصاً^٣. أو حديث أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث عليّاً في صلحه، وأنّ قريشاً بعثت سهيل بن عمرو في صلحها^٤. أو إرادته روايات أبي مخنف في قتل الحسين عليه السلام، وهو يصلح أيضاً للردّ على من ينكر عليه

(٢) المصدر نفسه ٢ : ٣٢١.

(٤) المصدر: ٦٣٠.

(١) تاريخ الطبري ٨ : ١.

(٣) المصدر: ٣١٦.

إيراده روايات سيف وعوانة بن الحكم والشعبي وغيرهم ممن عرف بالوضع لصالح الأمويين.

ومما لا شك فيه أنّ قيمة روايات الطبري وروايات غيره أيضاً بقيمة طرقها وأسنادها، وقد التزم الطبري بإيراد أسانيد أخبار كتابه كاملة، وبهذا يكون قد قدّم خدمة لعلم التاريخ في عصرنا الراهن يشكر عليها، إذ لولا ذلك لما أمكننا تقويم مصادر أخباره أو ترجيح رواية على أخرى علمياً.

وخلاصة ردنا على الدليل الأول: هو أنّ الطبري لم يورد روايات سيف اعتقاداً منه بوثاقه سيف، بل مراعاة للعمامة التي كانت تتحسّس جداً من الطعن على معاوية والحكام من بني أمية، وخوفاً من نقيمتها، ومع ذلك لم يسلم منها حين دفن ليلاً بسببها، وفي ضوئه يبقى الباحث وجهاً لوجه أمام سيف وأسانيده.

رأي الذهبي في أحاديث سيف

كان الذهبي أول قائل في حق سيف أنّه: كان أخبارياً عارفاً، وجاء من بعده ابن كثير فرجّح رواية سيف في كيفية قتل عثمان الضعيفة سنداً على رواية خليفة بن خياط الصحيحة سنداً، وجاء من بعده ابن حجر ليقول: كان سيف ضعيفاً في الحديث، عمدة في التاريخ.

ولم تكن للذهبي ولا ابن كثير ولا ابن حجر حجة في قبال كلمات الرجالين سوى العقيدة المسبقة بالصحابة، والرغبة الجامحة لرؤية التاريخ وفق المعتقد.

ولست أدري كيف يتحوّل «متروك الحديث باتفاق» كما عبّر الذهبي نفسه في كتابه «المغني في الضعفاء»: «الراوي عن خلق كثير من المجاهولين» كما يقول عنه في «ميزان الاعتدال»: «راوي الموضوعات عن الاثبات» «المجمع على كذبه» كما روى ابن حجر

في «تهذيب التهذيب».. أقول: كيف يتحوّل مثل هذا الراوي بعد أربعة قرون من استقرار كلمات أهل الجرح والتعديل فيه إلى «أخباري عارف» و«عمدة في التاريخ»؟ وما هو الجديد الذي جدّ في سيرته ورواياته وطرقه؟

إنّهُ قول بلا دليل في قبال قول الرجالين القدامى وفي قبال بحث العلامة العسكري الذي يتناول شيوخ سيف ورواته ليكشف عن طبيعة المجهولين، الذين عرفت بهم أسانيدهم وأنهم مما تفرّد به سيف كما تفرّد بعدد من أسماء الصحابة اعتبرهم العسكري من مختلفاته.

الذهبي من العاذرين معاوية

ولّا نعدو الحقيقة إذا قلنا إنّ رأي الذهبي في سيف كان قول عاذر لمعاوية، جاء دعماً وسنداً وانتصاراً لراوية العذر ومختلفه عارياً من الدليل والحجّة.

والذهبي لا يخفي اعتذاره لمعاوية، كما جاء في ترجمته له قال:

وقتل عمار مع علي وتبيّن للناس قول رسول الله ﷺ: تقتله الفئة الباغية^١ ثمّ قال: وخلف معاوية خلق كثير يحبّونه، إمّا قد ملكهم بالكرم والحلم والعتاء، وإمّا قد ولدوا في الشام على حبّه وتربّئ أولادهم كذلك، وفيهم جماعة يسيرة من الصحابة، وعدد كثير من التابعين والفضلاء، وحاربوا معه أهل العراق ونشأوا على النصب، نعوذ باللّٰه من الهوى. كما نشأ جيش علي عليه السلام ورعيّته - إلّا الخوارج - على حبّه، والقيام معه، وبغض من

(١) قال شعيب الارنوط مخرج أحاديث سير أعلام النبلاء: وهو حديث صحيح مشهور بل متواتر، ولمّا لم يقدر معاوية على إنكاره قال: إنّما قتله الذين جاءوا به كما في (المسند: ١٦١) بسند صحيح، فأجابته علي رضي الله عنه بأنّ رسول الله ﷺ إذا قتل حمزة حين أخرجه... وهذا منه رضي الله عنه إلزام مفهم لا جواب عنه وحجة لا اعتراض عليها، وما ذهب إليه المؤلّف من كون طائفة معاوية هي الباغية هو مذهب فقهاء الحجاز والعراق من فريق الحديث والرأي، منهم مالك والشافعي وأبو حنيفة والأوزاعي وغيرهم، كما قال الإمام عبدالقاهر الجرجاني في كتاب الإمامة، نقله عنه المناوي في فيض القدير ٦ - ٦٦٣.

بغى عليه والتبري منهم. وغلا خلق منهم في التشيع. فبالله كيف يكون حال من نشأ في إقليم لا يكاد يشاهد فيه إلا غالياً في الحب مفرطاً في البغض؟ ومن أين يقع له الإنصاف والاعتدال؟ فنحمد الله على العافية، الذي أوجدنا في زمان قد انمحص فيه الحق واتضح من الطرفين، وعرفنا مأخذ كل واحدة من الطائفتين، وتبصّرنا فعذرنا واستغفرنا وأجبنا باقتصاد، وترحمنا على البغاة بتأويل سائغ في الجملة، أو بخطأ إن شاء الله مغفور... وتبرأنا من الخوارج المارقين الذين حاربوا علينا وكفروا الفريقين^١.

العاذرون معاوية من المحدثين

جاءت كلمات المحدثين المتصرين لسيف بن عمر تكراراً لكلمات الذهبي وابن حجر، ولا يعنينا من أمرها شيئاً ما دامت كذلك.

ونجد من المفيد أن نقف قليلاً عند كلام أحمد راتب عرموش الذي استخرج روايات «الفتنة ووقعة الجمل» لسيف بن الطبري والذهبي وابن عساكر ونشرها في كتاب مستقل. قال في مقدّمته: إنّ عمله في الكتاب جمع رواية سيف بن عمر عن مقتل عثمان ووقعة الجمل من كتب التاريخ المختلفة، وأنّه بعد مطالعة هذين الموضوعين في معظم كتب التاريخ القديمة والحديثة تبين له أن تاريخ الطبري هو أوفاهما موضوعاً وأكملها رواية. ثم نقل كلام ابن خلدون عنه معللاً اعتماده الكلبي عليه في حوادث الجمل: هذا أمر الجمل ملخصاً من كتاب أبي جعفر الطبري، اعتمدناه للوثوق به، ولسلامته من الأهواء الموجودة في كتب ابن قتيبة وغيره من المؤرخين.

واستشهد أيضاً بكلام سعيد الأفغاني في كتابه «عائشة والسياسة» حيث يقول في مقدّمة كتابه: ولا بدّ من الإشارة إلى أنّي جعلت أكثر اعتمادي - بعد البحث في المصادر

(١) سير اعلام النبلاء ٣: ١٢٨ - ١٤٢.

التاريخية - على الطبري خاصة، فهو أقرب المصادر من الواقع، وصاحبه أكثر المؤرخين تحرياً وأمانة، وعليه اعتمد كل من أتى من بعده من الثقات. وليس الكامل لابن الأثير إلا تاريخ الطبري منسّقاً مختصراً منه الأسانيد واختلاف الروايات^(١).

أقول: ويتبين لنا من هذا الكلام أن دليل سليمان حمد العودة في رسالته لردّ اعتبار روايات سيف لم يكن سوى كلام ابن خلدون فيه، وقد مرّ الكلام مفصلاً عنه.

ثمّ استشهد بكلمات الدكتور يوسف العش لبيان ضرورة تمحيص روايات الفتنة، وما ذكره أهل الجرح والتعديل في حقّ الواقدي وأنه «متروك الحديث» و«ليس بثقة»، «وأنه ممن يضع» وقوله: إنّ التاريخ يجب أن لا يؤخذ عن كذاب.

ثم يضيف عرموش قائلاً: ومن يكذب عن رسول الله ﷺ فمن باب أولى أن يكذب عن غيره، طالما أنّ عقاب جريمة الكذب على رسول الله ﷺ التارك كما ورد فيه الحديث الشريف: «من كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار».

ثمّ يترجم لسيف بن عمر فلا يذكر عنه إلا قول الذهبي: «وكان أخبارياً عارفاً» وقول ابن حجر: «كان ضعيفاً في الحديث، عمدة في التاريخ» أمّا أقوال أهل الجرح والتعديل فيه فكأنّها لم يذكرها الذهبي ولا ابن حجر ولا غيرهما.

ثمّ يعلّق عرموش بعد ذلك قائلاً: ويبدو من مراجعة كتب التراجم أنّ سيفاً لم يكن من رواة الحديث المعتمدين، لكن يجمع واضعوها على أنّه عمدة في التاريخ وأنه كان أخبارياً عارفاً.

لقد أخطأ الأستاذ عرموش بحقّ قرّائه أكثر من مرّة في ترجمته لسيف بهذه الطريقة الموهمة.

(١) كان عمل ابن الأثير مع تاريخ الطبري كعمل ابن هشام مع سيرة ابن اسحاق، وقد حذف كلّ منهما أخباراً مهمة مع تجريد الكتّابين من أسانيد الروايات. وقد ذكرنا نموذجين من الأخبار التي حذفها ابن الأثير في ما مرّ.

يقول لقراءته: إِنَّ من يكذب على الرسول ﷺ يستسهل الكذب على غيره، ثمَّ يقدِّم سيفاً لقراءته على أنَّه: ضعيف في الحديث، عمدة في التاريخ. ولا يذكر لهم كلمات أهل الجرح والتعديل الصريحة في حقِّ سيف أنَّه «كذاب» «يضع الحديث» «يروي الموضوعات عن الأثبات» وقد أجمعوا على ردِّ روايته في الحديث بسبب ذلك. ويقول لقراءته: إِنَّ التاريخ لا يؤخذ من كذاب ثمَّ يقدِّم لهم رواية سيف الكذاب الوضاع في تاريخ الفتنة وحرب الجمل بصفتها الأوثق والأقوى. ولا نريد أن نسترسل معه في الحساب أكثر من ذلك.

ويبقى سيف وضاعاً

ويتبين لنا مما مضى أنَّ سيفاً باقٍ - كما ذكر عنه الرجاليون الأوائل - كذاباً وضاعاً يروي عن خلق من المجهولين، وتأتي دراسة السيد العسكري لأسانيد رواياته ومتونها منسجمة مع كلمات الأقدمين فيه.

خلاصة وتعقيب

- ١- إِنَّ الدليل الأول الذي اعتمد عليه كاتب «الرسالة» لاعتبار رواية سيف هو تكرار لكلام ابن الأثير وابن خلدون، وقد أجاب عنه الطبري نفسه بأنَّه يورد رواية العاذرين معاوية للحوادث خشية العامة.
- ٢- وإنَّ العامة في عصر الطبري كانت لا تتحمَّل الطعن على معاوية وعمر بن العاص وغيرهما، وكانت السلطة تخشى غضبها في ذلك، وفشلت في تعميم لعن معاوية أكثر من مرَّة.
- ٣- وإنَّ العامة في عصر الطبري قتلت النسائي صاحب السنن، لأنَّه كتب «خصائص

- علي « واستنكر أن يكون لمعاوية فضيلة سوى قول النبي ﷺ: «اللهم لا تشيع بطنه»^١.
- ٤- إن العامة في عصر الطبري كانت تسمي التشيع لعلي والبراءة من معاوية بدعة.
- ٥- إن الطبري راعى في انتقاء روايات تاريخه العامة والسلطة العباسية إلى درجة كبيرة، ولو على حساب الصحابي أبي ذر الغفاري والإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام.
- ٦- إن قيمة روايات الطبري بقيمة رواياتهم، وقد ذكرهم بشكل كامل وثبه إلى إلقاء التبعة عليهم لمن كان من أهل التحقيق والخبرة.
- ٧- إن الدليل الثاني - وهو كلام الذهبي في حق سيف - لم يكن أكثر من قول عاذر لمعاوية جاء دعماً وسنداً وانتصاراً لرواية العذر ومختلفه.
- ٨- إن كلمات المتأخرين عن الذهبي في حق سيف كانت تكراراً لكلمات الذهبي، ومن موقع الاعتقاد بعذر معاوية في حربه علياً عليه السلام.
- ٩- إن سيف بن عمر يبقى كما ذكر عنه أهل الجرح والتعديل: (كذاباً) (وَضَاعاً) (يروي عن خلق كثير من المجهولين)، وإن بحث العسكري في روايات سيف وأسانيده فيها يصدق مقولة الرجاليين فيه. ولا يفوتنا أن نذكر هنا مشاركة بعض الباحثين المحدثين النتيجة نفسها في حق سيف ورد رواياته التي ينفرد بها، منهم الدكتور عبدالعزيز الهلالي الأستاذ في جامعة الملك عبدالعزيز، الذي نشر بحثه عن عبدالله بن سبأ في حوليات كلية الآداب الكويتية السنة الثامنة، ومنه الأستاذ محمد حسن شراب في رسالة الماجستير (المدينة في العهد الأموي)، على الرغم من أن هذا الأخير من العاذرين معاوية وابنه يزيد، كما هو واضح في رسالته الأنفة الذكر.

(١) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ج ١٤ ص ١٣٠ معقباً على الحديث: قلت: لعل أن يقال هذه منقبة لمعاوية لقوله: «اللهم من لعنته أو سبته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة».

مؤتمر «جان كلود بنراد»

في شرق إفريقيا

التمشيع في شرق إفريقيا

عقدت جامعة المفيد بمدينة قم المقدسة في السابع من شهر حزيران - يونيو ١٩٩٣م مؤتمراً تحدّث فيه عالم الاجتماع الفرنسي «جان كلود بنراد»، وحضره جمع من الباحثين الحوزويين والجامعيين.

وتأتي دعوة «بنراد» لحضور المؤتمر لخبرته في تطبيقات علم الاجتماع على المسلمين في شرق إفريقيا، إذ أمضى أكثر من عقد هناك، أجرى خلاله دراسات حول المسلمين في شرق إفريقيا.

قال «بنراد» في محاضراته:

يتناول موضوع بحثي نشأة المجتمعات الإسلامية وأسباب توسّعها في شرق إفريقيا، وهي المنطقة التي تشمل مناطق جنوب الساحل الصومالي، وساحل كينيا وساحل تنزانيا وجزر زنجبار وشمال موزمبيق، وجزر القمر، وشمال غرب مدغشقر وجزيرة خرينوف.

ويتضمّن بحثي خمسة أقسام، أتحدث في الأول منها عن منشأ انتشار الإسلام، وأخصّص الثاني للمصادر التاريخية، وأعرض في الثالث الفترات التاريخية، وأشير في الرابع إلى المجتمعات الإسلامية في شرق إفريقيا، وأتناول في الأخير النمو الإسلامي في إفريقيا منذ القرن التاسع عشر فصاعداً.

يعود منشأ وأصل انتشار الإسلام في هذه المناطق إلى ما شهدته من تجارة ورحلات في العصور القديمة جداً، إذ تحكي الرسوم التاريخية أن السفن في القرون السالفة كانت تتّجه من مياه الخليج الفارسي إلى سواحل إفريقيا في إطار تجارة الأخشاب. ونشاهد في بعض هذه الرسوم سفناً شراعية قادمة من جنوب اليمن - ظاهراً - تحمل أخشاباً وجذوع الأشجار. وثمة احتمال أن تكون هذه السفن قادمة من إيران.

ونشاهد في رسوم تاريخية أخرى، سفناً صنعت في شرق إفريقيا، وكانت تحمل تجار هذه المناطق، لأنّها صغيرة ومماثلة لوسائل نقل الركاب أكثر منها لوسائل حمل الأشجار والأخشاب. ويبدو أنّها نقلت أوّل المسلمين إلى شرق إفريقيا، فشكّلوا منشأ شيوع الإسلام في سواحل شرق إفريقيا.

وفيما يتعلّق بالمصادر التاريخية، فلعلّ أوّل أمر متيقّن وتاريخي هو حضور المسلمين في القرن التاسع الميلادي إلى هذه السواحل - وهو ما أظهرته بحوث علم الآثار - أي بعد قرابة قرنين من البعثة النبوية الشريفة، وتؤيّد بعض الدلائل مجيء المسلمين إلى هناك في القرن الثامن للميلاد.

وتشير الآثار التي وجدت في جزيرة «لامه» إلى أن سواحل هذه المناطق شهدت حضور التجار المسلمين في القرن الثامن الميلادي.

وجدنا ترسّبات من الآجر تعود للقرن التاسع في بعض الممرّات المائية، وكان تركيب هذا الآجر يماثل تركيب مواد البناء التي استعملها سكّان أطراف الخليج الفارسي. وهو ما يفسّر كون سكّان هذه المناطق هم الواسطة في وصول هذه المواد إلى

تلك الممرات المائية.

تدلّ هذه الاستقصاءات الأثرية على أن البحارة كانوا يترددون بين الخليج الفارسي وهذه الجزر. وأظهرت هذه الدراسات التماثل بين المساجد التي شُيّدت في شرق إفريقيا في تلك القرون، والمساجد الموجودة في ميناء «سيرا» و«سامارا» في إيران. ويتمثل الدليل الآخر في طرق البناء في المدن الساحلية، التي يصل عددها إلى ثلاثمائة مدينة، اندرس أكثرها ولم يبق منها سوى آثار ضئيلة.

على أي حال، هناك تشابه لا ينكر بين طرق البناء هنا وتلك المتبعة في البلدان الإسلامية، وبالتحديد إيران. كذلك تتوفر صور تعود لبقايا الآثار هذه، ويشاهد بين هذه الصور مسجد يرجع تأريخ بنائه إلى القرن الثاني عشر للميلاد. ويستدلّ من طرق البناء هذه على أن البحر شكّل أول طريق للمواصلات بين سواحل شرق إفريقيا والبلدان الإسلامية.

كان «رامو الزاهدي» أول من وطئت قدماه أرض هذه السواحل، ولعلّ جماعة «الزاهديّة» التي حكمت اليمن في القرن العاشر كانت تنتسب إليه.

يقال: إن سبعة أشقاء وصلوا هذه السواحل بواسطة السفينة، ويعتقد البعض أنهم أولاد سلطان شيراز، ويعتقد البعض الآخر أنهم أولاد سلطان البحرين.

البحث الآخر يتناول المذهب الذي كان عليه القادمون الأوائل من المسلمين، فهل كانوا من الإسماعيلية؟ أم من الإثني عشرية أم من الزاهدية؟.

الفترة الأولى: وبشأن الفترات التاريخية التي مرّت بها هذه السواحل، فإنّ المختصين بالتاريخ أطلقوا على الفترة الأولى تسمية «العصر الشيرازي» وهي تعود إلى بدايات القرن الثامن أو التاسع.

وقد استقرّ المسلمون القادمون إلى السواحل الإفريقية في هذه الفترة في مجتمع تجاري محدود نسبياً.

وتفيد الدلائل بأن هذه الفترة اتسمت بتنافس تجاريّ شديد بين هذه المجتمعات بحيث كان يتحوّل أحياناً إلى صراعات دامية. ويقال كذلك: إنّ هذه الصراعات القائمة على أساس المصالح التجارية كانت تؤدّي إلى تدمير الكثير من المدن، ومن ثم تسفر عن هجرات جماعيّة من الشمال نحو الجنوب، حتى امتدّت هذه الهجرات إلى شمال موزمبيق.

الفترة الثانية: هي عصر الحروب المتوالية بين الدولة الشيرازيّة والبرتغاليين الذين وصلوا هذه المنطقة في سنة ١٤٩٨م بقيادة «فاسكودي غاما». وكان السلطان «مكندي» حليفاً للبرتغاليين. وقد دأب المكنديون على شنّ هجمات على سواحل كينيا، حيث نالت مدينة «هانادا سرا» نصيبها من هذه الهجمات.

وفي سنة ١٥٩٢م سقطت آخر مدن الدولة الشيرازيّة التي كان اسمها «مانيسابونه» على أيدي البرتغاليين، ومات حاكمها «الشيخ أنويتا» وأمسك البرتغاليون وحلفاؤهم بزمّ الأمور بشكل كامل، فانتهت بذلك الفترة الثانية.

النقطة المهمّة في هذه الفترة كانت تعاون سكّان هذه المناطق مع كلا الطرفين المتناحرين، فكما دعم سكّان هذه السواحل الدولة الشيرازية دعموا كذلك البرتغاليين، الأمر الذي لعب دوراً مهماً في اتّساع نطاق الحروب.

الفترة الثالثة: هي عصر السلطة البرتغاليّة التي امتدت لأكثر من قرن، أي ما بين عام ١٦٠٠ إلى حوالي عام ١٧٠٠ للميلاد.

ورغم أنّ النزاعات استمرّت طوال هذه السنين، إلّا أنّ أيّ قدرة لم تشكّل تهديداً جاداً للبرتغاليين.

وقد سمى حكام ذلك العصر إلى نشر المسيحيّة، فأرسلوا واحداً من سلالة رؤساء «مابناسا» الذي يدعى «محمد يوسف بن حسن» إلى الهند فغسلوه بماء المعموديّة وسمّوه «رفينو»، فعاد إلى مدينة «مابناسا» ليحكمها تحت وصاية البرتغاليين. إلّا أنّه عاد

إلى دين آبائه وأجداده في أعقاب انتفاضة قادها ضد البرتغاليين في عام ١٦٣١ - ١٦٣٢م وأسفرت عن عمليات قتل جماعي. وظلّ «محمد يوسف» حاكماً لمدينة «مابناسا» حتى طارده البرتغاليون ففرّ في الوقت المناسب. وتحدثت الشائعات عن مقتل «محمد يوسف» على يد أحد قراصنة البحر، لكننا لا نملك دليلاً يؤكد واقع مصيره.

الفترة الرابعة: بدأت بإخراج البرتغاليين على يد «العرب العمانيين» الذين أحلّوها مبكراً عن استقلالهم رغم تبعيتهم لعمان. وقد اتسمت هذه الفترة باتساع تجارة العبيد مع الأوربيين، الذين اظهروا اهتماماً خاصاً بتجارة العاج التي جاءت في الدرجة الثانية بعد تجارة العبيد.

الفترة الأخيرة: كانت العصر الزنجباري الذي امتد بين عامي ١٨٤٠م و١٩٦٤م، إذ قام سعيد بن سلطان في عام ١٨٤٠ بنقل مقرّه من مسقط إلى زنجبار، واستطاع أن يسيطر بسرعة فائقة على المدن الساحلية كافة من الشمال حتّى الجنوب، ومن بينها مدينة «مونباسا أو مُمباسه». واستمرّت حكومات هذه الفترة بتطوير العلاقات مع أوروبا، كما تزايدت مصالح الشعوب الأوربية في التجارة مع هذه المدن. وفي سنة ١٩٦٤م سقط حكم الزنجباريين رسمياً بسبب الانهيار الاقتصادي.

في أعقاب ذلك أصبحت هذه المناطق تحت الوصاية البريطانية، حتّى أعلنت استقلالها في فترات زمنية مختلفة بأسماء جديدة وعلى شكل دويلات صغيرة.

كانت في القرن التاسع عشر مدن صغيرة في هذه المناطق شكّلت أحداثها تاريخ هذا الجزء من العالم، فقد كانت تتغيّر هويّة هذه المدن تدريجياً وتتخذ أسماء مختلفة. كانت مجاميع كثيرة من الناس تنتقل من هذه المدن لتشيّد مدناً أخرى بنفس الاسم في أماكن أخرى. أمّا القوّة السياسيّة والدينيّة في هذه المدن الصغيرة فقد كانت بيد السلطان، وكان هناك صراع على السلطة بين أفراد عائلة السلطان، ولهذا السبب -

ولأسباب أخرى كمصالح الأجانب التجارية - كان ميزان القوى يتغير باستمرار لصالح هذه الجهة أو تلك.

كان العرب المهاجرون والعرب السواحليون قد اعتنقوا الإسلام في القرن التاسع عشر، لكنهم لم يهتموا بنشر الإسلام حتى بين أسرهم وعبيدهم.

في هذا القرن طلب السلطان من الهنود إقامة روابط تجارية بين الجانبين. فكانت القوافل القادمة من الهند تتردد على هذه المناطق تحت إشراف العرب السواحليين الذين حققوا نفوذاً كبيراً في ثقافة الناس ومعتقداتهم. وقد أقامت القوافل محطات توقّف في مسيرها استفاد منها التجار المسلمون. فشكّلت هذه المحطات موقعاً مناسباً لعرض الإسلام.

وعلى أي حال، لقد أدّت الخطوط التجارية إلى مجيء المسلمين وبالأخص الشيعية إلى هناك. ولا بدّ من القول: إن الاسماعيليين هم أول من شكّل مجتمعاً دينياً في هذه المناطق. وفي أواسط القرن التاسع عشر رفض بعض الاسماعيليين في «بومبي» تقديم زكاة أموالهم لزعيم الاسماعيليين «آقا خان»، فانضوا تحت لواء «ملا قادر حسين» وهو من الشيعة الإثني عشرية في بومبي، وحققت الشيعة الإثنا عشرية نمواً في إفريقيا أيضاً. وكان النمو الشيعي الإثنا عشري ملموساً تماماً في هذا الجزء من إفريقيا، وقد اعتنق هذا المذهب الكثير من المسلمين من غير الشيعة وحتى من غير المسلمين. وبعد المحاضرة، طرح الحاضرون أسئلتهم التي قام «بنراد» بالإجابة عنها، وكانت الأسئلة والأجوبة كالآتي:

□ كم هو عدد أتباع أهل البيت عليهم السلام في شرق إفريقيا؟

■ طبعاً ليس ثمة أرقام رسمية، ولعلّ عددهم يبلغ ثلاثين ألف نسمة، يشكّل الهنود غالبيتهم. ولكن ولأسباب كثيرة منها التمييز العنصري تمّ إخراج الهنود من هذه المناطق، وبعضهم هاجر من تلقاء نفسه. فقد تعرّض الهنود لمعاملة قاسية من قبل الحكومات

الإفريقية. وفي «أوغندا» خصوصاً قام «عيدي أمين» أحد حكام هذا البلد بتخفيض عدد الهنود، ومن ثم الشيعة حتى بلغ عددهم الصفر تقريباً.

□ متى انتشر التشيع في هذه المنطقة، وما هو سبب انتشاره؟

■ إن هجرة الهنود من أجل التجارة، وجهود «سيفن بلال» وانتصار الثورة الإسلامية في إيران كانت الأسباب التي أثمرت انتشار التشيع. وللثورة الإسلامية خصوصاً أنصار بين سكان إفريقيا المحليين، وهؤلاء يمثلون جسراً إعلامياً متناسباً مع وضع الناس وعقائدهم.

□ هل تمتع الشيعة على مدى هذه السنين بحكومة مستقلة أم لا؟

■ طبعاً كانت لهم سيطرة على المجتمع، وشيدوا أبنية منها مساجد متعددة، لكننا لا نعرف حكومة شيعية مستقلة، فلم يكن عدد الشيعة في تلك المناطق قياساً إلى عدد أتباع سائر المذاهب والأديان بالقدر الذي يمكنهم من تشكيل حكومة مستقلة.

□ كيف وجدت استعداد الأفارقة لتقبل الدين الإسلامي؟

■ إن الإجابة عن هذا السؤال معقدة وشائكة جداً. فلكي تكون هذه الإجابة واقعية لا بد من معاشة أولئك الناس لفترة طويلة. للإسلام في إفريقيا معارضون ومؤيدون، فالبعض يعارض انتشار الإسلام في إفريقيا بصفته ديناً جديداً، والبعض الآخر ينشط بقوة لكسب الناس للإسلام. وللموضوع ارتباط - إلى حد ما - بسياسات دول شرق إفريقيا. فكما تعلمون أن بعض رؤساء إفريقيا من المسلمين وبعضهم الآخر مسيحيون. إذا فالإسلام في شرق إفريقيا يمثل مسألة تجاذب، إذ لا ينظر إليه بمنظار واحد.

□ هل لكم أن تتطرقوا بمزيد من التوضيح لأسباب الدمار الذي أصاب مدن

سواحل شرق إفريقيا؟ ثم لماذا لم يشيّد السكان مدنهم بعيداً عن السواحل؟

■ شُيِّدت أغلب هذه المدن بأيدي البحارة الذين نزلوا إلى السواحل بحثاً عن العاج وتجارة العبيد، وبيع البضائع والمنتجات غير الإفريقية في إفريقيا، أي أن هذه السواحل

كانت أراضي مهمة للتجارة. إضافة إلى ذلك كان التجار وغيرهم من القادمين إلى إفريقيا يستشعرون الأمان أكثر قرب البحر. كما أن الدفاع عن المدن الساحلية أكثر سهولة، إذ لا يمكن محاصرة القريب من البحر. وبخصوص أسباب دمار تلك المدن، فقد كان لهجمات سكان إفريقيا عليها الدور الأكبر في ذلك، فإن تاريخ إفريقيا لم يعرف الاستقرار. وبعد أن تصاعدت الحروب ومن ثم الهجرات، فقدت الأسواق جاذبيتها فأصابها الكساد، وحينئذ غابت مبررات صون المدن.

□ حبذا لو تقدّمون تلخيصاً لنشاطات المسلمين الثقافية في تلك المناطق.

■ هناك «اتحاد الشيعة الأفارقة» الذي تأسس في العقد الخامس من القرن الحالي. وكنت قد أشرت في مقالة باللغة الفرنسية لنشاطات مثل هذه المراكز الثقافية. وهناك مراكز أخرى، فمثلاً للشيعة مسجدان في «بناباسكا» جرى تأسيسهما في أوائل هذا القرن.

وقد نجح إلى حد ما الاتحاد المذكور في حفظ مصالح المسلمين الأفارقة، فاستطاع في الكثير من الموارد أن يطالب بحقوقهم. وأرسل هذا الاتحاد بعض طلاب العلوم الدينية إلى الهند، وكان قد أمّن نفقاتهم. وهو يعطي أحياناً منحة دراسية. وأجرى الترتيبات اللازمة لتعليم الشباب الشيعي، ومن خلال علاقته وتعاونه مع بلدان إسلامية توفرت لديه إمكانات جيدة.

هناك مجلة باللغة «السواحلية» تصدر من إيران، وتوزع هناك مجاناً. ويستفاد من هذه الإصدارات كمواضيع تعليمية. وثمة مركز ثقافي في «نيروبي» تابع لإيران، وفيه مكتبة عامة.

□ ما هي آثار الشيعة الإثني عشرية في إفريقيا من وجهة نظر علم الاجتماع؟
(المقصود شرق إفريقيا).

■ كما أشرت في حديثي، كان الشيعة يعيشون في البداية في دائرة مغلقة، ولم

يظهروا اهتماماً بالعالم الخارجي. وتحرُّك المسلمين الشيعة نحو الخارج أمر جديد نسبياً يعود إلى حوالي عام ١٩٦٠م.

ومن المتوقع أن يؤدي مرور الزمن وتعايش الشيعة السلمي مع غيرهم إلى تعزيز التفاهم بينهم، فالدبلوماسية الشيعية في هذه المناطق تتسم بأنها تسالمية وتفاهيمية، الأمر الذي يمهد لاقتدارهم في المنطقة.



قصيدة

السيد الأرحم

ابراهيم جلود (سوريا)

ببطن مكة بين الحل والحرم
وسل بطاحاً بها عن فارس قرم'
عاداته تُحتذى في البأس والكرم
تأتيه زحفاً على موج من النعم
وخير من أنطق الخطي من بكم
بكل ما يرتجي من وافر النعم
ويحمل العبء عن كل وعن هريم
أقام للبيت ركناً غير منهدم
من الشهامة والعلياء والشمم
مع الرسالة يُذكي شعلة القيم
جلا به الله سُحب الظلم والظلم؟

انزل بزمزم تطفي جمرة الوحم'
عرج عليها وطف بالبيت معتمراً
عن سيد من بني عدنان ما فتئت
عن سبط هاشم سل عنه العلى دأبت
عن عم طه سليل المجد من قدم
سل عن مآثره، يحبو فقيرهم
سل عن مروءته، يحمي ضعيفهم
سل عن مكارمه يسقي الحجيج وقد
يُنبيك أبطحها عن شيخه سحباً
سل عن أبي طالب ما سر وقفته
هل كان يجهل سر النور في رجل

هل كان يسجد منقاداً إلى صنم؟
لو كان يعبدُها؟ حاشاه من عَلم
ما كان يعبدُ غيرَ الله من قَدَم
لم ينتض السيف يحمي سيدَ الأَمَم
يحمي النبيَّ بكُلِّ: ساعدٍ وفمٍ
وقابلته على النعماء بالثَّقم
أنوارُه من فؤادٍ غير ذي سقم
وأجمعوا أن يقوموا قومةَ البُهم
من قام يدعو إلى الأخلاق والئِسم
وتارة بالظُّبى الهنديَّة الخُدُم
والسيف إن يُخترط للصخر ينثلم

هل كان يعبد غير الله آلهة
ما باله يرتضي عيباً لآلهة
ما كان يطوي سوى التوحيد معتقداً
لو لم يكن يُبطنُ التوحيد من ثقةٍ
وعاش ما عاش يرعى الدين من بُهمٍ
الشَّعبُ يشهد كم أبدت غوائلها
وأجمعت تخنق الحق الذي انبجست
وقد تحزَّب أصحابُ الهوى حمقاً
فيطبقوا بالسيوف البارقات على
فقام يثنيهم بالحرف آونةً
حتى التوى مكرهم وانفل سيفهم

* * *

ما ثمَّ مثلك في الأسياد والخدم
لك الرقاب خضوعاً غير منحرم
يا درعٍ مستضعفٍ يا كهفٍ مُهتَضَم
رئى يتيماً وحامئ ثابت القدم
والدمع سأل على الخدين كالدَّيم
جمي هصورٍ وباتوا نُهبةَ السَّدَم^١

زعيم مَكَّة راعيها وخادما
علم وحلم وأخلاق بها خضعت
يا سيفٍ مستنصرٍ يا عزٍّ مفتقرٍ
يا ملجأ شاءه الباري لأحمده
كم قد بكاك رسول الله في ألمٍ
وقتٍ في عضدِ الأنباغ أن فقدوا

(١) البُهم: مفرد ما بُهَمَ: وهو الشجاع الذي يستبهم مأناه على أقرانه.

(٢) السَّدَم: الهم والحزن مع الندم والغبط.

قامت أياديكَ بعد الموتِ ترفدُهم
فجعفروا وعليّ أشدُّ ملحمةٍ
وحمةٍ ضيغَمٌ في كلّ واقعةٍ
حاموا عن الدين ما كلّتِ سواعدهم
حتى أقيم عمودُ الدين وانتصبت

بكل حيدرةٍ بالحق معتصم
وثمَّ عمَّهما العباسُ ذو الشَّمم
يعلو على كلِّ قرنٍ أضلَعِ عَرمٍ
وأقدموا دونما خوفٍ ولا سأم
رايأته خافقاتٍ في ذرى القمم

* * *

عابوك إذ لم يشيموا فيك منقصةً
عابوك إذ لم يحوزوا فضلَ سابقةٍ
وغاظهم أنَّهُم ما أمسكوا سبباً
ما فيك عيبٌ ولا أنت الذي قصدوا
وإنما قصدُهم هدمُ البناءِ وقد
ليستطيل بناءُ الجاهلية في
فليخسأ العابوة قد سنّت رُتَبُ
يا سيّد الأبطح المعمور، معذرةً
لولا صمودك للكفار ما قُمِعوا

وجلّ قدرك عن عيبٍ وعن تُهمٍ
ترقى بهم سلماً في المجد والعِظم
إلا وغاص بهم في غيبِ العدم
والقلب إن يَسْتَنِيْزُ بالحقّ يستقم
أقامه المصطفى بالسادة الوُهمُ
أمّ القرى بأبي سفيانَ والحكم
تعلي أبا طالبٍ في العرب والعجم
عن أمة جهلت قدراً لذي هم
لولا جهادك في الإسلام لم يتم

* * *

(١) القُرُونُ: المكافئ - النظير - الشديد الغليظ من الرجال. القَرَمُ: الشَرش. (٢) الوُهمُ: مفردُها وَهْمٌ وهو الرجل العظيم.

كِتَابٌ فِي مَقَالٍ :

الهُوِيُّ فِي حَدِيثِ أَهْلِ الْبَيْتِ

الشيخ أبو بصير

□ بطاقة الكتاب:

اسم الكتاب: الهوي في حديث أهل البيت عليهم السلام.

المؤلف: سماحة الشيخ محمد مهدي الأصفي.

طبع ونشر: المعاونة الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام.

عدد الصفحات: ٢٨٣ صفحة من القطع الوزيري.

الطبعة وسنتها: الأولى عام ١٤١٤ هـ الموافق عام ١٩٩٤ م.

□ أضواء على منتخب من موضوعات الكتاب:

ينطلق الكاتب في فصول كتابه وفقراته من شرح وبسط مضامين الحديث القدسي المروي عن الامام الباقر عليه السلام عن رسول الله ﷺ والذي يقول الله عز وجل فيه: «وعزتي، وجلالي، وعظمتي، وكبريائي، ونوري، وعلوي، وارتفاع مكاني، لا يؤثر عبد هواه على هواي إلا شئت أمره، ولبتت عليه دنياه، وشغلت قلبه بها، ولم أوت منها إلا ما قدرت له. وعزتي، وجلالي، وعظمتي، وكبريائي، ونوري، وعلوي، وارتفاع مكاني، لا

يؤثر عبد هواي على هواه إلا استحفظته ملائكتي، وكفلت السماوات والارض رزقه، وكنت له من وراء تجارة كل تاجر، وأتته الدنيا وهي راغمة»^١.

ويستهل الكاتب دراسته في الفصل الاول بعنوان: «الهوى في القرآن والحديث» ليستعرض فيه أبرز خصائص الهوى من خلال النصوص الاسلامية، وهي:

١ - الحالة التوسعية للهوى، وهنا يذكر روايات عديدة في الدلالة على هذه الحالة، منها ما عن حمزة بن حمران قال: شكى رجل إلى أبي عبد الله عليه السلام أنه يطلب فيصيب ولا يقنع، وتنازعه نفسه إلى ما هو أكثر منه، قال: علّمني شيئاً انتفع به، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «إن كان ما يكفيك يغنيك فأدنى ما فيها يغنيك، وإن كان ما يكفيك لا يغنيك فكل ما فيها لا يغنيك»^٢. والمقصود من حالة الاطلاق في هذه النصوص ليس هو الاطلاق الحقيقي بالتأكيد، وإنما هو حالة النهم المتزايد للفرائز عند الإنسان، والتي ليس لها حد معقول للاكتفاء.

٢ - قوة التحريك والالاحاح في الهوى، وفيها يورد نصراً عديدة، منها حكاية القرآن الكريم عن امرأة العزيز في سياق الإقرار، في الدلالة على قوة الهوى وسلطانه في حياة الإنسان، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾^٣. وكذلك ما روي من أن زيد بن صوحان «سأل أمير المؤمنين عليه السلام: أي سلطان أغلب وأقوى؟ قال: الهوى»^٤.

٣ - حالة النهم في الهوى تتضاعف بالاستجابة، وهنا يذكر أيضاً روايات عديدة تنتخب منها ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «رد الشهوة أفضى لها، وقضاؤها أشد لها»^٥، وعن الامام الباقر عليه السلام: «مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القز، كلما ازدادت من القز

(٢) المصدر: ١٨.

(٤) المصدر: ٢٠.

(١) الكتاب المعرف: ١١.

(٣) المصدر: ٢٠.

(٥) المصدر: ٢٢.

على نفسها لئلا كان أبعد لها من الخروج حتى تموت»^١.

وعن سلطان العقل على الهوى ودوره في ضبطه يستشهد الكاتب بعدة روايات، منها ما ورد عن علي عليه السلام: «لنفوس خواطر للهوى، والعقول تزجر وتنهى»^٢، وعنه عليه السلام أيضاً: «العقل الكامل قاهر للطبع السوء»^٣.

وفي معرض الحديث عن الدور الإيجابي للهوى في حياة الإنسان يطرح الكاتب السؤال التالي: لماذا خلق الله تعالى الهوى في نفس الإنسان؟ وما هو الدور الإيجابي للهوى في حياة الإنسان؟

ثم يقدم الإجابة عنه بالنقاط التالية:

١- الهوى العامل المحرك الأقوى في حياة الإنسان، فقد ربط الله تعالى معظم القضايا الحيوية في حياة الإنسان بعامل الهوى، وجعله ضماناً لتأمين هذه الحاجات الأساسية، فالتزاوج والتناسل ضمن بالغريزة الجنسية، ونمو الإنسان بغريزة الأكل والشرب، والحياة الاجتماعية بغريزة الاجتماع، والحياة الاقتصادية والمعيشية بغريزة التملك، والدفاع عن النفس والكرامة والمال والأهل بغريزة الغضب.. وهكذا.

٢- الهوى سُلّم الكمال في حياة الإنسان، لأن الإنسان بخلاف الكائنات الأخرى من «الجماد والنبات والحيوان» ينفذ المشيئة الإلهية بإرادة واختيار، ولذلك فإن الإنسان في القرآن الكريم «خليفة»^٤ الله، وسائر الكائنات «مسخرات»^٥ بأمر الله له. وكلما كانت إرادة الطاعة والامتثال لله تعالى تتطلب جهداً نفسياً ومعاناة أكثر كانت قيمة العمل أعظم عند الله. وتحدث هذه المعاناة بمواجهة الإنسان لأهوائه وشهواته، وضبطها والسيطرة عليها ضمن الحدود والضوابط الشرعية.

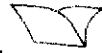
(١) المصدر.

(٢) المصدر: ٢٣.

(٣) المصدر.

(٤) المصدر: ٢٩.

(٥) المصدر.



٣- التفاعلات التي تجري للأهواء والشهوات التي أودعها الله داخل النفس الإنسانية تحوّل هذه الغرائز الهائلة والجامحة - وبفضل القدرة الارادية للإنسان على «الكف» و«التقوى» - إلى قيم سامية في شخصية الإنسان.. إلى فضائل أخلاقية وبصيرة ويقين وعزم وحزم وإقدام وتقوى.. إلخ، وإلى هذا تشير الآية الكريمة: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به﴾^١.

أما عن الدور التخريبي للهوى فقد استعرضه الكاتب ضمن مرحلتين: في المرحلة الأولى، وهي التي يعبر عنها القرآن الكريم بـ «إغفال القلب» في قوله تعالى: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾^٢، يعطل الهوى إرادة الانسان وعقله وضميره وقلبه وفطرته، وذلك مفاد قوله تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون﴾^٣. وفي المرحلة الثانية، وبعد استيلاء الهوى على الإنسان استيلاء كاملاً، يكون الإنسان عندئذ تبعاً لهواه، ويعبر القرآن الكريم عن هذه المرحلة بـ «اتباع الهوى» كما في قوله تعالى: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فُرطاً﴾^٤. ثم ساق الكاتب النتائج التي يؤول إليها أمر هؤلاء الناس من الذين يتبعون أهواءهم فيما يحدث به القرآن الكريم وهي:

١- الخلود إلى الأرض، وهو السقوط في الحياة الدنيا والركون إليها ﴿ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا...﴾^٥.

٢- الانسلاخ عن آيات الله، فلا يعيها ولا يعرفها، ويورد الكاتب في ذلك مجموعة من الروايات نختار منها ما عن علي عليه السلام: «حرام على كل قلب مغلول بالشهوات أن ينتفع

(٢) المصدر: ٤١.

(٤) المصدر: ٤١.

(١) المصدر: ٣٦.

(٣) المصدر: ٤٢.

(٥) المصدر: ٥٠.

بالحكمة^١.

٣ - استيلاء الشيطان عليه، لقوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾^٢ أي أدركه وناله وتمكّن منه وأحكم قبضته عليه.

٤ - الغواية والضلال، فلا يهتدي إلى الصراط المستقيم، لقوله تعالى في ذيل الآية: ﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾^٣.

٥ - الحرص والجشع، فيصاب بما يسمّى بداء الكلب، فيلهث وراء الدنيا وحطامها ومتاعها ولا يرتوي منها، ويصف الله تعالى هؤلاء بقوله: ﴿فَمَثَلُ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ﴾^٤.

بعدها ينتقل الكاتب إلى علاج الهوى ورسالة العقل في ضبطه فيعرض إلى الأدوار والمهام الثلاثة للعقل في حياة الإنسان وهي:

١ - المعرفة والاحتجاج، وهي الرسالة الأولى للعقل، وهنا يسرد الكاتب روايات متعددة نذكر منها ما ورد عن رسول الله ﷺ: «إنما يدرك الخير كله في العقل»^٥، وعن الصادق عليه السلام: «العقل دليل المؤمن»^٦.

٢ - طاعة الله عز وجل، وهي المعرفة العملية التي تلزم الإنسان سلسلة من الواجبات والمحرمات، وهي الوجه الأول من طاعة الله بعد المعرفة النظرية، ويذكر الكاتب هنا روايات عديدة منها: عن رسول الله ﷺ: «العقل من أطاع الله»^٧.

٣ - الصبر في مكافحة الهوى، وهو الوجه الثاني لطاعة الله، ويمثل الالتزام بالكفّ عمّا نهى الله تعالى عنه، وضبط النفس عن الشهوات، وكفّ الهوى والصبر على ذلك كله. والعقل هنا هو المسؤول عن السيطرة على الهوى والشهوات وإخضاعها لسلطانها،

(٢) المصدر: ٥٠.

(٤) المصدر: ٥٠.

(٦) المصدر.

(١) المصدر: ٥٣.

(٣) المصدر.

(٥) المصدر: ٦١.

(٧) المصدر: ٦٣.

ومن الروايات العديدة التي سردها الكاتب في ذلك ما عن علي عليه السلام: «قاتل هواك بعقلك»^١.

وهنا يركّز الكاتب البحث على الدور الأخير، ويمسك الحديث فيه تحت عنوان: «مصير الانسان يقرره الصراع بين العقل والهوى»، ومما ذكره من روايات في ذلك ما عن أمير المؤمنين عليه السلام: «العقل صاحب جيش الرحمن، والهوى قائد جيش الشيطان والنفس متجاذبة بينهما، فأيهما يغلب كانت في حيزه»^٢. وفي هذا السياق يستعرض جنود العقل وحنود الجهل من خلال النصوص الواردة عن أهل البيت عليه السلام، ثم يختم بحثه هذا ببيان ثمرات وإفرازات العقل الكامل، التي في مقدمتها الاستقامة على الحق، وذلك مفاد مجموعة من الروايات ساقها الكاتب، منها قول علي عليه السلام: «ثمرة العقل الاستقامة»^٣. ثم يعود لبحث القوى والجنود التي تدعم موقع العقل وتسند وتمكّنه من مجابهة الهوى، والتي بدونها يبقى العقل وحده ضعيفاً مهزوماً، وهذه القوى والجنود تندرج تحت عنوان: «العصم» التي أودعها الله تعالى في نفس الإنسان، وهي تقوى وتضعف بالتقوى وعدمها، فالعلاقة بين «التقوى» و«العصم» علاقة تبادلية في جانبها الإيجابي، «فالتقوى» تؤثر في دعم «العصم»، و«العصم» تؤثر في دعم «التقوى»، وهي بعكس ذلك في جانبها السلبي. ثم يدخل في بيان نموذجين من هذه العصم التي أودعها الله تعالى في نفس الإنسان، وهما «الخوف» و«الحياء». وتحت عنوان: «الخوف أمان» يسرد الكاتب مجموعة من روايات الرسول صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليه السلام الواردة في ذلك، منها قول علي عليه السلام: «نعم الحاجز عن المعاصي الخوف»^٤ وعنه عليه السلام أيضاً: «الخوف سجن النفس من الذنوب، ورادعها عن المعاصي»^٥.

(٢) المصدر: ٦٦.

(٤) المصدر: ٩٥.

(١) المصدر: ٣٩.

(٣) المصدر: ٨٥.

(٥) المصدر: ٩٤.

أما الحياء من الله تعالى، وهو أن يستحضر الإنسان في قلبه حضور الله تعالى وأنه يبصره ويسمعه وأن ملائكة الله تعالى موكلون قريبون منه لا يخفى عليهم من شأنه وأمره شيء إلا ما يخفيه الله تعالى فقد عرض في ذلك روايات كثيرة، كان منها ما عن رسول الله ﷺ: «استح من الله استحياءك من صالح جيرانك فإن فيه زيادة اليقين»^١، وعن علي عليه السلام: «الحياء يصدّ عن الفعل القبيح»^٢.

وبعد جولة الكاتب في معنى الهوى وأعراضه وعلاجه، ينتقل إلى الفصل الثاني لبحث: «من يؤثر هواه على هوى الله»، انطلاقاً من الفقرة ذات العلاقة الواردة في الحديث القدسي عن رسول الله ﷺ حيث يقول الله تعالى فيها: «وعزّتي، وجلالي، وعظمتي، وكبريائي، ونوري، وعلوّي، وارتفاع مكاني لا يؤثر عبد هواه على هواي إلا شئت أمره، ولّبت عليه دنياه، وشغلت قلبه بها، ولم أوته منها إلا ما قدرّت له». ثم طفق الكاتب يسبر غور المعاني والدلالات العالية لهذا المقطع من الحديث في دائرة نقاط ثلاث:

النقطة الأولى: أن الله تعالى يعاقب من يؤثر هواه على هوى الله تعالى بثلاث عقوبات: أ- يشتت عليهم أمرهم، بأن يسلبهم الثبات، والاستقرار، ووحدة السلوك، والمنطلق، والغاية، والموقف، والوسيلة، ويجعلهم كريح في مهب الريح. وفي سياق هذا المطلب يعرض الكاتب حقيقة أن الناس على شاكلتين: النموذج الأول، الشخصية المنسجمة التي تتميز بآمارات، من أبرزها الثقة، والاطمئنان، والثبات، والاستقرار في الرأي، والشجاعة، وراحة الضمير والنفس، وعدم الاستيحاش من الانفراد في الموقف، أو قلّة الانصرار والمؤيدين، وكثرة المعارضين. والنموذج الثاني هو الشخصية القلقة وغير المنسجمة، وهي التي ينتصر فيها الهوى على العقل، ويتزعج النفس من سلطان العقل ويفرض سلطانه عليها، فتتشطر النفس إلى شطرين متصارعين، يحاول الإنسان فيها - في

(٢) المصدر: ٨١١

(١) المصدر: ٨١٠

أتعس حالاته - أن يلجأ إلى الحلّ السلبي لمعاناته وعذابه الذي يتحمّله بسبب ذلك، فيلجأ إلى الفرار من وعيه، ليسلم من تلك المعاناة وعذاب الصراع، ويجد في السكر والقمار والجريمة والإباحة الجنسية ملاجئه التي يفرّ إليها من وعيه وضميره، وذلك ما يصفه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾^١. ولا يقتصر تشتت أمر هذه الطائفة على الدنيا بل يتعدّى إلى الآخرة أيضاً، كامتداد طبيعي لما ألوا إليه في دنياهم، وذلك ما وصف الله تعالى به في القرآن الكريم حال الكفّار والمنافقين في جهنم حيث يقول: ﴿كَلَّمَا دَخَلْتَ أُمَّةً لَعَنْتُ أَخْتَهَا﴾^٢، وفي ذلك أيضاً ما عن رسول الله ﷺ: «كَفَّ أَذَاكَ عَنْ نَفْسِكَ، وَلَا تَتَابِعْ هَوَاهَا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، إِذْ تَخَاصُمَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُلْغِي بَعْضُكَ بَعْضًا، إِلَّا أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ وَيَسْتَرْ بِرَحْمَتِهِ»^٣.

ب - يلبّس عليهم دنياهم، بأن يبرز الدنيا ويظهرها لهم بظاهرٍ مغرٍ سريع الزوال ليس هو حقيقة الدنيا وباطنها، وذلك لأنّ للدنيا ظاهراً وباطناً، والناس على طائفتين: من لا ينفذ بصره إلى أكثر من ظاهر الحياة الدنيا، ومن يخترق ببصيرته ظاهر الدنيا إلى باطنها. وإلى هذا التقسيم يشير القرآن الكريم: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾^٤.

ويفيض الكاتب هنا ببيان حقيقة الدنيا من خلال آيات القرآن الكريم وروايات أهل البيت (عليهم السلام)، ثم يعقد مقارنة قرآنية بين الوجه الظاهر والباطن للحياة الدنيا، ويدخل في بيان أن تعدّد وجوه الدنيا ينشأ من تعدّد الرؤية إلى الدنيا، وأن الرؤية الصحيحة هي ما أشار إليها القرآن الكريم في مقام نهيه عن الرؤية الخاطئة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمَدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾^٥.

(٢) المصدر: ١٢٣.

(٤) المصدر: ١٢٥.

(١) المصدر: ١١٤.

(٣) المصدر: ١٢٤.

(٥) المصدر: ١٤٢.

بعدها ينتقل الكاتب إلى تقرير نتائج وانعكاسات الرؤية على النفس في صورتين: صورة حب الدنيا، وصورة الزهد بها، ويبدأ بحب الدنيا ليؤكد أنه مصدر كل شر في حياة الإنسان وأن مآله الكفر، ومما أورد من آيات وروايات في ذلك قوله تعالى: ﴿ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم﴾ ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين^١، وقول رسول الله ﷺ «حب الدنيا أصل كل معصية وأول كل ذنب»^٢. ثم يشرح في تعداد وشرح طائفة من الآثار النفسية والسلوكية لحب الدنيا، وهي: «طول الأمل في الدنيا، الاطمئنان إلى الدنيا والركون إليها، إثارة الحياة الدنيا على الآخرة، الاستعجال بطيبات الآخرة في الدنيا»، ثم يدخل في دراسة تحليلية للنصوص التي تناول شرح هذه الآثار وبيان حقيقتها.

وينتقل بعد ذلك إلى الزهد في الدنيا ليقرّر أنه مصدر كل خير، وأورد في ذلك نصوصاً عديدة، منها ما عن الصادق عليه السلام: «جعل الخير كله في بيت، وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا»^٣، ثم يعدّد ويشرح أهم الآثار النفسية والسلوكية للزهد، وهي: «قصر الأمل، والتحرر والانتعاق من الانفعالات الدنيوية، ونفي الركون إلى الدنيا»، داعماً ذلك بمجموعة مما ورد عن الرسول ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليه السلام.

وفي العلاقة المتبادلة بين الأسباب والنتائج يعرض الكاتب مجموعة من النصوص في علاقة الزهد بالبصيرة وعلاقة البصيرة بالزهد، منها قوله تعالى: ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾^٤، ومنها ما عن رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر، ما زهد عبد في الدنيا إلّا أنبت الله الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه، وبصره عيوب الدنيا وداءها ودواءها، وأخرجه منها سالماً إلى دار السلام»^٥. وفي سياق الحديث عن الدنيا يبدأ الكاتب

(١) المصدر: ١٤٥.

(٢) المصدر: ١٤٤.

(٣) المصدر: ١٦٥.

(٤) المصدر: ١٧١.

(٥) المصدر: ١٧٢.

بتقسيم الدنيا إلى مذمومة وممدوحة، وهما تعبيران عن طريقتي النظر المتباينتين إلى الدنيا، وإلا فإن الدنيا حقيقة واحدة، فإذا نظر إليها الإنسان نظر الاغترار كانت الدنيا مذمومة، وإذا نظر إليها الإنسان نظر الاعتبار كانت الدنيا ممدوحة. وفي الوجه المذموم من الدنيا يشير الكاتب إلى طائفة من النصوص الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، منها ما ورد عن علي عليه السلام: «الدنيا سوق الخسران»^١ و«الدنيا مزرعة الشر»^٢، أما الوجه الممدوح من الدنيا فيستعرضه مدعماً بالنصوص تحت العناوين التالية: «الدنيا بلاغ الآخرة، الدنيا مركب المؤمن، الدنيا دار صدق واعتبار، الدنيا دار عافية، الدنيا دار غنى وتزود، الدنيا دار موعظة، الدنيا مسجد أحبب الله، الدنيا متجر أولياء الله، الدنيا سوق، الدنيا عون على الآخرة، الدنيا ذخيرة، الدنيا دار المتقين، الدنيا تحرز الآخرة».

ج - يشغل قلوبهم بالدنيا، وهي عقوبة «تكوينية» من نوع الجريمة ولا سبيل للفرار منها، وهي التي أشار إليها الحديث القدسي في مقطع: «وشغلت قلبه بها»، وهنا يتناول الكاتب الوجه الإيجابي والوجه السلبي للاشتغال بالدنيا، والأول منهما حالة مرضية خطيرة، تستحوذ الدنيا فيها على قلب الإنسان وتسيطر عليه، وهو ما أشارت إليه وصية أمير المؤمنين عليه السلام لابنه الحسن المجتبي عليه السلام: «ولا تكن الدنيا أكبر همك»^٣. أما الثاني وهو الوجه السلبي للاشتغال بالدنيا، فهو الانقطاع إلى الدنيا عن الله، فهي إذا كانت أكبر هم الإنسان فإنها تكون هي الموجهة له وليس مرضاة الله. وهنا يدخل الكاتب في بحث انغلاق القلب عن الله تعالى باعتباره نتيجة طبيعية لهذا الاشتغال بالدنيا، ويستعرض فيه العناوين القرآنية الواردة فيه، ونكتفي فيما يلي بذكر بعض منها:

١ - الزين، ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^٤.

(١) المصدر: ١٧٤.

(٢) المصدر: ١٧٤.

(٣) المصدر: ١٨٤.

(٤) المصدر: ١٨٥ و ١٨٦.

- ٢- الصرف، ﴿صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون﴾^١.
 - ٣- الطبع، ﴿ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون﴾^٢.
 - ٤- الختم، ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة﴾^٣.
 - ٥- الأقفال، ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾^٤.
 - ٦- التغليف، ﴿وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم﴾^٥.
 - ٧- التكنين، ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً﴾^٦.
 - ٨- التشديد، ﴿ربنا اطمئن على أموالهم واشدد على قلوبهم﴾^٧.
 - ٩- القسوة، ﴿وطال عليهم الأمد فقست قلوبهم﴾^٨.
- ثم يختم الكاتب هذا الفصل في بيان كيفية تحوّل الدنيا إلى سجن لمثل هذا الإنسان؟

ومما قاله في ذلك: «إن قلب الإنسان إذا انغلق عن الله تعالى تحوّلت الدنيا إلى سجن يحتوي هذا الإنسان، ويستحوذ عليه، ولا يستطيع أن يخرج منه» ومما ورد عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام في الدعاء: «ولا تجعل الدنيا عليّ سجنًا»^٩، ولا يدرك ذلك إلاّ المحبّون لله، الزاهدون بالدنيا، أما أهل الدنيا فلا يدركون أنهم في سجن الدنيا، لأنهم عندما يمتلئون الدنيا من نفوسهم تشتبك عليهم كما يشتبك الاخطبوط، فتغلّ أيديهم وأرجلهم، وتقيّد حركتهم، وتستعبدهم، وهذا ما يشير إليه أمير المؤمنين عليه السلام في قوله: «إن الدنيا كالشبكة تلتف على من رغب فيها»^{١٠}.

النقطة الثانية: أن هذه العقوبات الواردة في الحديث الشريف تسبقها أيمان شديدة مغلّظة «وعزّتي، وجلالي، وعظمتي، وكبريائي... الخ»، وهذه الأيمان تكشف عن أهمية الموضوع الذي يعقب هذه الأيمان.

(٩) المصدر: ١٨٧.

(٨ - ١) المصدر: ١٨٥ - ١٨٦.

(١٠) المصدر.

النقطة الثالثة: أن طريقة الأداء والتعبير في الحديث الشريف طريقة حاصرة «بالنفي والاثبات»: «لا يؤثر عبد هواه... إلا شئتُك أمره...»، ومعنى هذا الحصر أن الإنسان إذا أثر هواه على هوى الله تعالى فلا يمكن أن ينفلت من قبضة العقوبات الإلهية الثلاث بحال من الأحوال.

أما الفصل الثالث والأخير من الكتاب فقد جاء تحت عنوان: «من يؤثر هوى الله على هواه»، وينطلق الكاتب هنا لبيان مفاد المقطع الأخير من الحديث القدسي المروي في كتاب الخصال للشيخ الصدوق عن الإمام الباقر عليه السلام حيث يقول الله تعالى فيه: «... وعزّتي وجلالي وعظمتي... لا يؤثر عبد هواي على هواه، إلا جعلت غناه في نفسه، وهمة في آخرته، وكففت عنه ضيعته، وضمت السموات والأرض رزقه، وكنت له من وراء تجارة كل تاجر»، فيتناول هذه الآثار واحدة تلو أخرى كالآتي:

أ - «جعلت غناه في نفسه»، وهنا يطرح الكاتب المفهوم الإسلامي للفقر والغنى، المغاير تماماً للمفهوم الجاهلي لهما، حيث يعتبرهما الإسلام من شؤون النفس لا المال، فيكون الإنسان غنياً بنفسه وإن كان فقيراً من حيث المال، ويكون فقيراً بنفسه وإن كان غنياً من حيث المال. وفي بيان السر وراء هذه المغايرة وانقلاب مفهوم الغنى والفقر من محور الذهب والفضة إلى محور النفس يدخل الكاتب في تناول دور «المصطلحات الإسلامية» في تصحيح الأفكار، ومن أجل ذلك نسخ الإسلام جملة من المصطلحات الجاهلية، واستخدم مصطلحات جديدة في تأسيس أنظمة جديدة للتقييم، فقد يلغي الإسلام قيمة جاهلية إلغاء كاملاً، ويؤسس قيمة جديدة في الحياة الاجتماعية، وقد يحول الإسلام ما كان الناس يعتبرونه في الجاهلية «ضدّ القيمة» في السياسة والأخلاق والاجتماع والقضاء... إلى قيمة سياسية أو أخلاقية أو اجتماعية... ومن ذلك يتبين السر وراء هذا الانقلاب، وفيه يستعرض الكاتب النصوص الإسلامية في بيان معنى «الغنى» في مفهوم الإسلام، منها ما عن رسول الله ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى

غنى النفس»^١ وعنه عليه السلام: «الغنى في القلب، والفقر في القلب»^٢. أما ما هو الغنى؟ وكيف نكسب الغنى لأنفسنا؟ فيقول: إن غنى النفس هو أن يفك الإنسان ثقته عن المادة والدنيا ويربطها بالله تعالى، فالدنيا سريعة الزوال، والله تعالى لا يزول، والمادة محدودة، ولا حدود لسلطان الله تعالى وعظمته، وعندئذ يكون الإنسان غنياً في توكله على الله وثقته به تعالى، فمن رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر، استغني بغنى الله تعالى يغنيك الله»^٣. أما العوامل التي تكسب الإنسان الغنى في النفس فأهمها مايلي:

١- اليقين بالله تعالى: وهو أعلى درجات الغنى، فمن أمير المؤمنين عليه السلام: «مفتاح الغنى اليقين»^٤، وليس ما وراء هذا اليقين غنى للإنسان.

٢- التقوى: وهي من أهم عوامل الغنى، ومن الروايات في ذلك ما عن الإمام الباقر عليه السلام: «يا جابر، إن أهل التقوى هم الأغنياء، أغناهم القليل من الدنيا، فمؤنتهم يسيرة، إن نسيت ذكرك، وإن عملت به أعانوك، أخرخوا شهواتهم ولذاتهم خلفهم وقدموا طاعة ربهم أمامهم»^٥.

٣- الوعي: وهو «التعقل» الذي هو مفتاح اليقين والتقوى اللذين هما سبيلا الغنى ومقوماته، ومن النصوص العديدة التي أوردت فيه ما عن علي عليه السلام: «إن أغنى الغنى العقل»^٦.

ب- «ضمّنت السموات والأرض رزقه»، وهي ليست بمعنى أن يهمل الإنسان السعي إلى الرزق، بل معنى ذلك أن الله تعالى يوفقه في سعيه وحركته. ومن هذا البعد يدخل الكاتب في بيان معنى التوفيق وحقيقته فيقول: إن الله تعالى يجعل سعي المؤمن وحركته في الموضع النافع، كالمطر الذي ينزل على تربة خصبة صالحة، فإذا وفق الله تعالى عبداً

(٢) المصدر: ٢٠٠.

(٤) المصدر: ٢٠٦.

(٦) المصدر: ٢٠٧.

(١) المصدر: ١٩٩.

(٣) المصدر: ٢٠٤.

(٥) المصدر.

كانت حياته وجهده وعمله مباركاً، يقول القرآن الكريم عن لسان المسيح ﷺ: ﴿وجعلني مباركاً أينما كنت﴾^١. وفي هذا الإطار يصنّف الكاتب القوى العاملة والمؤثرة في حياة الإنسان إلى ثلاثة أصناف:

١ - القوانين الطبيعية والاجتماعية «سنن الله» التي تقود الإنسان إلى الخير أو إلى الشر.

٢ - القوى التي أودعها الله تعالى في الإنسان، والتي يستعملها الإنسان للوصول إلى هذه أو تلك من أسباب الخير أو الشر في الطبيعة والمجتمع.

٣ - التوفيق والعون الإلهي الذي يهدي به الله تعالى عباده إلى أسباب الخير ويعينهم عليها ويأخذ بأيديهم إليها، لينالوا منها ما كان يغيب عنهم، أو ما كانت أيديهم تقصر عنه، ومن دون هذا الأخير لا ينال شيئاً من الخير.

وعن العلاقة بين عالم الغيب والشهود يشير الكاتب إلى تأثير الغيب في عالم الشهود وتأثير الشهود في عالم الغيب، وأن لتقوى الله وخشيته بالغيب والكفّ عن المعاصي تأثيراً مباشراً على حياة الإنسان المادية، وفي ذلك جاءت الآيات الكريمة: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً﴾ ويرزقه من حيث لا يحتسب^٢، ﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً﴾^٣، ومما جاء في علاقة عالم الغيب بعالم الشهود قول رسول الله ﷺ: «لولا الخبز ما صلبنا»^٤.

وفي دور العامل الغيبي في تفسير التاريخ جاء أن القرآن الكريم يعتبر «الغيب» عاملاً من أهم عوامل حركة التاريخ وينفي النظرية المادية في تفسير التاريخ، وفي ذلك آيات عديدة منها قوله تعالى: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء

(١) المصدر: ٢١٠.

(٢) المصدر: ٢١٣.

(٣) المصدر.

(٤) المصدر: ٢١٤.

والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون»^١، ثم يتطرق الكاتب إلى المراحل الثلاثة من تاريخ الأمم من الولادة إلى الهلاك، والتفاعل بين الغيب والشهود فيها.

ج - «وكففت عنه ضيعته»، ويحتمل الكاتب في هذه الجملة معنيين، الأول: من الكَف بمعنى الجمع والضم، والثاني: من الكَف بمعنى المنع والدفع والصرف، فعلى المعنى الأول يكون مفاد الجملة هو: جمعت شتات أمره، ولملمت عليه ضيعته، وتوليت شؤونه وضمنت معيشته، وعلى المعنى الثاني هو: دفعت عنه الضياع وحلت بينه وبين الضياع والته، وهديته وأبنت له معالم الطريق. ويجد الكاتب أن الأقرب إلى السياق هو المعنى الثاني فيختاره. أما كيف يكف الله تعالى ضيعة عبده؟ فيقول الكاتب: إن ذلك يتم بالبصيرة، وهي وضوح الرؤية من دون غبش ولا لبس من خلال حركتين تكامليتين في الإنسان: النشاط العقلي، وترويض النفس وتصفيتها، والثاني أقوى وأبلغ في تحقيق البصيرة، ولهذا يقدم القرآن الكريم التزكية على العلم، من ذلك قوله تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾^٢. ثم يتسلسل البحث إلى العلاقة المتبادلة بين «البصيرة» و«العمل» في السلب والإيجاب فيخلص إلى الصورة التالية:

- ١ - أن البصيرة تؤدّي إلى العمل الصالح.
 - ٢ - والعمل الصالح يؤدّي إلى البصيرة والهدى.
 - ٣ - والضلالة وانعدام البصيرة يؤديان إلى الظلم والفجور وسيئات الأعمال والمعاصي والذنوب.
 - ٤ - وسيئات الأعمال والظلم والفجور تؤدّي إلى العمى وانعدام البصيرة.
- وفي الختام تضمّن الكتاب في نهايته إضافةً إلى فهرست الفصول والأبواب فهارس

الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة والأعلام ومصادر الكتاب.

■ قيمة الكتاب وضرورته: يمكننا الإشارة إلى عدّة جوانب تحكي قيمة الكتاب وضرورته، نكتفي هنا بأهم جانبيين منها وهما: المنهجية العلمية في أبحاثه، فقد جاء بلغة تحليلية علمية يستنطق بها النص وينطلق منه، في جولة شاملة لحقيقة الهوى وجوداً وحركةً وآثاراً ليضعه في النهاية على هدي القرآن الكريم وسيرة أهل البيت عليهم السلام في مساره الصحيح، الذي أراد الله سبحانه لهذا الإنسان وهو يخوض غمار الصراع من أجل تحقيق الهدف من خلقه وخلافة الله في أرضه، وانساب الكتاب مع النصوص يستنطقها قبل أن ينطق عنها، حفظاً لها من دسيّة الرأي، وتحميلها من الدلالة ما لا تدلّ عليه، ثم طفق يستخرج من كنوزها الدواء الناجع والعلاج الحاسم لأدواء أهواء النفس، بلغة مباشرة لا تجد بينها وبين المنطوق القدسي فاصلاً يحدث في النفس تأملاً أو تردداً يخرجها عن حالة التعبدية والتسليم له.

والجانب الآخر هو الطبيعة التربوية للكتاب لما احتواه من مضامين عالية ومعاني سامية في بناء النفس وتطهيرها، وردم كل العوائق التي تحول بينها وبين تكاملها وسيرها نحو بارئها تعالى، والكتاب بذلك يسد نقصاً أساسياً في مجال التربية الأخلاقية العالية في الإسلام، كما أنه يُشبع في بابه تطلّع طلاب المعرفة والعلم ورواد التربية والتغيير الرسالي، فقد جاءت مفرداته قشبيّة تأنس بها النفس لتعاق معانيها، وتشرب من مضامينها القدسيّة ما تروّي به ظمأها في عصر الجذب الروحي والانحطاط الخلقي، ليقوم للدين عود وتعلو له كلمة^١.

(١) استلّت من كلمة المجمع العالمي لاهل البيت عليهم السلام المسطورة بقلم كاتب هذا التعريف.

ما هكذا تورد يا فتية

الشيخ محمد صالح المنجد
مفتي الجمهورية الإسلامية في ليبيا
الأستاذ المساعد في الشريعة الإسلامية

في ساحة الجزائر .. ساحة المليون شهيد من أجل الاسلام .. مأساة كبرى .. تصادر فيها القيم .. وتمسخ فيها الحقائق .. وتزهق فيها الارواح .. ويترج الآلاف في السجون .. لا شيء .. إلا لأن الشعب الجزائري اختار الإسلام منهجاً للحكم .. ونظاماً للحياة .. وبنفس الطريقة التي بشر بها الغرب .. طريقة الانتخابات الحرة.

وفي محاولة لزعزعة الروح الإسلامية في صفوف أبناء الجزائر المسلمين المجاهدين، وبذر التفرقة والنفاق في هذا الشعب الأبي، وخلق حواجز نفسية بين المسلمين الرساليين في العالم الإسلامي، عمد الجهلاء الى دفع مجموعة أكثر جهلاً منهم للخروج في تلفاز الجزائر من أجل الطعن في الشيعة وكيل السباب والتهم لهم بأسلوب رخيص مبتذل، أثار سخط كل المخلصين والمفكرين في الجزائر.

ورغم القمع البوليسي نشرت الصحف الجزائرية مقالات وتصريحات ساخطة على البرنامج المليء بالسباب والشتائم والتهم، ونحن ننقل هنا مقالاً واحداً من صحيفة السلام في عددها الصادر في ٢٩ يناير ١٩٩٢، وتصريحاً لوزير الشؤون الدينية الجزائري الأسبق منشوراً في العدد (٢٤٤٠) من صحيفة كيهان العربي الإيرانية.

«التحرير»

منتقدو المذهب الشيعي جهلة أغبياء

وزير الشؤون الدينية الجزائري الأسبق

دافع وزير الشؤون الدينية الجزائري الأسبق عن المسلمين الشيعة والإمام الخميني (رضوان الله تعالى عليه)، بعد المقابلة التلفزيونية التي أجريت الأسبوع الماضي مع رجال الدين الحكوميين الجزائريين الذين شبّها فيها الشيعة باليهود. وقال مولود قاسم في حديث نقلته وكالة أنباء الجمهورية الإسلامية من العاصمة الجزائرية: إن رجال الدين الحكوميين الجزائريين جهلة وأميون.

وأضاف وزير الشؤون الدينية الجزائري الأسبق في حديثه مع صحيفة الشعب الصادرة بالعربية والناطقة بلسان جبهة التحرير الوطني الجزائرية، وأضاف بشأن المحاولات الرامية إلى إبعاد السياسة عن المساجد، وعرضها عبر شاشات التلفزيون: إن هذا الأمر لا يمكن تطبيقه، ذلك أن الإسلام لا يفصل بين الدين والحكومة. فالمحاولات لإبعاد السياسة عن المساجد ونقلها إلى التلفزيون أمر خطير، ذلك أن بث الفتنة في المساجد وحرف أفكار الرأي العام يتنافيان ورسالة المسجد، كما أن تحريف التاريخ والدين في التلفزيون هو نوع من التخريب.

وأوضح مولود قاسم أن المجيء بثلة من الأميين إلى التلفزيون يعتبر عملاً تخريبياً، وبوصفي وزيراً أسبق للشؤون الدينية، وقد تولّيت هذا المنصب مدة تسع سنوات أعلم تماماً بالمستوى الفكري لعلماء المساجد والشيوخ.

ومضى قائلاً: إنه عندما يدّعي نفر عبر التلفزيون بأن الشيعة أقرب إلى اليهود فإن هذا الادعاء يشوّه وجه الإسلام لدى غير المسلمين، ويسيء إلى وحدة المسلمين ويزرع الحقد والكراهية، ولم يسبق أن طُرحت مثل هذه المسألة في أي من الدول الإسلامية حتى الآن غير بلادنا.

وأشار مولود قاسم إلى أن الرئيس السابق الشاذلي بن جديد أوفدني على رأس وفد إلى إيران في عام ١٩٨٠م لتسليم رسالة إلى الامام الخميني (رضوان الله عليه). وتضمنت هذه الرسالة التهاني للامام الخميني والشعب الإيراني المسلم الشقيق بانتصار الثورة الاسلامية، والاعتذار من سماحته لعدم الموافقة على طلبه للقدوم إلى الجزائر بعدما اضطر إلى مغادرة العراق. وبعد امتناع الجزائر عن استقباله توجه الامام الخميني إلى فرنسا.

وقد شرحت لسماحته سبب عدم استقباله وقلت: إن السبب في ذلك هو مرض هواري بومدين رئيس الجمهورية الجزائرية حينئذ، وضرورة التركيز على الاوضاع الداخلية الصعبة في ذلك الوقت.

وقد أعرب الرئيس بن جديد في رسالته عن استعداد الجزائر للتعاون مع الثورة الاسلامية في ايران وفي المجالات كافة.

وكان رد الامام الخميني على رئيس الجمهورية ودياً، إذ قال سماحته: «انه يدرك ظروف الجزائر وأوضاعها».

وأكد ضرورة التعاون بين البلدين وقال: «إنكم في الجزائر انتصرتم قبلنا بقوة الاسلام على بلد كبير، ونحن استفدنا من تجاربكم وأخذنا الدروس من نماذجكم، وانتصرونا بها على الشاه الطاغي الذي كان مدعوماً من أكبر قوة في العالم».

فكيف يقول هؤلاء الجهلة إن الشيعة أقرب إلى اليهود؟ إنهم لا يعلمون بأن مؤسس المذهب الشيعي الجعفري هو الامام الصادق، وهو من العلماء العظام، وأستاذ أبي حنيفة النعمان مؤسس المذهب الحنفي لأهل السنة.

وأضاف الوزير الجزائري الأسبق: إن معنى ومفهوم تصريحات هؤلاء الأغبياء هو أن الامام الأعظم أبا حنيفة، امام المجتهدين، تلقى دروسه على يد أحد اليهود وهو استاذ

* * *

يا شيخ الائمة .. لا تخرج الناس من الملة

الاستاذ ع. بلخضر (الجزائر)

إنه لشيء عظيم يتحقق حين يتحد دعاة الحق وحماة الدين دفاعاً عن حصون الإسلام المهددة، وذوداً عن عقيدة السلف الصالح، ومن الأطر التي تحقق التقارب في الرؤى والرحمة بالاجتهاد تلك الهيئات الإسلامية التي تؤسس هنا أو هناك. ومن بين هذه الهيئات التي استبشرنا بظهورها خيراً جمعية الائمة، حيث إن هذه الشريحة تعتبر - من منظور إسلامي صحيح - طليعة الأمة، ومنازة يهتدي بنورها التائهون في ظلام الجاهلية المعاصرة، إن في وطننا المجاهد أو في العالم عامة.

غير أن الذي أثار دهشتي وحرك أشجاني وغيظ أحزاني هو ذاك الكلام الذي سمعته وسمعه المسلمون عبر وسائل الاعلام، فما كدت أصدّق نفسي، أهذا كلام دفع إليه حب الشريعة الغراء والعقيدة العصماء، أم رمت به ساحة الجدل السياسي القائم هنا وهناك لتصير الفتاوى بالمجان والطعن دون هدي أو برهان؟!

الموضوع الذي دفعني أن أكتب هذه الملاحظات هو ما تناوله جمع من شيوخ زوايا العلمية حفظهم الله، وبعض أئمة المساجد وعلى رأسهم السيد رئيس جمعية الائمة حيث تناولوا موضوع الشيعة، وكنت أنتظر من الجمع المبارك أن يرينا شيئاً من الطرح الصوفي العلمي - كما أسموا أنفسهم بذلك - لكنني فوجئت بتلك التعليقات التهويمية التي اكتفت بنقل بعض التتف مما ذكره مصنفو الملل والنحل، وليتهم توقفوا عند هذا

الحد، بل تعرّضوا لقضايا تناولها الفقهاء بالدراسة والتحليل المنهجي، فاختلف في بعضها جمهور علماء السنة، واتفقوا في بعضها الآخر، كما اختلف أهل السنّة مع الشيعة في قضايا جوهرية نصّوا عليها في كتاباتهم دون أن يطلقوا الحبل على الغارب، أو يطلقوا العنان لنزعة التعالم كي يصدرُوا فتاوى وأحكاماً جزافاً بالكفير والتفسيق، لأن هدفهم كان الحرص على توحيد الأمة لا تشتيتها، والتماس العذر ما وجدوا لذلك سبيلاً.

أودّ أن أتساءل: لماذا يكون من أولويات نشاط الصوفية في أيامنا هذه التجرؤ على فتاوى تحرّض الصراع وتذكي الخلاف، رغم ما تعرفه الساحة الاسلامية من تعفف كبير من قبل دعاة الحركة الاسلامية تجاه الطرائق الصوفية وما تعيشه من شبهات في المعتقد؟ ولست راغباً في المبادأة بالإجابة أو محاولة الاقتراب منها، كما أنني لا أناقش بعض الكلمات التي تقدّم بها السادة المشايخ الافاضل، كونها في الأعم لا تستند الى دليل شرعي واضح، ولا تصمد أمام الحجّة الواضحة، كقول أحدهم في زواج المتعة: هو منسوخ ومحرم في عهد رسول الله ﷺ ومرّ على الفتوى بهذه السهولة ليقرّر ان هذا الزواج زنى مطلقاً، ولست أدري أهو يجهل أم يتجاهل أقوال العلماء في القضية؟ وما هي شروط الزواج؟ فهل صحيح أن هذا الزواج هو زنى بلا شك؟ وهل يجهل صاحبنا أركانه التي لا تختلف عن الزواج الاصلي إلا في شرط الاستمتاع المجدد؟ ثم هل يعلم أن الفقهاء الاربعة لا يجعلون صاحب زواج المتعة في مرتبة الزاني، بل لا يقيم عليه الحد بعضهم وانما يفرق بينهما؟ ثم هل يعلم صاحب الفتوى أن زواج المتعة لم يتخذ بشأنه موقف التحريم إلا عمره، وأن بضاعة مذهب السنّة من الأدلّة في هذا الموضوع قليلة؟

المهم أنني أفضل ألا أناقش هذه الجزئيات وغيرها من الموضوعات التي تناولها المشايخ الافاضل دون كبير اهتمام إلا بالطعن أو التجريح. كما ذكر عبد الله بن سلول وأنه مؤسس جماعة الشيعة.

لكن الذي اردت أن أقف عنده هو ما قاله السيد رئيس الجمعية الوطنية للأئمة حول الشيعة ومنهجهم وعقيدتهم.

الخلط بين الشيعة والسلفية !!

اولاً: إنني حين أتعرض لهذا الموضوع ليس من باب الدفاع عن المذهب الشيعي ولا مناصرته، لا اقتناعاً ولا تزلفاً، ولكن حرصاً على المفهوم الصحيح للإسلام من أن يشوه، وعلى الوحدة الاسلامية من أن تنقسم عراها، فلنأخذ أكثر غيرة على الاسلام من الامام الشافعي رحمه الله حين قال: قولي صواب يحتمل الخطأ وقول غيري خطأ يحتمل الصواب. كما أن الامة لا تحتاج منا من يحمل المبضع فيعمق جراحها ولكن بحاجة الى من يبلسم الجراح ويقرب الرؤى، ليس بين بني العقيدة الواحدة والشرعة الواحدة فحسب، ولكن بين المسلمين وأهل الكتاب جميعاً، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ بل ما أرحم ذلك الخطاب الرباني بالمؤمن؟ وما أروع ذلك المنهج الحواري الذي خطه القرآن الكريم فيما اذا تعلق الجدل بقضايا العقيدة؟ ولو كان الخطاب موجهاً لمحمد صلى الله عليه وآله وما ينبغي أن يخاطب به الناس بغية اقتناعهم بما عنده واقتناعه بما عندهم ما دام يثق في نفسه أنه ينهج سبيل الحق لا غير، وذلك شأن كل مسلم آمن بالله رباً وبالرسول صلى الله عليه وآله قدوة وبالإسلام ديناً فقال تعالى: ﴿وَأَنَا أَوْ يَأْتِكُمْ لَعَلِّي هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

وعلى هذا الاساس فإن موضوع الشيعة والقضايا العقيدية عندهم واختلاف فرقهم من معتدلة الى غلاة وقضية مصحف السيدة فاطمة وعصمة الامام وزواج المتعة مواضيع تطرقنا إليها منذ أكثر من نصف سنة تقريباً وعلى صفحات هذه الجريدة

وانتقدنا بعض الانحرافات إن في العقيدة^١ أو في أخذ الاحاديث النبوية، وكيفية الاحتجاج بها، لكنني اليوم أجد نفسي مضطراً لأن أسجل ملاحظات على ما تقدم به السيد «جمعي محمد» وهو الذي يمثل أئمتنا في جمعيتهم المباركة، فقد تكلم من بداية حديثه الى نهايته مركزاً على قضية اعتماد الشيعة على الشكليات، مثل القميص واللحية وغيرها من الجزئيات بغرض ضرب الكليات ليقول بعد ذلك: إنه لو أراد أن يعتني بالجزئيات لأصبح يدعى عالماً كبيراً، ولست أدري أذكر مثل هذا الكلام هو بدافع توضيح الحجّة أم هو من ملاسبات الورع الاسلامي في ذهن شيخنا الوقور؟ ولكنني فهمت من الشيخ الفاضل أنه كان يقصد من يعتنون بالشكليات جماعة السلفية التي تعتني بإحياء السنن والمبالغة في التمسك بذلك عند البعض، ثم خلص إلى أن هذه المظاهر تجعل الصحوة الإسلامية في كثير من الأحيان غير صحيحة، فهو من هذا الإشكال يسمي الصحوة الإسلامية تسميتين: الاولى صحيحة والثانية غير صحيحة.

وأحسب أنه من غير المزعج للسيد الإمام أن نقول: إنها مفارقة عجيبة حين يتعرض مفتي مثلكم الى قضية مذهبية شائكة كهذه، في حين يخفي عليه التفريق بين جماعة السلفية الذين هم على أسمى ما يعتقد مذهب السنّة، وإنما اجتهادهم يختلف في نظرهم الى السنّة وتقيّد بهم، وشتان بين هؤلاء والمذهب الشيعي الذي يختلف عن مذهب السنيين اختلافاً يمسّ القاضايا الجوهرية. وأخيراً ليكن في علمكم أن الشيعة أبعد الناس عن التقيّد بالزّي والشكل، ولعلّ المسلم الشيعي في العصر الحديث هو الاقدر من غيره على التكيّف مع كل بيئة في زيّها ومعيشتها، ربما بحكم «التقية».

مرحباً بالتفسير الجديد

مما استغربه في اجتهاد الامام الفاضل هو تركيزه على أن من خصائص منهج الشيعة

(١) العبارة مجملة لا يعرف القصد التفصيلي للكاتب منها، ويحتمل أنه يشير إلى ما عليه بعض الفرق الشاذة عن شيعة أهل البيت (عليه السلام) من انحرافات والتي جاءت في السياق قبل اسطر. «التحرير».

التأويل، وفي الوقت نفسه أسمع من سيادته نوعاً جديداً في التأويل، ذلك ما فسر به قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ ففسر مباشرة لفظ الشيعة بمذهب الشيعة المعروفة، وكأن الشيعة جاءت قبل الاسلام أو كانت موجودة في عهد رسول الله ﷺ، حين سمعت ذلك لم أستغرب ما قاله أحد شيوخ الزوايا لطلبته وهم يسألونه عن المذهب المالكي والحنفي فقال: إن الرسول ﷺ كان مالكياً.

فكيف يؤول السيد الفاضل لفظ «الشيعة» الذي يقصد به التفريق والتشتت إلى معنى الشيعة المشتق من معناها اللغوي، ودّع وتشيع له انتصر له، وهي ما يطلق على الجماعة التي شايعت الامام علي وبايعته واتخذت منه قدوة لها دون غيره من الصحابة. وأخشى أن يفتي آخر - بحكم رد الفعل - فيرى سيادتكم بأنكم من المؤولة. فكيف اتهم غيري بما أقع فيه بصورة أفظع؟ وأخشى أن يستمرئ الغلاة من الشيعة علينا - نحن السنيين - إذا ما ظلّ فكرنا ضحلاً بهذه الصورة المزرية في استنباط الاحكام.

الشيعة يهود!!

إن المصيبة التي لا شبيه لها ولا نظير - مع أن شيخنا الفاضل مولع بذكر مصطلح الاشباه والنظائر - ذلك ان كلامه عن منهج الشيعة دفعه الى القول بما يلي: «ان الديانة الشيعية والديانة اليهودية تتشابهان في كل شيء، والفرق بينهما قليل جداً... الخ».

(١) إن عقيدة شيعة أهل البيت (عليهم السلام) أن مذهبهم ومدرستهم الاسلامية التي وُسّموا بالشيعة فيها بدأت منذ نزول آية الطهيمر الكريمة لأهل البيت (عليهم السلام)، وتعريف الرسول ﷺ المسلمين بهم ودعوته لموالاتهم واتباعهم من خلال عشرات الاحاديث المتواترة لدى المسلمين كافة، كحديث الثقلين وحديث الكساء وحديث السفينة. ومنها ما صرح به الرسول ﷺ بلفظ الشيعة في كثير من الأحاديث عند وصفهم وذكرهم كما في قوله ﷺ: «علي وشيعته هم الفائزون» رواه: البيهقي في سننه ٤: ٥٣، والمتقي الهندي في كنز العمال ٧: ١٧٦، والسيوطي في الجامع ٢: ٢٧٦. «التحرير».

وهنا أسائل الشيخ الفاضل: هل الشيعة ديانة لوحدها أم هي مذهب اسلامي؟ ثانياً: هل أنتم أشد حرصاً من علماء السلف الذين قالوا في مثل هذه الفرق إنها فرق إسلامية ضالة؟^(١) فهل بيد أحد مثلكم أو مثلي أن ينزع صفة الاسلام من رجل أو مجتمع يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، يقدسون الجهاد كأسمى ما تشتهي النفس ويموتون جوعاً دفاعاً عن الرسالة؟^(٢)

ألم تعلم سيدي أن المسلم قد يتصف بصفة لا يقبلها الاسلام لكنها لا تنفي إسلامه كلية؟ هل تذكرن فتنة علي^٢ حين كان يتقاتل مع معاوية وحين تنتهي المعركة يصلّي على موتى الطرفين، ويحتج بعض أصحابه فيقول لهم: إنهم إخواننا بغوا علينا. ثم إنه من غير المعقول ألا يفرّق إمام مثلكم بين المذهب والديانة. كما أنني ألاحظ أن تصنيفكم لهذا المذهب في خانة اليهود يحملكم مسؤولية أمام الله بأنكم - باعتباركم مرشدي الأمة ومرييها - أعطيتهم الضوء الأخضر لكل مسلم مهما قل علمه أو ضعف حلمه أن يلحق جزءاً من الأمة الإسلامية باليهود عليهم لعائن الله، ولعلكم تدركون أن القرآن الكريم أرشدنا الى أن نفرّق بين اليهود والنصارى، وأن نعتبر النصارى أقرب إلينا من اليهود رغم ان كلاً من الديانتين محرّفة، أليس الشيعة المسلمون إن لم يكونوا من أهل السنة فهم أقرب من النصارى واليهود وهيئات الاستكبار العالمي؟ ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾.

وأنت تعلم أن الحرص على العقيدة والدفاع عن المبدأ لا يقوم بنبذ الآخرين، وإنما

(١) لم يصدر هذا إلا عن بعض علماء السلف، وغالباً ما يكون هؤلاء متأثرين بسياسات الحكام المعادين لأهل البيت (عليه السلام) وأتباعهم، مثل الحكام الامويين والعباسيين والتابعين لهم؛ كما هو شأن بعضهم اليوم، كالذين هم مورد مقالة الكاتب. «التحرير».

(٢) لعل الكاتب يقصد بالفتنة هنا الامتحان الذي ابتلي الإمام علي (عليه السلام) به عندما خرج معاوية بن أبي سفيان على خلافته وطاعته. «التحرير».

تنتصر العقائد بصبر معتنقيها وفهمهم وجهدهم وبلائهم الحسن. وإني لاشعر بالأسى حين أراك تقحم آيات الله عزوجل في غير ما أنزلت أو شرعت له، فلمحاولة إلحاق الشيعة باليهود رحمت تتعسف في تأويل آية الربا في شأن اليهود ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَذْنَى﴾ أي الربا، أما الشيعة الذين تؤول في شأنهم الآية فيبدو لك منها أنهم يأخذون الجزئيات لهدم الكلّيات، وقلت إن الجزئيات هي السنن، رغم أن موضوع السنن كما أسلفت تختلف فيه عن الشيعة في منهج علم الحديث وفي الرواة المشهورين عندهم بخلاف السنة، ولا أحسب ذلك إلا نابعاً من حكمك على المظهر العام لشباب الصحوة الإسلامية، فترى أن إحياء السنن هو من تخطيط اليهود النوع الثاني، واستسمحك فأقول: إذا كان مكر اليهود وخبثهم وصل بهم إلى أن يدفوننا إلى إحياء السنن فنعم المكر هو ومرحباً به، وبئس المكر أن تشتت الأمة وتفرّق.

معنى عصمة الامام

وأخيراً أشير إلى لبس لم ينتبه إليه الشيخ الفاضل، ولا أحسبه يتعمّد الخطأ فيه، وهو القول بعصمة الامام عند الشيعة، وحاول أن يستعمل المنطق العلمي والواقعي شيئاً ما، فقال: لو قلنا بالعصمة لكل إمام من أئمة المساجد لأصبح عندنا آلاف المعصومين من الخطأ.. الخ. فأقول لك: سيّدي، تصورت أن المسلم الشيوعي يعتقد فكرة عصمة الامام بهذه السذاجة، وهم قديماً وحديثاً حجة في الفلسفة وعلم الكلام، تتصور أن عقولهم تحجّرت الى هذا الحد، إن العصمة يعتقدونها للإمامة العظمى وللخليفة أو الرئيس على رأس الدولة أو الأمة، فأظن أن ما يعرفه العالم والمتعلّم لا مجال فيه للتأويل. وأخيراً نسأل الله أن يكون الجدل بين المسلمين وغيرهم قائماً على أساس الاخلاص لله وحده لأن رب العزة يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾.

المغرب وأهل البيت

٢

المركز الإسلامي للأبحاث السياسية
(قعة المقدسة)

عبيد الله المهدي يعلن قيام الدولة الفاطمية في المغرب:

يعتبر تسلّم عبيد الله المهدي مقاليد السلطة في دولة أبي عبد الله الشيعي بداية انطلاق الحركة الاسماعيلية في بلاد المغرب، ورغم تستر عبيد الله المهدي بالحركة الشيعية التي قادها أبو عبد الله وأقام دولته على أساسها، ورغم استغلاله ولاء الناس وحبهم لأهل البيت عليهم السلام، إلا أن ذلك كان وفق خطة محكمة بهدف الاستيلاء على السلطة وإحكام قبضته عليها، وقد كانت أولى خطواته بعد تحول السلطة إليه هي اعلان حكومته الجديدة من اشخاص يعرفهم ويثق بهم، وشملت تشكيلاته الجديدة مختلف القطاعات، وأولى العسكر عناية خاصة، واستبدل قواده و رؤساءه بمجموعة من رجاله المخلصين، اختارهم لهذه المهمة، وزودهم بالصلاحيات الكاملة، وجعلهم قيمين على كل شيء، كما جعل فرسان كتائبه من أصحاب النفوذ في البلاد، وأعطى لكل قسم من العسكر ناحية من كتامة، وأباح لهم حياة الترف والرفاهية،

وأمرهم بالتزّين والتجمل باللباس، فلبسوا خير الثياب، واتسعت أموالهم، وكثرت نعمهم، وأجرى عليهم الصلات وأسبغ عليهم العطاء.^١

وبعد أن صار كل شيء في قبضته راح يتصرّف بكثير من الاستقلالية في الاعمال والتفرد في الرأي وباشرا الامور بنفسه، ثم أخذ يتشبه بالملوك ويعيش مثلهم حياة البذخ والترف، واتخذ الكثير من الجوّاري لنفسه وولده، ووهب الكثير الى وجوه كتامة^٢. واستعظم أبو عبدالله الشيعي ذلك كثيراً، وأدرك خطورة هذا التصرف وما ستجره هذه السياسة على كتامة وغيرها من فساد في الاخلاق، وانصرف كلياً عن حياة الجهاد والفتوحات، وإضعاف للروح القتالية في نفوسهم، وهو الذي رباهم وبنى مجدهم، وبث فيهم روح التقشّف، وحبب إليهم الخشونة في العيش وحياة الفطرة وخلّقهم بأخلاقها، وكان لا بدّ له من مواجهة المهدي وتحذيره وتنبيهه، وتقديم منه قائلاً على سبيل النصيحة: «يا مولانا إن كتامة قوم قد قوّمتهم بتقويم، وأجريتهم على ترتيب وتعليم، وتمّ لي منهم بذلك ما أردت، وبلغت بذلك منهم ما قصدت، وهذا الذي فعلته أنت بهم من إعطائهم الاموال وتوليتهم الاعمال وما أمرتهم به من اللباس والحلي فساد لهم للخروج من عادتهم، فلو تركتهم كما كانوا إلى أن أباشرهم دونك، أمرهم وأنهاهم دونك، فتكون وادعاً في قصرك لا يصل أحد منهم ولا من غيرهم إليك، ليكون ذلك أهيب لك وأشدّ لأمرك، وأرجى لما ترجوه من تمامه وكماله وانتظامه»^٣. عندها بادر عبيدالله المهدي إلى صرف أبي عبدالله عنه وإبعاده فوراً من «رقادة» بصورة لا تدعو إلى الشك حتى يتخلّص بها منه، فطلب إليه التوجّه حالاً مع بعض قواده الكتاميين إلى

(١) القاضي النعمان بن محمد - رسالة افتتاح الدعوة / فقرة ٢٧٤، القرشي، ادريس عمادالدين - عيون الإخبار وفنون الآثار ٥: ٨١٤

(٢) القاضي النعمان بن محمد - رسالة افتتاح الدعوة / فقرة ٢٧٤، المقرئ، تقي الدين احمد بن علي - اعطاء الخنفا: ٩٢.

(٣) زبيب، نجيب - دولة التشيع في بلاد المغرب: ٢٨٨.

(٤) القاضي النعمان بن محمد - رسالة افتتاح الدعوة / فقرة ٢٧٩.

أرض المغرب لمحاربة الفساد هناك وقيام القبائل على عمالهم^١. ولما علم أن البلاد في خطر امتثل للامر وأنهى تمرّد القبائل ووضع حداً لخلافها، إلى أن وصل إلى مدينة «تنس» في المغرب الاوسط. فنزل هناك بالموضع المعروف بـ«الثور» وذلك يوم الجمعة ٢٧ ذي الحجة سنة ٢٧٩هـ، فجمع وجوه كتامة الذين كانوا قد سبقوه إلى مكان الاجتماع، وكلّمهم في أمر عبيدالله المهدي فوجد عندهم مثل ما عنده من التذمّر والتأفّف والسخط^٢.

وبعد أن قفل عائداً إلى «رقادة» كان أكبر همّ أبي عبدالله هو الاجتماع بأخيه وأصحابه للاطلاع منهم على أحوال البلاد والاتصالات التي قاموا بها مع أتباعهم والموالين لهم من الكتّامين الساخطين على المهدي والناقمين عليه، وعقد لهذه الغاية اجتماعاً سرياً في بيت «أبي زاكي» لتنظيم المقاومة ضد المهدي، حضره إلى جانب من حضر في اجتماع «تنس» غزوية بن يوسف الذي بدا متحمساً في ذلك الاجتماع، متشدداً في عدم التسامح والسكوت على تصرّفات المهدي الغريبة والشاذة. ولم يكن أحد من الحضور يعلم أن «غزوية» قد ثبتّه المهدي عيناً بينهم يراقب ويرصد كل حركة بكل حذر ويقظة، وينقل إليه كل صغيرة وكبيرة، وكان ذلك بعد أن عمل المهدي على استمالته وقربه منه وأعلى من شأنه، وكافأه على ما كان يزوّده به من أخبار، ويكشف له كل ما يدور خلف الجدران في اجتماعات خصومه ومناوئيه.

وبدأت الاستعدادات للمعركة الفاصلة بين الطرفين تقوى وتشتد، وبدا واضحاً للعيان انتصار المهدي في المعركة لأنه في الموقع المتمكّن، فالسلطة بيده، وشرعية الحكم الظاهرية تغطّي مركزه وتعطيه القدرة والصلاحيّة في جميع أعماله وتصرّفاتة، وفوق ذلك فهو يرى خصمه وهذا لا يراه، عالم بكل خططه وتحركاته واستعداداته، وقد

(١) ابن العذارى المراكشي - البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب: ١٦٠.

(٢) زبيب، نجيب - دولة التشيع في بلاد المغرب: ٢٩٠ - ٢٩١.



رَتَّبُ أُمُورَهُ وَنَظَّمَهَا وَأَعَدَّ لِكُلِّ شَيْءٍ عِدَّتَهُ، وَرَاحَ يَنْتَظِرُ الْفُرْصَةَ الْمُنَاسِبَةَ لِلْبَطْشِ بِهِ.

وَجَاءَتِ الْفُرْصَةُ إِثْرَ اجْتِمَاعِ عَاصِفٍ لِمُعَارَضِي الْمَهْدِيِّ فِي بَيْتِ «أَبِي زَاكِي» قَرَرُوا خِلَالَهُ الطَّعْنَ فِي خِلَافَةِ الْمَهْدِيِّ وَالتَّشْكِيكِ فِي حَقِيقَةِ أَمْرِهِ، وَالطَّلَبِ مِنْهُ إِثْبَاتِ صَدْقِ ادِّعَائِهِ إِنْ كَانَ هُوَ الْمَهْدِيُّ الْحَقِيقِيُّ بِبِرَاهِينٍ مَقْنَعَةٍ، وَإِلَّا فَإِنَّهُمْ فِي حُلٍّ مِنْ ارْتِبَاطِهِمْ بِهِ، وَإِنْ كُلُّ مَا يَرُونَهُ مِنْ أَعْمَالِهِ وَتَصَرُّفَاتِهِ الْمُتَنَاقِضَةِ يَصْبِيحُ بَاطِلًا وَمُخَالِفًا لِلشَّرْعِ، وَهَذَا يُوجِبُ عَزْلَهُ تَلَقُّائِيًّا عَنِ الْحُكْمِ، وَتَصْيِيرَ مُحَارِبَتِهِ وَاجِبَةً. وَاسْتَصَوَّبَ الْجَمِيعُ هَذَا الرَّأْيَ وَتَعَاهَدُوا عَلَى خُلْعِ الْمَهْدِيِّ فُورَ التَّحَقُّقِ مِنْهُ^١.

وَصَلَّتْ وَقَائِعُ الْاجْتِمَاعِ عَنْ طَرِيقِ غَزْوِيَّةٍ كَامِلَةٍ إِلَى الْمَهْدِيِّ، فَوَضَعَ نَفْسَهُ فِي حَالَةِ التَّأَهُّبِ الْقَصْوِيِّ، وَجَمَعَ أَنْصَارَهُ وَعَبِيدَهُ وَجَمِيعَ أَهْلِ طَاعَتِهِ وَاسْتَعَدَّ لِلْأَمْرِ. وَكَانَ «هَارُونَ بْنُ يُونُسَ الْمَسَالَتِيِّ» الْمُلَقَّبُ بِشَيْخِ الْمَشَايِخِ أَوَّلَ الْمُتَحَمِّسِينَ لِمُكَاشَفَةِ الْمَهْدِيِّ وَمَعْرِفَةِ حَقِيقَةِ أَمْرِهِ، فَذَهَبَ إِلَيْهِ وَخَاطَبَهُ قَائِلًا: إِنْ كُنْتَ الْمَهْدِيُّ كَمَا تَقُولُ فَاتْنَا بِآيَةٍ، فَإِنَّا قَدْ شَكَكْنَا فِي أَمْرِكَ.

وَلَمْ يَفْجَأْ الْمَهْدِيُّ بِهَذَا التَّشْكِيكِ لِأَنَّهُ كَانَ عَلَى يَتْنَةٍ مِنْهُ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتِمَكَّنْ مِنْ اخْفَاءِ اسْتِيَانِهِ وَتَأَثَّرَهُ فَقَالَ لِهَارُونَ: وَبِحُكْمِ، إِنَّكُمْ كُنْتُمْ أَقْبَنْتُمْ وَالْيَقِينِ لَا يَزِيلُهُ الشَّكُّ^٢. هَكَذَا أَجَابَهُ الْمَهْدِيُّ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ، فَكَأَنَّهُ بِذَلِكَ يَخَاطِبُ جَمِيعَ مَنْ هُمْ وَرَاءَهُ، ثُمَّ أَمَرَ عَبِيدَهُ بِقَتْلِهِ فَقَتَلُوهُ فِي الْحَالِ، وَعَزَمَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى إِزَاحَةِ جَمِيعِ مَنَاوِثِهِ مِنْ طَرِيقِهِ، وَذَلِكَ بِاغْتِيَالِهِمْ وَقَتْلِهِمْ جَمِيعًا قَبْلَ فَوَاتِ الْأَوَانِ، وَاسْتَعْمَلَ لَذَلِكَ أُسْلُوبًا هَادِنًا عَلَى قَدْرِ عَظِيمٍ مِنَ الْمَكْرِ وَالْدِهَاءِ، يَقُومُ عَلَى الْمَهَادَنَةِ وَالْمَوَادَعَةِ، فَعَمِدَ إِلَى مَلَاظَمَتِهِمْ وَجَعَلَ يَشْرِذِمُهُمْ وَيَفَرِّقُهُمْ فِي الْبِلَادِ وَتَحْتَ كُلِّ سَمَاءٍ^٣، وَيُعْطِيهِمُ الْمَنَاصِبَ النَّائِيَّةَ، وَكَأَنَّهُ كَانَ

(١) زَيْبِ، نَجِيب - دَوْلَةُ التَّشْيِيعِ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ: ٢٩٣ - ٢٩٤.

(٢) الْقَاضِي النُّعْمَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ - رِسَالَةُ افْتِتَاحِ الدَّعْوَةِ / فِقْرَةٌ: ٢٨٢، ابْنُ الْاَثِيرِ - الْكَامِلُ فِي التَّارِيخِ ٨: ٥١،

الْمَقْرِيزِيُّ، تَقِيُّ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ - اِتِّعَاطُ الْخُنْفَاءِ: ٩٥.

(٣) ابْنُ الْاَثِيرِ، الْكَامِلُ فِي التَّارِيخِ ٨: ٥١.

يفعل ذلك تكزماً منه ومجازاة لهم، وأنهم عنده محل ثقة، وهو في الواقع يقصيه عن مواطن الخطر ويوقع بينهم الحذر والمنافسة^(١).

بدأ المهدي سلسلة اغتيالاته بأبي زاكي ثمام بن معارك الاجاني ثم أعقبه بأبي عبدالله الشيعي وأخيه أبي العباس، ثم راح بعد ذلك يتتبع البقية الباقية من خصومه الكتاميين وغيرهم، وأخذ يتصيدهم وينكل بهم ويشردهم ويلاحقهم بالسيف في كل مكان، وجعل يفتالهم الواحد بعد الآخر، فقتل عبدالله بن القديم واستصفى أمواله، ثم عمد إلى اغتيال جماعة بالقيروان اتهمهم بالميل مع أبي عبدالله، منهم: محمد بن أبي سعيد الميلي صاحب السوق، ومحمد بن أبي رجال الباغاني، وأبو الوهب بن عمرو بن زرارة العبدري، وكذلك قتل جماعة من بني الاغلب وقوادهم، وقتل محمد بن أبي أيوب المعروف بأبي العاهة بتهمة محاولة القيام عليه^(٢). بعد عمليات التصفية الدموية لمعارضيه راح يكشف القناع عن أهداف الحركة الاسماعيلية ويعلن قيام الدولة الفاطمية ويثبتها في الاذهان، وينشر مذهبه الجديد ويلور تعاليمه، ويسير الدعاة إلى مختلف المناطق يدعو الناس للدخول في المذهب الاسماعيلي^(٣) ويكرههم على اعتناقه.

وهكذا حوّل عبيدالله المهدي الوضع القائم في المغرب من حركة شيعية اثني عشرية إلى حركة اسماعيلية فاطمية كما سمّاها، وشيئاً فشيئاً أخذت البلاد تنتقل من عهد إلى عهد، وأخذ الكيان الذي بناه أبو عبدالله الشيعي على الفقه والدين يتحول إلى كيان سياسي خاص يمكن صاحبه من تحقيق أحلامه وطموحاته في الوصول إلى انشاء خلافة اسماعيلية قوية وقادرة على فرض إرادتها في إسقاط الخلافة العباسية والحلول

(١) الجيلالي، عبدالرحمن - تاريخ الجزائر العام: ٢١٨.

(٢) ابن العذارى المراكشي - البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب: ١٦٤.

(٣) غالب، مصطفى - تاريخ الدولة الاسماعيلية: ١٦١.



محلّها. وبدأت هذه السياسة بجعل ولده أبي القاسم نزار ولياً للعهد.^(١) وبذلك أصبح الحكم ملكاً وراثياً احتكره أبناؤه من بعده - تماماً كما فعل الامويون والعباسيون - ثم راح يغيّر معالم العهد الشيعي ويقضي على رموزه، فاستبدل عمال الاقاليم برجال يأترون بأمره، ويرتبطون به مباشرة، كما استبدل قوّاد الجيش وفرسانه بمجموعة من رجاله وأنصار سلطته. بعد ذلك عمد إلى التخلّي نهائياً عن السياسة المالية التي كان قد انتهجها أبو عبدالله الشيعي، والتي كانت ترفض كل ما يُجبي من أموال إذا لم يكن مأخوذاً وفق أحكام الشريعة ومقتضياتها، فاستولى على الأموال واشتطّ في جمع الضرائب وتفنن في زيادتها. ثم نظر إلى أموال الزكاة فوجدها لا تكفي مطامعه في اصطناع الرجال وإغداق المال عليهم، فعمد إلى فرض ضرائب جديدة باهضة جداً لم تكن مقبولة، خصوصاً وأنها تخالف الشرع والقرآن، فصدم الناس بهذا السلوك، وخصوصاً العلماء والأتقياء، وأيقنوا عند ذلك أنه ليس هو الامام المهدي الحقيقي الذي دعاهم إليه أبو عبدالله الشيعي، والذي كانوا ينتظرونه ليحكم بشريعة جدّه النبي ﷺ ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وإنما هو رجل لا تهمّه العقيدة والشريعة بقدر ما يهمه توطيد الحكم وإقامة السلطان، فبدأوا يتهيأون للتمرّد والعصيان وإعلان الثورة في البلاد.

وفعلاً فقد انفجر أبناء المغرب وقبائلهم وثاروا في طول البلاد وعرضها، واكتسحت كثامة ثورات جارفة عبّر فيها الكتاميون عن وفائهم لأبي عبدالله الشيعي، وعن غضبهم على المهدي، وعن استيائهم واستنكارهم للمجازر التي ارتكبتها بحق قادتهم. وأول الثورات كانت تلك التي زحف فيها الكتاميون على مدينة «ميلة» فور معرفتهم بمقتل

(١) الطبايع، عبدالله أنيس - كتاب الحلة السيرة: ١٩٦.

(٢) بل، ألفرد - الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي - ترجمة عبدالرحمن بدوي: ١٦٢ - ١٦٤.

أبي عبدالله، غير أن المهدي قمعها بمنتهم الغلظة والقسوة وقتل منهم خلقاً عظيماً^١. ثم كانت ثورة أهل الزاب التي اجتاحت هذا الاقليم من أقصاه إلى أقصاه، وأخرجته من سلطان الخلافة الفاطمية، فأرسل إليهم عبيد الله المهدي قواداً ليحاربوهم، فانضم للثوار قائد من قواد المهدي مع حواليي اثنين من رجاله^٢. ثم ثار أهل «تاهرت» على عاملها «دواس اللهيصي» وأرادوا قتله فهرب وتحصن في تاهرت القديمة، ولم يتمكن رجاله من اللحاق به فقتلوا جميعاً، وكانوا في نحو ألف فارس، فأخرج عبيد الله العساكر إليها في أعداد عظيمة، فحاربها ثلاثة أيام ثم أخذها بالكيد ودخلت العساكر «تاهرت»^٣.

ثم ثار أهل طرابلس على ماكنون الاجاني قاتل ابن أخيه أبي زاكى فهرب من المدينة، وامتنع أهلها في داخلها، وقدموا على أنفسهم محمد بن اسحق المعروف بابن القرلين، فأرسل عبيد الله المهدي ابنه لاسترجاع المدينة، ووجه إليها المهدي في البحر خمسة عشر مركباً حريباً أحرقها أهل طرابلس، ولم تخضع المدينة إلا بعد أن حاصرها القائم وقطع عن أهلها المؤن والاقوات^٤.

ثم ثار أهل صقلية على عامل المهدي فيها وهما «الحسن وعلي» ابنا أحمد بن أبي حنشير وطردوهما منها^٥. وهكذا استمر اشتعال الثورات، وتفجرت في وجه المهدي على امتداد البلاد وعرضها، وانتشرت الفوضى وقامت الفتن حتى قيل إن المهدي لم ينم طوال عشر سنوات إلا على صهوة جواده، وكان كلما قمع ثورة أو أخمد انتفاضة في منطقة ما من مناطق المغرب، كتب إلى أهلها يدعوهم إلى الدخول في طاعته والتدين بإمامته.

(١) ابن الاثير - الكامل في التاريخ ٨: ٥٣، المقرئ، نقي الدين احمد بن علي - انعاظ الحنفا: ٩٧.

(٢) سالم، د. السيد عبدالعزيز - المغرب الكبير - ٢: ٦٠٦.

(٣) ابن العذاري المراكشي - البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب: ١٦٥.

(٤) سالم، د. السيد عبدالعزيز - المغرب الكبير - ٢: ٦٠٦.

(٥) ابن العذاري المراكشي - البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب: ١٦٥.



وعلى الرغم من الانتصارات السريعة والحاسمة التي أحرزها المهدي في إخماد جميع الثورات والانتفاضات التي قام بها مناوئوه في كل مكان من بلاد المغرب، فقد أحس في قرارة نفسه بعدم الاطمئنان والخوف على مصيره، وامتدت خشيته إلى رجاله المقرّبين، فقيّد «حباسة بن يوسف» وحبسه مع جميع أهله^١، ثم قتله بعد أن عاد مهزوماً من مصر سنة ٣٠٢هـ^٢، فغضب غزوية بن يوسف لقتل أخيه، وثار في أوليائه من كتامة وغيرهم ولحق بجبل أوراس، فجهّز له المهدي مولاة «غالباً» فقتله وقضى على ثورته من سنتها^٣، واتهم غزوية بعد ذلك بأنه قُتل منافقاً^٤، فنال جزاء غدره بأبي عبدالله الشيعي ورفاقه.

وهكذا قطف الفاطميون ثمرة جهاد الشيعة الامامية الطويل في بلاد المغرب، وأسسوا أول خلافة اسماعيلية فاطمية لهم في المغرب، تماماً كما قطفها العباسيون من قبل في بلاد المشرق تحت شعار أهل البيت (عليهم السلام) «الرضا من آل محمد ﷺ» وأسسوا خلافتهم العباسية فيها.

الفاطميّون في مصر وأثرهم على المغرب:

في أوائل القرن الرابع الهجري، قامت في مصر الدولة الفاطمية التي كانت تؤكّد كثيراً على نشر ثقافتها ومذهبها المعروف بالمذهب الإسماعيلي، ممّا أدّى إلى نشوب حروب عقائدية ضارية. ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أنّ قيام الدولة الإدريسية في المغرب قد حظي بدعم أمراء الدولة الرستمية في شمال افريقيا (١٤٤ - ٢٩٦هـ / ٧٦١ - ٩٠٨م) الذين ينتسبون إلى رستم بن بهرام، وحدث نوع من التعاون والانسجام بين «تاهرت»

(١) ابن العذارى المراكشي - البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب: ١٧٤.

(٢) القاضي النعمان بن محمد - رسالة افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات دشاوي: ٣٣.

(٣) الملي، مبارك بن محمد الهلالي - تاريخ الجزائر في القديم والحديث ٢: ١٢٢.

(٤) الطباع، عبدالله أنيس - كتاب الحلة السبراء: ١٩٥.

مركز دولة الرستميين و«وليلة» مركز دولة الأدارسة، إلا أن الخلفاء الفاطميين سرعان ما أثاروا حالة من الصراع والتراع مع المغرب، وأجبروا الناس على قبول المذهب الفاطمي المسمّى بـ«الشيعية الباطنية»^(١)، ممّا خلف انطباعاً سيّئاً لدى الأوساط المغربية عن تلك الفترة. وأدّى التناحر بين الدولتين الفاطمية والإدرسية إلى تشويه سمعة «الشيعية». وهبّ علماء المالكية من أوساط المجتمع المغربي للدّفاع عن دولة الأدارسة. وهو ما أدّى إلى تحسين العلاقات بين فاس وبغداد. وفقد بذلك المذهب الشيعي موقعه وشعبيّته بسبب السلوك المتشدّد لخلفاء الدولة الفاطمية في مصر وأساليبهم الخاطئة. لهذا فالمجتمع المغربي ظلّ خاضعاً، في أغلب أدواره، لثقافة المذاهب الإسلامية الأخرى رغم قيام حكومة في المغرب على يد العلويين والهاشميين وأحفاد الإمام الحسن عليه السلام ورغم أن فكرة تأسيس الحكومة من معطيات عقائد مدرسة أهل البيت عليهم السلام التي تبلورت أثناء معارضتهم للخلافة في بغداد وسامراء.

إلا أن هذه المجتمعات ظلّت تكنّ لأهل البيت عليهم السلام احتراماً خاصاً وتقديراً منقطع النظير، وتنظر إلى معاوية والامويين تياراً منحرفاً، ليست له أية قاعدة عقائدية، وإلى الخلفاء العباسيين ملوكاً أقرباء وأنهم كانوا وراء ظهور الحضارة العربية، لكنهم أيضاً لا يملكون أية قاعدة دينية. ولا زالت جذور حبّ أهل البيت عليهم السلام حيّة وراسخة عند أهل المغرب وتؤمن بعض مدارسهم بفكرة عصمة الإمام والقائد.

جامعة فاس وعلماء المشرق الإسلامي:

لو أردنا معرفة أهميّة ودور مدينة فاس وحوزتها العلميّة في بلاد المغرب، فيمكن تشبيهها بالحوزة العلميّة في النجف الأشرف أو في قم المقدّسة، مع فارق أنّه مرّ على

(١) المذهب الفاطمي في مصر يُعرف بالمذهب الإسماعيلي وهم فرقة من الشيعة تؤمن بإمامة إسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام دون الإمام الكاظم عليه السلام.



تأسسها ١٢ قرناً وكونها من أقدم البلاد الإسلامية. ويعتقد جميع المؤرخين أن مدينة فاس قد أنشئت مع بداية تأسيس الدولة العلوية على يد الإمام إدريس الأول بهدف نشر العلوم الدينية وتدريس الفقه الإسلامي. والحوزة العلمية الشهيرة في هذه المدينة والتي تُعرف اليوم «بجامعة القرويين» تُعدّ من أكبر المراكز العلمية في بلاد المغرب والتي خرّجت علماء مسلمين كباراً، كما كانت طوال قرون ولا زالت توفد الطلبة إلى مختلف مدن المغرب كالزّباط وسلا وتطوان والمدن التونسية، وحتى إلى القرى والأرياف لنشر المعارف الدينية^١. وتعتبر مكتبتها من أغنى المكتبات العامة، لما تضمّه من ذخائر ومخطوطات ونقائس، ممّا جعلها قبلة كلّ باحث ومهتمّ ودارس. وساعد على ذلك كونها توجد في مدينة فاس العتيقة التي أسسها العلويون فجعلوها مركزاً دينياً وسياسياً، ولقد وفد عليهم حين تأسيسها عدد من سكّان المغرب وسكّان الأندلس وسكّان إفريقيا وبعض أنصارهم من المشرق الإسلامي، وتكوّنت من هذه الفئات اللبنة الأولى لتكوين مدينة استمدّت عناصر وجودها من الهيئات العلمية التي تمثّل مختلف القبائل ومختلف الأسر ومختلف الاتجاهات، ولقد تكرّرت الهجرة إلى مدينة فاس وتعدّدت منذ تأسيسها وأصبحت مأوىً لعدد من المهاجرين من القيروان والأندلس.

ولقد استفاد العالم من النشاط العلمي الذي عرفته هذه الجامعة خصوصاً بعد أن أضيفت إليها بعض المدارس التابعة لها، ولم يقتصر هذا النشاط على الجانب الفقهي أو الأدبي بل كانت هناك اهتمامات بالعلوم الرياضية والفلكية حتى أن بعض المؤرخين كانوا يقولون بأنّ أوربا لم تنقل الأرقام العددية المستعملة عندها حتى الآن إلا بواسطة هذه الجامعة وبواسطة جامعة قرطبة حينما درس جربر GERBERT المعروف بالبابا «سيلفستر SYLVESTRE» بمدينة فاس وبمدينة قرطبة^٢.

(١) الدكتور تازي، عبد الهادي - جامع القرويين بمدينة فاس - طباعة بيروت ١٩٧٢م.

(٢) منار الإسلام - العدد الثامن - السنة الرابعة عشرة - شعبان ١٤٠٩هـ.

ولمّا كانت الدولة العلويّة في المغرب قد ظهرت إلى الوجود نتيجة معارضة شيعة للخلافة العباسيّة، فقد ضمّت بين صفوفها عناصر هاشميّة ومن بلاد ما وراء النهر، كانت تربطهم وشائج حسنة وقويّة مع علماء المغرب وأفاضلها. وكما أبدى علماء المغرب اهتماماً خاصاً بعلماء المشرق الإسلامي. ولهذا نلاحظ بوضوح بصمات هؤلاء العلماء في العلوم والنحو والتفسير والحديث والأصول والأدب والبلاغة والحساب والهندسة والطب والشعر والنثر.

وأخذت بلاد المغرب الكثير من قواعد العلوم القرآنيّة ولغة القرآن عن علماء وكتب الشرق الإسلامي. ومن بين العلماء ومراجع العلوم الإسلاميّة الذين ينتمون إلى بلاد ما وراء النهر، أو ينتسبون إليها: الامام البخاري من سمرقند، والامام مسلم من نيشابور، وأبو داود من سيستان، والنسائي من خراسان، والترمذي من ترمذ، وابن ماجه من قزوين، وسيبويه العالم المفكّر والمفسّر الشهير من شيراز، وابن سينا من بخارى. وكان لهؤلاء العلماء تأثير مهم جدّاً على العلوم الإسلاميّة في المغرب، وظلّت بلاد ما وراء النهر حيّة طوال التاريخ في أذهان علماء المغرب^(١).

وكان رحيل علماء المغرب إلى بلاد ما وراء النهر، وهجرة علماء الشرق الإسلامي إلى بلاد المغرب، أمراً شائعاً في تلك الحقبة الزمنيّة.

ابن بطوطة حلقة الوصل بين بلاد المغرب والمشرق الإسلامي:

يعدّ ابن بطوطة المؤرّخ والرحالة الكبير من أشهر رجال المغرب الذين زاروا بلاد ما وراء النهر، وقد سافر من طنجة بالمغرب وسجّل ملاحظاته القيّمة عن الثقافة والأدب والرّسوم والعادات المتداولة في مدن تلك البلاد. وتعدّ معلوماته عن شيراز وأصفهان

(١) الدكتور تازي، عبد الهادي - جامع القرويين بمدينة فاس - طباعة بيروت ١٩٧٢م.



ونيشابور وقم وسائر مدن بلاد ما وراء النهر من أجل المعلومات المسجلة. وهي بحق صورة واقعية ورائعة قدّمتها عن الشرق الإسلامي للمغرب. كما أتحف أهل الشرق الإسلامي أيضاً بمعلومات قيمة عن بلاد المغرب. وقدّم ابن بطوطة شرحاً مفصلاً عن المدارس العلمية لبلاد المشرق الإسلامي خصوصاً في شيراز وانكباب المرأة في تلك البلاد على تعلّم الفنون المختلفة، ممّا ترك أكبر الأثر على جامع القرويين والأساليب العلمية والحوزوية في فاس.

الفنون والشعائر الحسينية في المغرب:

في المجال الفني تشتهر مدينة فاس القديمة بأبواب مساجدها وجدرانها المزخرفة بالقيشاني على النمط المعماري الإيراني. كما دلّت التحقيقات ان نقوش السجّاد المغربي مأخوذة عن النقوش الإيرانية وهي في مجملها تقليد للسجّاد الكاشاني الإيراني.

ومن الأساليب الفنية في إحياء الشعائر الحسينية عزفهم للألحان الحزينة بمناسبة ذكرى واقعة كربلاء واستشهاد الإمام الحسين عليه السلام والصفوة الطاهرة من أهل بيته وأصحابه.

وتعدّ التبرّك باسم الإمام علي عليه السلام وانتشار المذائح المحلية التي تلهج بذكره في القرى والأرياف المغربية، أثراً من آثار الثقافة الشيعية. وتجد المذائح المحلية والابتهالات الشعبية مليئة بالصلاة على الرسول الكريم وعلى آله الطاهرين، وذكر فضائلهم وآلائهم.

وفي ليالي الجمع تُقرأ عادة في حلقات الذكر مدائح في حقّ علي عليه السلام، ويعزف العازفون نغم «غربة الحسين». وهناك رواية شائعة بينهم تقول إنّ هذا النغم ينير القلب ويُعرّف للمؤمنين حين دخولهم الجنة.

كما انتقلت الآلات والأجهزة الفلكية إلى المغرب بعد الاطلاع عليها في كتب علماء الفلك. وأكثرهم من بلاد ما وراء النهر. وأصرّ ملوك المغرب على انتقال هذه العلوم واصطربلاب أحمد بن إبراهيم الاصفهاني - العالم الفلكي الشهير - من مصدرها الأصلي وهو إيران.

كما أنّ زيارة ضريح الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء، أدب مغربي قديم، ويشدّ الفضلاء والعرفاء وأصحاب الحاجات الرّحال إلى هذه الأرض المقدّسة ويقدمون النذور طلباً للثواب ورجاءً في استجابة الدّعاء. وقد اشتهر الملك محمد الخامس (١٩٠٩ - ١٩٦١م) بحبّه للإمام الحسين (عليه السلام) والتجائه إلى قبور الأئمة (عليهم السلام) والعتبات المقدّسة، لا سيّما عندما كان في منفاه «مدغشقر» الذي نفاه الفرنسيون إليه في عام (١٩٥٣م) بعد أن ناصبهم العداء مطالباً باستقلال بلاده، وكذلك إبان حكمه عندما يواجه المعضلات الممرّة والظروف العصيبة، وهو بذلك يُعبّر عن مدى الإيمان والاحترام الذي يطفح في قلوب الشعب المغربي لأئمة أهل البيت (عليهم السلام).

«سبتة» و«مليلة» و«الجزر الجعفرية» أراضٍ إسلاميّة سلبية:

سبتة ومليلة والجزر الجعفرية من أهم ثغور المغرب الاستراتيجية. وقد كان لها - وخصوصاً سبتة - دور هام جدّاً فيما عرفته المنطقة من حروب على مرّ التاريخ. فمنذ التوقيع على وثيقة سقوط غرناطة، في أيدي الاسبان سنة (١٤٩٢م) وتسليم مفاتيحها في ٢ كانون الثاني بين يدي الملكة ايزابيلا وفيرناندو، أقسم الاسبان على الانتقام واحتلّوا مداخل الأندلس على ضفاف المنطقة الإسلامية في المغرب ودخلوا مدينة سبتة ليستقروا فيها، وقد انتصبت مدينة سبتة في أقصى الشّمال الغربي للمغرب، شمال تطوان وشرق طنجة، ولها ميناء دولي شهير لا يفصله عن جبل طارق سوى ٢٥ كلم. ومن هذا المضيق الذي يفصل البحر الأبيض المتوسط عن المحيط الأطلسي ويفصل القارة



الافريقيّة عن اوربا بمدة لا تزيد عن ١٥ دقيقة بحريّة، يمكن رصد حركة الملاحة في المنطقة. لذلك كان حرص الاسبان شديداً على المدينة، خصوصاً وأن بريطانيا استقرّت في صخرة جبل طارق ولم تخرج منها. وبهذا الاحتلال خرجت المنطقة نهائياً من أيدي المسلمين الذين كانوا يسيطرون عليها من الجهتين: الأندلس من الشمال والمغرب من الجنوب.

أمّا مدينة مليلة، فهي شبه جزيرة قريبة من الحدود الجزائرية تقع في الحدود الشرقية للمغرب وتبلغ مساحتها ١٢ ألف كلم مربع. ولها أهميتها البحرية في منطقة حوض البحر المتوسط الجنوبيّة. لذلك فإنّ للمدينتين ثقلهما في سياسة اسبانيا العسكريّة. وقد قرّرت الحكومة الاسبانيّة في خطتها الجديدة التي يستغرق تنفيذها ثماني سنوات ابتداءً من سنة (١٩٨٦م)، أن تعزّز دفاعها حول المدينتين تحسباً لأيّ طارئٍ جديد. ويذكر أنّ الجنود الاسبان في المدينتين لا يقلّون عن ٢٠ ألف جندي (١٣ ألفاً في سبتة و٧ آلاف في مليلة).

وحتى لا يظهر الاحتلال بشكل مفضوح في المدينتين، عمدت السلطات الاسبانيّة منذ زمن بعيد إلى اتخاذ عدة اجراءات تغري الاسبان بالاستقرار فيها، فقدّمت لهم كلّ التسهيلات وجعلت من المدينتين منطقة تجارية حرة تباع فيها البضائع معفاة من الضرائب. فأصبحنا محطّ التجار والسياح من الاسبان والعرب، ومورداً هاماً للعملة الصعبة.

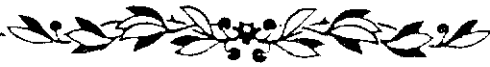
ويقيم في المدينتين اليوم ما لا يقلّ عن ٤٢ ألف مغربي (٢٧ ألفاً في مليلة و١٥ ألفاً في سبتة). ويعود تواجد المسلمين في المدينتين إلى الأيام الأولى من الفتح الإسلامي للمغرب، أي في النصف الثاني من القرن الهجري الأوّل. ولكن طول مدة الاحتلال الاسباني للمدينتين وخصوصاً سبتة التي يحتلّها منذ أواخر القرن السابع عشر الميلادي، كان له بعض التأثير، اضافة إلى الاجراءات الاستعماريّة التي مورست هناك.

ومع ذلك فقد حافظ هؤلاء على هويتهم ورفضوا مختلف الإغراءات وأشكال الترغيب والترهيب. وهم رغم ما يعانونه من آلام الفقر والحرمان لم يندمجوا في المجتمع الاسباني، بل ظلّوا مجتمعين حول بعضهم على موقف واحد، يتطلّعون إلى اليوم الذي تلتحق فيه المدينتان والجزر بالوطن الأم، المغرب. لقد عمدت السّلطة الاحتلالية إلى اشتراط التجنّس بالجنسيّة الاسبانيّة حتى يحصل المسلمون المغاربة في المدينتين على حقوقهم بصفتهم مواطنين، لكنهم رفضوا بشدّة، فمنعتهم من كلّ الحقوق - حقّ التملك والدراسة والشغل والانتخاب - وأعطتهم «البطاقة الإحصائية» وهي وثيقة تسمح لمن يحملها بالمقام في المدينتين المحتلتين دون سواهما من التراب الاسباني. لذلك يعاني مغاربة المدينتين من الجهل والبطالة والحرمان. وأقاموا في أحياء من الأكواخ لا تتوفّر فيها أيّ رعاية صحيّة أو تعليميّة أو ثقافيّة. كما أنّهم لظروفهم الاستثنائية الصعبة محرومون من أيّ اداة تنظيميّة تدافع عن حقوقهم. وكان كثير منهم عرضة لحملات الطّرد والتهجير. وقد قامت شرطة مليلة خلال شهر ايلول عام (١٩٨٦م) بطرد العشرات منهم كلّ ليلة خارج حدود المدينة. مقابل هذا تقدم الادارة الاسبانيّة عدة اغراءات لدفع الشباب المغربي من أهالي المدينتين إلى التجنّس بجنسيّتها. وذلك بأن تمنحه عدّة حقوق وتدفع له مبلغاً شهرياً يزيد عن ٢٥٠٠ درهم مغربي إذا كان عاطلاً. وهي سياسة رفضتها الأغليّة بقوة.

وفي سنة (١٩٧٥م) صدر في اسبانيا قانون الأجانب الذي ينظّم تواجد العنصر الأجنبي في البلاد. ووافق البرلمان ذو الأغليّة الاشتراكيّة في حينه على تطبيقه استعداداً لدخول اسبانيا السوق الاوربيّة المشتركة سنة (١٩٨٦م). وقرّرت سلطتا مدينتي سبتة ومليلة المحتلتين تطبيقه على المسلمين المغاربة هناك. لذلك فرضتا مطالب تجديد بطاقة الإقامة الخاصّة بهم وطالبوهم بالإجراءات التي يقوم بها أيّ أجنبي يدخل اسبانيا. وهو أن يحمل كل واحد منهم جواز سفر عليه تأشيرة الدخول إلى اسبانيا، ثم بطاقة

القنصلية حتى يحصلوا على بطاقة الأجنبي وبطاقة العمل والإقامة. وقد رأى المسلمون المغاربة في هذا الإجراء خطراً مؤكداً إذ سيعطي لسلطات الاستعمار الاسبانية مبرراً كافياً لطردهم من هناك وغلق محلاتهم ومنعهم من حقوق اكتسبوها منذ زمن طويل، لذلك اعلنوا رفضهم لهذا الإجراء بشدة وعبروا عن رفضهم بأشكال سلمية معبرة. فقاموا بالضرب على الأواني داخل المنازل. ونظموا يوم ٩ تشرين الثاني عام (١٩٨٥م) تجمعا بـ «كانيا ذاذي لامويرتي» الكائن بحي شعبي في مليلة. كما ساد الشارع المغربي غضب واضح عبرت عنه مختلف وسائل الاعلام^١.

وتبقى هاتان المدينتان والجزر الجعفرية في انتظار هبة الجهاد الإسلامي لتحريرها، بل تحرير الأندلس الضائعة وإعادتها إلى ديار الإسلام العزيزة وحاضرة المسلمين التليدة.



قَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

النَّاسُ إِخْوَانٌ : مَنْ كَانَ أَخُوهُ
فِي غَيْرِ ذَاتِ اللَّهِ فَزَيَّ عَدَاوَةً ، وَذَلِكَ
قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ :
الْأَخِلَاءُ يُوسِّدُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدَاوَاتٍ لَّيْقِنَ

مطار الاندلس / الجزء ٧٤ / صفحة ١٦٥

(١) العالم - ١١ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٦م - ١ جمادى الأولى ١٤٠٦ هـ - العدد ١٠٠.

الْعَلَوِيُّونَ النَّصِيرِيُّونَ وَالْمُسْتَشْرِقُونَ الْفَرَنْسِيُّونَ

الدَّكْتُورُ عَلِيُّ الْكَبَرُ صَبَّاحِي

«النَّصِيرِيَّة» إحدى الطوائف المغمورة التي اشتهرت إبان الاستعمار الفرنسي لسوريا (١٩١٨ - ١٩٤٨م) بتسميتها بـ «العلويين» نسبة إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. ولما كان السياسيون الفرنسيون في أوائل القرن الجاري بصدد تجزئة سوريا إلى دويلات مستقلة هي: الحكومة المركزية في دمشق، وأخرى درزية، وثالثة علوية، فقد احتاج مشروعهم هذا إلى دراسة النسيج الديني لهذه المناطق.

وقد كان أتباع هذه الطائفة عرضة - على الدوام - لظلم واعتداء جيرانهم المتعصبين وسكان المناطق الاسماعيلية، الأمر الذي قادهم - لكي يحفظوا عقائدهم وتقاليدهم وآدابهم ويواجهوا تهمة التكفير - إلى التشدد في المحافظة على كتبهم ومؤلفاتهم، بشكل تسبب في تزايد ظهور الشك والإيهام في هذه الطائفة، وبات الآخرون ينسبون إليها أموراً قائمة على الحسد والتخمين، فقال البعض، مثل ابن تيمية والشيخ عبدالرحمن أفندي العمادي، بكفر هذه الطائفة وهدر دم أتباعها.

وقبل الدخول في البحث حول تاريخ هذه الطائفة وعقائدها، نلقي نظرة سريعة على

كيفية تعرّف المستشرقين على هذه الطائفة، لكي لا يتمّ الاعتماد على آرائهم بسهولة، ولتجاوز مخاطر التحقيق ومزالقه. ونبدأ بحثنا من المستشرقين الفرنسيين، لأنّهم ذهبوا في كشف عقائد هذه الطائفة أبعد من غيرهم، كالألمان مثلاً.

رغم أنّ مصادر الفرق الإسلامية تطرّقت بشكل مختصر لعقائد النصيرية، إلّا أنّ أحداً لم يتحدّث عنهم بالتفصيل قبل سنة ١٨٦٣م، إذ تنصّر الشيخ سليمان الأذني، أحد شيوخ النصيرية في مدينة «آدانا» الواقعة جنوب غرب تركيا، على يد المبشرين الأمريكيين، فاختار الإقامة لفترة في مدينة «اللاذقية» وهي إحدى المدن الموعلة في القدم شمال غرب سوريا على ساحل المتوسط، وهناك ألّف كتاباً أسماه «الباكورة السليمانية في كشف أسرار الديانة النصيرية» كشف فيه عقائد النصيرية وعاداتهم وتقاليدهم. وقد قام المبشرون الأمريكيون بطبعه في عام ١٨٦٣م، وأعادوا طباعته في عام ١٨٦٤م أيضاً. وقد أثار انتشار الكتاب في المناطق العلوية في سوريا وتركيا حفيظة وعداء شيوخ هذه الطائفة، فقد أوجد الكشف عن عقائدهم قلقاً كبيراً لديهم. وفي الكثير من الحالات لم تعكس مواضيع الكتاب عقائدهم على حقيقتها، إذ كان العلويون كذبوها مراراً، تحاشياً لحملات المعارضين، كما واجهوا في عصر ابن تيمية والعثمانيين التكفير والإبادة. لذلك بعثوا إليه رسالة ودّية من مسقط رأسه دعوه فيها إلى العودة إلى أوساط أترابه السابقين في الدين، لكنّه عندما عاد إلى وطنه حاصره الناس وأحرقوه حيّاً، وسحبت نسخ كتابه من كافة المدن وأحرقت بعد ذلك، بشكل بات هذا الكتاب من أكثر مؤلفاتهم سرّية. إلّا أنّ وجود نسخ معدودة من الكتاب كان كافياً لوقوعها بأيدي المستشرقين، ومن ثمّ اطلاعهم على آراء وعقائد هذه الطائفة. ففي حينها عثر في بيروت كاتب اسمه «يوسف كتافاغو»^١ على نسخة من الكتاب، فكتب تحليلاً عن

(1) Catafago.

الكتاب نشرته مجلة «آسياتي»^١ الناطقة بالفرنسية. وكتب «كلمان هوارت»^٢ مقالاً آخر باللغة الفرنسية في نفس المجلة حول الكتاب^٣، ونقل إلى الفرنسية قصائد شيوخ النصيرية حول عقائدهم التي أوردها سليمان الازني في كتابه «الباكورة» ثم نشرها في باريس^٤.

لكنني أذهب إلى أن «إدوارد إ. ساليسبوري»^٥ أصدر في بيروت سنة ١٨٦٤م - وهي سنة صدور كتاب «الباكورة» - ترجمة أوفى لذلك الكتاب في مقال له بعنوان «أسرار مذهب النصيرية»^٦. ولعب «كتافاغو» دوراً مهماً في حصول الفرنسيين على النسخ المخطوطة والسريّة للنصيرية، وحسب علمنا فإن كتاب «تعليم الديانة النصيرية» المهم، أرسل من كاتب مجهول عبر «كتافاغو» إلى المكتبة الوطنية في باريس^٧، وقد شاهدت بنفسي توقيع «كتافاغو» على غلاف الكتاب.

بعد ذلك قام الفرنسي «هنري لامنس» سنة ١٨٩٩م بتأليف كتاب حول تاريخ النصيريين وعقائدهم^٨. فثمة مقالات متعددة له نشرتها المجلات الفرنسية في السنوات ١٩٠١، و١٩٠٢، و١٩١٥م^٩ حول النصيريين، ولقائه بأحد كبار شيوخ الفرقة الحيدريّة التابعة للنصيرية، إلا أن الأهم من كل ذلك هو كتاب تاريخ الفرقة النصيرية

(1) Journal Asiatique, ser 1V, t. X1, P149; Ser, V11, t. V111, P.523.

(2) M.clement Huart.

(3) ibid, ser, V11, t. X1V, P.191.

(4) Clement Huart, Lapoesie Religieuse Des Nosairis, Paris, Mccc Lxxx.

(5) Edward E. Salisburg, See: Ali Akbar Ziaee, Bibliography of Islamic Sects, Beirut, 1991, P.173.

(6) The Mystries of the Nusairian Religionin: Journal of the American Oriental Society, 1864, PP.227 - 308. (٧) طبع باريس 6182 arab.

(8) Henri Lammens, Les Nosairis, Nots Sur Leurhistoire et lear religion, paris, 1899.

(9) "Les Nosairis Furent - ils chre'tiens?" in: Revue de l'orient chre'tien, 1901.

(10) "Les Nosairis dans. le Liban" in: ibid, 1902.

(11) "Vne Visite aa Shaikh Supreme des Nosairis Haidaris" in: Journal Asiatque, janvier - fevrier, 1915, PP.145 - 50.

لـ«رينه دسو»^١ الذي صدر في باريس عام ١٩٠٠م.

ويمكن الإشارة إلى أن «لويس ماسينيون» وهو أحد أهم الكتاب المستشرقين الفرنسيين، كتب في سنة ١٩١٣م أول مقال حول النصيرية في دائرة المعارف الإسلامية^٢، ثم كتب مقالاً ثانياً في ثلاث صفحات في سنة ١٩٢٢م حول نفس الموضوع^٣. ومن المؤكد أن احتلال فرنسا للمناطق العلوية في سوريا في الفترة ما بين عامي ١٩١٤ و ١٩١٨م هو الذي عمق الرغبة لدى «لويس ماسينيون» في التعرف على هذه الطائفة، خدمة لأهداف الفرنسيين التجزئية، فسعى لتعزيز معرفته بالنصيرية.

وقد أعد «لويس ماسينيون» في عام ١٩٣٩م^٤ ثم في عام ١٩٦٣م^٥ فهرساً مختصراً للنسخ المخطوطة والسرية للنصيرية، معتمداً في ذلك على عدد من النسخ المخطوطة، إضافة إلى كتاب «الباكورة» الذي كان أرسل سلفاً إلى المكتبة الوطنية في باريس. وكان الكاتب العلوي الأستاذ «هاشم عثمان» قد أخبرني بأن «لويس ماسينيون» أخذ الفهرس المذكور بشكل شفهي عن العلوي المعروف «الشيخ عبدالرحمن خير»، وزاد عليه بعض الإضافات. ولم يكن فهرس «ماسينيون» بمنأى عن الخلل والخطأ، لعدم اطلاعه الكامل على المخطوطات الأولى لهذه الطائفة. وقد قام عبدالرحمن بدوي ومن دون تحقيق بإدراج فهرس «ماسينيون» الموجود في كتاب operaminora في كتابه «مذاهب الإسلاميين»^٦ ويعد ذلك ألف «ماسينيون» كتاباً آخر بهذا الشأن في سنة ١٩٦١م^٧.

(1) Rene Dussaud, Histoire et religion des nosairis, paris, 1900.

(2) Louis massignon "Nurairi" in: EI, Leiden, 1913 - 34; ti, Paris, 1960.

(3) Revue du monde musulman, mars, 1922, Vol. xlix, PP. 57 - 60.

(4) "Esquisse d'und bibliographie nusayrie" in: melanges Syrien's offerts a Monsieur Rene' Dussaud, Vol. 2 (paris, 1939), PP 913 - 922.

(5) Opera Minora, Beyrouth, 1936, I/640 - 649.

(٦) طبع بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧١، ٢/ ٤٢٥ - ٥٠٦.

(7) Les Nusayries Elaboration De L' islam, Paris, 1961.

ولعلّه من الممكن القول إنّ مركز البحوث الفرنسي في دمشق برئاسة «لويس ماسينيون» وضع في ذلك الوقت المصادر والمراجع تحت تصرّف الكتاب الفرنسيين للتعرف على هذه الفرقة الشيعيّة، إلّا أنّ الشكوك نالت من قيمتها العلميّة، إذ أظهر البحث الدقيق لبعض الكتب المخطوطة المنسوبة لهذه الطائفة أنّها كانت عرضة لتلاعب مثيري الفتنة والفرقة. وتمثّلت المصادر التي استقطبت اهتمام الفرنسيين بهذه الكتب، وتقارير الجنرالات الفرنسيين في مناطق العلويين، وأخبار متفرّقة من التجار والسيّاح الفرنسيين في تلك المناطق.

ولتوضيح الكيفيّة التي تعرّف بها المستشرقون الفرنسيون على هذه الطائفة، نشير إلى وثائق وزارة الخارجيّة الفرنسيّة في الفترة الواقعة بين عامي ١٩١٨ و١٩٢٩م^(١). تشتمل هذه الوثائق التي أرسلها العلماء والخبراء وأساتذة الجامعات إلى وزارة الخارجيّة الفرنسيّة على جوانب مختلفة لهذه الطائفة، كالجانب الاقتصادي والاجتماعي والعسكري والسياسي لمناطق العلويين النصيريّة. فمثلاً أرسل أستاذ كليّة الحقوق في جامعة ليون «أيولين بول»^(٢)، ولجنة جمع المعلومات Service des renseignements قسمًا كبيراً من هذه المعلومات إلى فرنسا. وكانت فرنسا، ولتحقيق أهدافها في سوريا، قد دعت أتباعها كافّة إلى جمع المعلومات عن المناطق العلوية ومختلف قبائل و فرق هذه الطائفة. وقد بدأت الدراسات الفرنسيّة من التقارير العامّة حول المناطق العلوية في سوريا، مثل مدن «اللاذقية» و«طرطوس» و«جبلّة» و«جسر الثغور» - والذي يسمّى خطأً «جسر الشغور» - وبعض قرى مدينة «حمص»، ووصلت بالتدرّج إلى عقائد العلويّة وكياناتهم الدينيّة، وطبيعة الارتباط مع الشيوخ والخلافات القديمة بين القبائل.

(1) Quaid' orsay.

(2) Iuvelin Paul.

واشتملت وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في الفترة الواقعة بين عامي ١٩١٨ و ١٩٢٩م على أبحاث حول الشيعة الإثني عشرية - الذين كان يرأسهم كامل بك الأسعد - والدروز والعلويين والقبائل العربية والشراسة وغير ذلك. هذه الوثائق - التي هي في واقعها بحوث فرق جمع المعلومات الفرنسية في المنطقة - كانت موجهة بشكل كامل لخدمة أهداف الفرنسيين. وقد سعوا عبر هذه البحوث لتحديد نقاط ضعف الطوائف، ومن ثم اختراقها من خلالها، وكذلك التعرف على مواضع القوة فيها، وكل ذلك لتعزيز السياسة الفرنسية في المنطقة. وكان الرئيس «ميلران» والجنرال «كورو» أول من أطلق مشاريع البحث في سوريا ورسم هيكليتها.

كان «ميلران» قد قال في رسالة سرية بعث بها إلى الجنرال «كورو» سنة ١٩٢٠م، وشرح له فيها مشروع الحكومة الفرنسية في سوريا: «إن العلويين القاطنين في المناطق الساحلية والجبلية السورية والناطقين بالعربية يمثلون فرقة دينية مرتبطة بالإسلام، إلا أن هذه الجماعة ليست في واقعها ضمن الدائرة الإسلامية، فلا يجب عدّهم من المسلمين».

وقد كان يهدف من حديثه ذلك إلى التفرقة الدينية، إذ كانت منطقة العلويين جزءاً من المناطق السنية، إلا أنها أعلنت استقلالها سنة ١٩٢٢م إثر نشاطات الفرنسيين، واعترف رسمياً بحكومة العلويين، واشتهرت المنطقة باسم بلاد العلويين Territoire des Alaouites واشتملت هذه المنطقة على مدينة اللاذقية وأطرافها، أي: صهيون، وجبله، ويانياس، وصافيتا، وطرابلس القديمة، وناحية طرطوس، وأطراف مصياف. وأشار «كومت ر. د. بيرون» في كتابه «في طريق سوريا» الذي أصدره عام ١٩٢٨م إلى أن الاحتلال الفرنسي إلى هذه الطائفة أيضاً^١.

(1) Comete R. D. Biron, Sur Les Routes De Syer, Paris, 1928.

بعد ذلك كتب «بيير ماي» متصرف مدينة اللاذقية - مركز العلويين في سوريا - كتاباً بعنوان «العلوية»^١ حول عقائد العلوية، وآدابهم وتقاليدهم المذهبية، وشيوخهم وأعرافهم القبلية، في ضوء مشاهداته. وسعى فيه إلى استقطاب مشاعر العلويين الموالين لفرنسا إليه، بادعائه أن الفرنسيين ينادون بتحرير العلويين من ظلم العثمانيين وجورهم.

ومن أهم بحوث الفرنسيين في فترة الاحتلال الفرنسي لسوريا كتاب «منطقة العلويين» الذي وضعه الكاتب الفرنسي الشهير «ج. ويلرس» سنة ١٩٤٠م في مجلدين^٢، وقد تناول فيه الموقع الجغرافي للعلويين وتاريخهم وعقائدهم، كما ضمّه بحثاً حول بعض الأقليات الدينية في سوريا، كالنسطورية والفرقة الاسماعيلية، وأهم ما في الكتاب هو احتواء مجلده الثاني على عدد كبير من الخرائط والصور للمناطق العلوية.

ومنذ عام ١٩٤٠ حتى عام ١٩٨٠م أوقف الفرنسيون أبحاثهم، وذلك لهزيمتهم أمام الحكومة المركزية في دمشق، وسقوط الحكم الذاتي للعلويين، باستثناء البحوث التي قام بها «ماسينيون» بين عامي ١٩٦١ و١٩٦٣م. وفي عام ١٩٨٠م كتب «ميشيل سورات»^٣ بحثاً حول المذاهب والفرق المختلفة في سوريا ضمّه موجزاً عن العلويين، وبعد ذلك كتب «الابن نيمير» في كتابه «العلويون» الذي أصدره عام ١٩٨٧م مختصراً في ٧٧ صفحة حول العلويين لكن مواضيعه افتقدت الدقة العلمية.

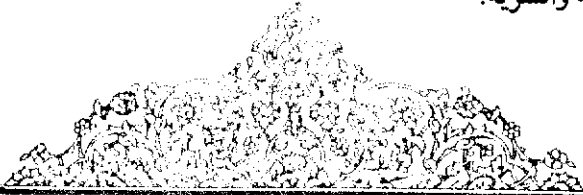
وتجدر الإشارة إلى أن المؤلفات التي برزت في العقد الأخير حول العلويين في لبنان، وقام بإصدارها الفرنسيون أو المارونيون التابعون لفرنسا بأسماء مستعارة أحياناً

(1) Pierre May, L'Alaouite, Beirut, 1931, 79P.

(2) J. Weulersse, Le Paydes Alaouites, France, Institut Francais de Damas, 1940, 2 Vol.

(3) Michel Seurat, La Syrie d'aujourd'hui, Edited by Andre Raymond, Paris, CNRSI 1989.

مثل «أنور ياسين» أو «أبو موسى الحريري»، ليست ممّا يمكن الاعتماد عليه كثيراً، لأنّ الهدف من تأليفها كان إضعاف العلويين في سوريا ودعم مارونيّ لبنان معنوياً، وإظهار العلويين بصورة مثيري العداة للمسلمين. ولم يصدر في فرنسا منذ ذلك الحين أي بحث جديد حول العلويين، فيما عدا ما يقوم به الآن مترجم مؤلفات نجيب محفوظ إلى اللّغة الفرنسيّة «جيرار بيبوندا» المقيم حالياً في مدينة «اللاذقية» مركز العلويين، من ترجمة كتاب «العلويون بين الأسطورة والحقيقة» لمؤلفه العلوي «هاشم عثمان» إلى اللّغة الفرنسيّة. وقد صدر الكتاب في بيروت عام ١٩٨٥م، إلّا أنّ الناشر حذف منه مواضيع كثيرة وفقاً لرغبته، والمترجم ينقل إلى العربيّة نسخة الكتاب الكاملة. وكان مؤلّف الكتاب قد أخبرني قبل فترة أنّه بصدد تأليف المجلّد الثاني من كتابه، الذي سيضمّنه تفاصيل أكثر من الأوّل حول عقائد العلويين. وما دفع المستشرقين الفرنسيين إلى الاهتمام بالكتاب هو اعتماد مواضيعه على عدد كبير من مؤلفات العلويين الخطيّة والسريّة.



قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

هَلَاكَ يَوْمَ فِي رَحْلَانِ :
مُحِبِّ غَالٍ وَمُبْغِضٍ قَالٍ

نهج البلاغة / القول ١١٧

قِصَّة

أقول للحماة

(السيد علي المرسوفي (الملك)

ترجل الرجل عن ناقته عجلًا، وتلفت يمنة ويسرة، قبل أن يتقدم إلى أحد
الابواب، ويطرقة بشيء من الارتباك.
وباحتراس شديد أَمَاط اللثام عن وجهه، وعاد يطرُق الباب من جديد...
فُتِح الباب عن شاب أسمر، تتدفق الرجولة والحيوية من ملامحه..
رَحَّب بالزائر، ثم تراجع موسعاً الطريق أمامه ليدخل...
في غرفة متواضعة، جلس الرجلان متقابلين...
تناول الزائر كوب ماء وراح يرشقه بهدوء... فيما انكبَّ الشاب على مطالعة الرسالة
التي حملها إليه صاحبه...
... أخيراً رفع رأسه وقد شَعَّت عيناه ببريق خاص...
شعر الرجل بشيء من الارتياح... فصاحبه - ورغم حداثة سنه - مدرك لخطورة
المهمة التي سيقوم بتنفيذها... ولا شك فهو يمي ثقل الدور الذي سيأخذه على عاتقه...
ويتصدى هو لا غيره للنهوض به...

تأمله قليلاً ثم تساءل في نفسه: إنه يبدو رجلاً بحق، ولكن أترأه جديراً بتحمل المسؤولية التي أناطها به رسول الله ﷺ؟

توقّف قليلاً، ثم عاد إلى محاورته نفسه... ولكن... مهما يكن من أمر، ألا ينبغي لرجل مثلي، سبر الحياة... وخبر حلوها ومرّها وتقلّب بين أفراحها وأتراحها؛ أن يفيد هذا الحدث، ما يعينه على خوض غمار هذه التجربة الصعبة لعلّها الأولى في سنيه الغضة؟ وحاول جمع شتات ذهنه المكدود، وقال: أرى أن تتسلّح بالكتمان.

ابتسم الشاب ابتسامة مهذّبة... ثم رفع إليه عينين تقولان: لا تقلق للأمر... فلا زال هناك متسع من الوقت... وكل شيء موكول إلى حينه... ثم دعاه إلى استيفاء قسط من الراحة... بعد هذه الرحلة الشاقة التي قطعها بين يثرب ومكة.

* * *

ترامت الصحراء على مدى البصر قاحلة خاوية... وتجانست معالمها حتى لم يعد هناك ما يميز ناحية عن أخرى...

وغاب عنها أي مظهر للحياة، فلا طيف إنسان، ولا أثر لحيوان أو نبات... بل وليس هناك ما يحمل على الاعتقاد أن هذه الأرض الميتة المجذبة تنفّست الحياة يوماً، أو دبّ على ظهرها كائن حي...

وإلى الجنوب... صوب مكة المكرمة، بدا وكأن هنالك قافلة صغيرة تريد المخاطرة بنفسها، ودفعها لركوب هذا الطريق المنقطع الموحش...

أربع من الإبل الشديدة، وُضعت على ظهورها المحامل، ومن ورائها سار ثلاثة رجال...

كان الرجل الأكبر سنّاً يسوق الرواحل، ويستحثها على الإسراع، وآلاف الأفكار المتباينة والاحتمالات المتضاربة تدور برأسه، وفجأة سمع صاحبه الشاب يقول له:

ارفق بالنسوة يا أبا واقد!

ألقى نظرة فاحصة إلى الخلف، وأجاب: إنني أخاف أن يدركنا الطلب!
ابتسم الشاب، وقال: اربع عليك... وتقدم ليحلّ محلّه تاركاً الرواحل تسير على مهلها... ثم أنشد:

ليس إلاّ الله فارفع ظنّك كيفيك ربّ الناس ما أهمّكا
أطلق الشاب كلماته تلك بغفوية وصدق وعزم لا حدّ له، وكأنه - وهو يترنّم بها -
يصغي إلى طيور بيضاء جميلة خافقة بأجنحتها حوله، ومُشيعة الأمن والسلام والطمأنينة
في نفسه...

بيد أن ذلك لم يمنع أبا واقد أن يتساءل في سرّه: ترى، ماذا لو أدركنا القوم؟ ألنا قتلٌ
بهم؟

واستطرد قائلاً: وددت لو أنّا خرجنا بهدوء، دون أن يثير عليّ تلك العاصفة.
ورغم ذلك... فقد افترّ شفتاه عن ابتسامة، وهمس: الحمد لله إذ بلغنا هذه المرحلة.
وتذكّر كيف دخل مكة متنكراً قبل يومين، ليُبلّغ أمر الرسول ﷺ ابن عمه علي بن
أبي طالب رضي الله عنه، بحمل عائلته، واللحاق به في يثرب...

كان الحرص وحده يدفع أبا واقد ليتساءل مع نفسه: هل يُكتب لنا النجاح في إنجاز
هذه المهمة؟ أم أن هناك مفاجأة تنتظرنا؟

* * *

- يا للرجال، يا للرجال...! بالأمس رقد هذا الفتى على سرير محمد، يوهمنا أن
محمدًا نائم، وهو ينطلق آمنًا إلى يثرب... واليوم يقف على أبواب أنديتنا، يهيننا
ويتحدّانا أنه خارج بعيال محمد...

يا للعار، يا للعار... فتى يتحدّى جبروت قريش وكبرياءها!

- ماذا تقول يا رجل، أي فتى تعني؟!

- كأنك لم تسمع بابن أبي طالب، عندما وقف هنا ممسكاً بقبضة سيفه، وهو يعلن على الملأ، ويقول ملء فيه:

«لا تقولوا جبن ابن أبي طالب... ها أنا خارج بعيال محمد، فمن شاء أن أفري لحمه وأريق دمه فليلحق بي».

- أحقاً تقول؟!

- أجل والللة والعزى!

- شهدت ذلك بنفسك؟!

- ما الذي دهاك...؟ أجل، وعشرات من رجال قريش.

- عجباً...! ولم تفعلوا شيئاً؟!

- وماذا ترانا فاعلين؟!

وتسألني! افعلوا ما بدالكُم.. افعلوا أي شيء.. أي شيء حتى لا يقال: إنكم جبتم..! حتى لا يقال: إن فتى لم يتجاوز العشرين هزمكم... سحق رجولتكم وكرامتكم... أو شكت أن أقول بمقولتك هذه... ولكن، أيجدر بي أن اتفوه بشيء، وسادة قريش وكبراؤها يشهدون..؟!

- وما منع «كبراءها» أن يفعلوا شيئاً... هل كان الأمر بحاجة إلى إعداد جيش؟... أم أعوزتهم مساعدة أحلافهم؟

- دحك من ملامتي... وقم بنا - إذا كنت حازم الرأي - لنسير إلى القوم، نحرضهم ونحفزهم قبل أن يفوتنا الرجل... توقّف هذا الحوار الصاخب في أحد أندية قريش، قبل أن يشاهد رجلان وهما ينطلقان منه لا يلويان على شيء، كأنهما عاصفة هادرة.

* * *

بدا التعب والإرهاق واضحاً على وجوه الرجال الثلاثة...
وانقطع الحديث بينهم أوكاد...
وأخذت الرواحل تجر جر قوائمها بثقل وإعياء...
رفع أبو واقد يده بإزاء عينيه متقياً أشعة الشمس، وقال وهو يلقي ببصره صوب
الشمال: تلك هي «ضجنان» وأردف: لم يبق شيء كثير...
ثم تَلَقَّتْ إلى الجنوب... وسرعان ما شحبت سحنته، وهتف بنبرة لا تخلو من ارتباك:
إذا لم يخني بصري أرى عِدَّة فرسان في أثرنا.
نظر عليّ حيث أشار صاحبه، ثم هتف: يا أبا واقد، وأنت يا أيمن، أنيخا الإبل،
واعقلاها!...
ثم تقدّم وأنزل النسوة...
وعندما فرغ من ذلك، انتضى سيفه، واستقبل المغيرين...
اقتربت الجياد تشتدّ بأصحابها، ثم توقفت...
ثمانية من الفرسان الشداد... كستهم غبرة الطريق، ورغبة الانتقام. سحنة غريبة...
ومن بينهم لاح فارس أسود، فارغ الطول، عريض المنكبين...
نادى أحدهم بفرور: ظننت أنك - يا غدار - ناج بالنسوة...!
ارجع لا أباك!
ردّ عليّ ببرود وسخرية: فإن لم أفعل؟
هتف رجل ثانٍ بصوت مبحوح: لترجعن راغماً أو لأرجعن بأكثرك شعراً. وأهون بك
من هالك.
ثم تقدّموا باتجاه النساء... إلّا أنّ علياً اعترضهم...
كان الفارس الأسود يترصد علياً... وظن أنه وجد فرصة مناسبة فسرعان ما انقضّ
عليه... وكانت مفاجأة مذهلة... بل معجزة لا تصدّق...

فقد أهوى الفارس بسيفه على رأس علي، بضربة أودعها كل قوته...
غير أن هذا الشاب راغ كلمح البصر، متفادياً الضربة، ومسدداً في الوقت نفسه ضربة
قاتلة لغريمه...

ضربة واحدة، إلا أنها كانت حاسمة...
فقد رسمت مشهداً مروعاً، كادت قلوب القوم تثب فرعاً منه.
أجل... فقد توزّع هذا البائس إلى شطرين، تساقطاً من على ظهر الجواد... وكأنهما
كومتا حطام...

ولم يترك علي فرصة لأعدائه، يلتقطون فيها بعض الأنفاس...
فقد شدّ عليهم وهو يطلق صيحات بثّ الرعب فيهم، فتراخت مفاصلهم،
واصطكت أرجلهم... وراح يواصل مطاردتهم وهو يرتجز:
خلّوا سبيل الجاهد المجاهد آليت لا أعبد غير الواحد
فتفرّقوا بين يديه، وتنادوا: احبس نفسك عنا يا بن أبي طالب.

وقف علي شاهراً سيفه، ملقياً عليهم نظرة احتقار واستخفاف، ونادى بأعلى صوته:
إني منطلق إلى أخي وابن عمي رسول الله، فمن سرّه أن أفري لحمه، وأريق دمه، فليدن
مني...

تراجع القوم غير مصدّقين أنهم ناجون من الموت... فيما التفت علي إلى صاحبيه،
وقال: أطلقا مطاياكما.

تحركت الدماء في وجوه أفراد القافلة... ووثب أبو واقد وأيمن وهما يعبران عن
فرحتهما الغامرة... وراحا يعدّان العدة لمواصلة السير...
وسرت بين النسوة كلمات هامة... داعية الله بحفظ علي...

وتوجّهن لإحدى رفيقاتهن يباركنها: بوركنت يا أم طالب، يا أم علي أسعدك الله بهذا
الابن الشجاع، كان الجمع فرحاً، يعبر عن فرحته بنحو أو آخر، غير البطل...

فقد كان مُطرقاً كأنه يتأمل شيئاً ما...

وَجْهَهُ يَنَمُّ عن شيء، عن معنى واحد، لكنه معنى مستغلق، معنى عميق، سرٌّ روحيٌّ بعيد الغور.

وَتَتَابِعُ القافلة سِيرَها... وتصلُّ بعدَ طولِ عناء، فيهِزُّ وصولُها المدينةَ المنورة...
وتسري أخبارُ المواجهةِ البطولية... المنازلِ الأولى بينَ المسلمين والمشرَكين...
فتخفق القلوبُ - لهذه البشارة - وتلهج الألسنُ بشكر الله... ويملأ الجميعُ اعتزازَ كبير
بدينهم.

* * *

تسامعُ الناسُ بعودةِ كتيبةِ الفرسان التي أرسلت لاعتراضِ القافلة، فهرعوا من كلِّ
مكان تدفعُهُم الرغبةُ لمعرفةِ ما حدث...
وبعدَ وقتٍ قصير، كان هناك حشدٌ كبيرٌ يقفُّ بالانتظار، وعيونُه مشدودةٌ للطريق.
ومن بعيد، تراءى شبه القافلة الصغيرة مقبلة... إلا أنه لم يكن بالإمكانِ تمييزَها بدقة.
وظلَّ الحشدُ المكِّي يرفعُ قدماً ويضعُ أخرى، وهو يتململُ في مكانه...
اقتربت القافلة شيئاً فشيئاً، وتسمَّرت العيونُ أكثرَ فأكثرَ بهذه النقاطِ السوداءِ
المتحركة...

وسُمعَ من يقول: ما هذا؟!

ثم نادى صبيٌّ بأعلى صوته: أراني أفتقدُ أحدَ الفرسان...!
ومع صيحاتِ الاستفسارِ التي انطلقت من هنا وهناك... عادَ الصَّبيُّ ليؤكدُ أنه يرى
أحدَ الجيادِ يقودُهُ فارسٌ آخر...
وبدأت كلماتُ التساؤلِ الممزوجةُ بالاستغرابِ تتردَّدُ على الأفواه، واتسعت دائرةُ
التساؤلاتِ، لتتحوَّلَ إلى لغطٍ جهيرٍ، وأخذَ وردُّ.

وفجأة زعق أحد الرجال: صه...! دعونا نعرف ما الذي حدث، فساد الصمت،
وانصت الحشد كأن على رؤوسهم الطير...!
كان موكب الفرسان يتقدم وهم مطرقو الرؤوس... وعلى وجوههم ارتسمت ملامح
الخيبة والمرارة والهزيمة بوضوح.
من مقدمة الحشد، تقدم رجل تحفه مظاهر الزهو والخيلاء، وهتف: ما هذا؟! أين
رباح؟

لم يجبه أحد... عاد يتساءل بحدّة وغضب: أقول أين رباح؟
رفع أحد الفرسان رأسه، ونظر إليه باستخاء... أجال بصره في الجمع المحتشد، ثم
استرده، وتمتم: لقد قُتل...!
صرخ الرجل: تقول: إنه قُتل؟
نار الفارس وزعق هو الآخر: أجل لقد قُتل!
- ولكن كيف قُتل؟ ومن قتله؟
- قُتل، قُتل وكفى...!
- ماذا...، ألا يهكم أنه قُتل؟
- وماذا تراني فاعلاً؟ هل تريدني أفدي مولاي بنفسي؟
- أجل، كان عبداً حقاً، ولكنك تعلم أنه فارس ليس كالفرسان... أنه يُعدّ بعشرة، بل
بعشرين فارساً.

اشتد غضب الفارس، وصرخ: يُعدّ بألف فارس، إنه قُتل... قُتل!
تقدم الرجل أكثر، وهو ينظر في عيون الفرسان الآخرين، وتكلم بهدوء هذه المرة
قائلاً: لا أدري... ألا يهكم قتل فارس من فرسان قريش المعدودين؟
خرج أحد الفرسان عن حالة الصمت، وقال: الحق معك يا أبا سفيان، ولكن... ألا
يهكم أننا عُدنا بخير...؟

حدَّق فيه أبو سفيان قليلاً، ثم أطلق ضحكة هستيرية، والتفت إلى الجمع المحتشد، وقال: باركوا لفرسانكم الأشاوس! فلا أظنُّ إلَّا أنَّ صبيَّ أبي طالب قد تكرَّم عليهم بالحياة، بعد أن أذاقهم ذُلَّ الهزيمة والهوان...

غلث الدماء في عروق الفرسان، وتوقدت عيونهم بالشرر... همز أحدُهم جوادهً باتجاه أبي سفيان... إلَّا أنَّ شيخاً من عليَّة القوم ووجوههم، تقدَّم من بين الصفوف، واقتاد أبا سفيان بعيداً مُخمِداً بذلك ثورةً كادت أن تنفجر.

* * *

لم تمضِ إلَّا سحابةُ تلك الليلة، حتى كان هذا الحدث، حديث مَكَّة ومجالسها... إلَّا أنَّ الحديث الذاتي... هذا الحوار الذي بدأ يثورُ داخل النفوس، كان أشدَّ أهميةً وخطورةً.

أجل، تزلزلت حالة الجمود الذهني لدى الكثير... وبدأوا يتساءلون: ثرئى، هل من المعقول أن شجاعة ابن أبي طالب، هذا الشاب الغضُّ العود... الذي لم يخض الحروب، ولم تحنَّه تجارب المعارك، هي السبب فيما حصل؟... أم أن في الامر سرّاً؟ وخشية انكشاف الحقيقة أمام عيونهم التي غشَّها الظلام، حتى عادت تخاف أن يبهرها الضوء، لم يستطيعوا الذهاب أبعد من ذلك ومغالبة تفكيرهم الذي تجمد على التقليد والمحاكاة...

أجل... حاولوا النَّأي به بعيداً، عندما وجدوه يحوم حول الحقيقة متسائلاً: أَيْكون رُبُّه قد نصره؟ أتراه على الدين الحق؟

وإمعاناً في الهروب... حاولوا إيصاء هذا الباب، لتبقى هذه القضية حبيسةً، تقيدها دائرة الغموض والايهام، وتحتجزها جدران الجهل والظلام... ولكنها محاولةٌ عقيمة...

فقد كانت دائرة التساؤل تتسع، وحلقات الشك تتداخل... والهزات النفسية متوالية
 تعصف بالعقل والوجدان...!
 كانت مكة تودع يوماً عادياً... فالمنازل قائمة... والأسواق متخمة بالبضاعة والزبائن،
 والأندية مزدحمة بروادها...
 أجل، كل شيء في مكانه... إلا شيئاً واحداً...
 بدا واهياً متهاكاً...
 فلم يبق من الجاهلية إلا هيكل صوري، وبدن خالٍ من الحياة، يتنقل بين الأحياء، أما
 روحه فقد أفلت ومالت للغروب مع شمس ذلك اليوم.

تنويه

نلفت أنظار القراء الكرام إلى خطأ مطبعي وقع في قصيدة : تجليات
 الحر بن يزيد الرياحي للشاعر جواد جميل المنشورة في العدد السابع
 حيث سقطت كلمة «مني» من البيت الثاني عشر وأضيف حرف «الواو»
 إليه والصواب:

كل شيء مني يفتش عن وجهي سراً يدور حولي يسائل


القرآن الكريم

في حَدِيثِ أَهْلِ الْبَيْتِ

(السيد عبد الله الحسيني)

في هذا الباب نحاول أن نوجه أنظار القراء الكرام إلى مفهوم أو فكرة معينة عن طريق التركيز عليها والتجميع الموضوعي لما أثر من نصوص كلمات المعصومين عليهم السلام فيها لما تمتاز به تلك النصوص من رؤية واقعية صادقة وبيان شمولي يبلغ يرتبط بسمين القرآن الكريم الذي لا ينضب، تصديقاً لقولهم عليهم السلام: «شَوْقًا وَغُرْبًا فَلَنْ تَجِدَا عِلْمًا صَحِيحًا إِلَّا شَيْئًا يَخْرُجُ مِنْ عِنْدِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ».

١- حقيقة القرآن الكريم:

عن الإمام الصادق عليه السلام: «لقد تجلّى الله لخلقه في كلامه، ولكنهم لا يُبصرون»! 

٢- هداية القرآن الكريم:

١- عن الرسول الأعظم عليه السلام: «وهو الدليل، يدلّ على خير سبيل»^٢.

(٢) تفسير العياشي ٢: ١.

(١) بحار الأنوار: ٩٢: ١٠٧.

٢ - وعنه عليه السلام: «القرآن هدى من الضلالة وتبيان من العمى واستقالة من العثرة»^١.

٣ - وعن الإمام علي عليه السلام: «آيتها الناس، إته من استنصح الله وفّق، ومن اتخذ قوله دليلاً هدى للتي هي أقوم»^٢.

٤ - وعن فاطمة الزهراء عليها السلام: «... وقائد إلى الرضوان اتباعه، ومؤد إلى النجاة أشياعه»^٣.

٣- إحاطة القرآن العظيم:

١ - عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن العزيز الجبار أنزل عليكم كتابه وهو الصادق البار، فيه خبركم وخبر من قبلكم وخبر من بعدكم وخبر السماء والأرض، ولو أتاكم من يخبركم عن ذلك لتعجبتم»^٤.

٢ - وعنه عليه السلام: «إن الله أنزل في القرآن تبيان كل شيء، حتى والله ما ترك شيئاً يحتاج العباد إليه إلا بينه للناس»^٥.

٤- تبيان القرآن العزيز:

١ - عن الإمام علي عليه السلام: «... وتبياناً لا تهدم أركانه»^٦.

٢ - وعنه عليه السلام: «وعلّكم بكتاب الله فإنه الحبل المتين.. لا يعوج فيقام، ولا يزيغ فيستعجب»^٧.

٣ - وعن الإمام السجاد عليه السلام: «... وميزان قسط لا يحيّف عن الحق لسأته، ونور هدى لا يطفأ عن الشاهدين برهائه»^٨.

٤ - وعن الإمام الصادق عليه السلام: «هو قول الله .. وهو الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من

(١) تفسير العياشي ١: ٥٠.

(٣) علل الشرائع: ٢٤٨.

(٥) بحار الأنوار ٩٢: ٨١.

(٧) نهج البلاغة، الخطبة: ١٥٦.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٤٧.

(٤) الكافي ٢: ٥٩٩.

(٦) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٨.

(٨) الصحيفة السجادية، الدعاء: ٤٢.

بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد»^١.

٥- القرآن لا بديل عنه:

١ - عن الإمام علي عليه السلام: «واعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنى»^٢.

٢ - وعنه عليه السلام: «ومن طلب الهدى في غيره أضله الله»^٣.

٣ - وعنه عليه السلام: «وفيه ربيع القلب .. وما للقلب جلاء غيره»^٤.

٤ - وعنه عليه السلام: «ولا تكشف الظلمات إلا به»^٥.

٦- للقرآن الكريم ظاهر أنيق وباطن عميق:

١ - عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: «وله ظهر وبطن، فظاهره حُكم وباطنه عِلْم».

٢ - وعنه عليه السلام: «ظاهره أنيق وباطنه عميق»^٦. «لا تحصي عجائبه ولا تبلى غرائب»^٧.

٣ - وعن الإمام الحسين عليه السلام: «كتاب الله - عز وجل - على أربعة أشياء: على العبارة والإشارة واللطائف والحقائق. فالعبارة للعوام، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء»^٨.

٤ - وعن الإمام علي عليه السلام: «.. وبحر لا ينزفه المستنزفون، وعيون لا ينضبها الماتحون ومناهل لا يغيضها الواردون»^٩.

(١) أمالي الصدوق: ٣٢٦، بحار الأنوار ٩٢: ١١٧.

(٢) بحار الأنوار ٩٢: ٣٢.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٥٢.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ١٨، والخطبة: ١٥٢.

(٥) الكافي ٢: ٥٩٩.

(٦) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٨.

(٧) نهج البلاغة، الخطبة: ١٧٦.

(٨) تفسير العياشي ١: ٣.

(٩) بحار الأنوار ٩٢: ٢٠.

٧- القرآن كتاب خالد:

- ١ - عن الإمام الباقر عليه السلام: «لو أن الآية إذا نزلت في قوم ثم مات أولئك القوم ماتت الآية لما بقي من القرآن شيء، ولكن القرآن يجري أوله على آخره ما دامت السماوات والأرض»^١.
- ٢ - وعن الإمام الرضا عليه السلام: «... هو حبل الله المتين .. وطريقته المثلث .. لا يخلق على الأزمنة ولا يغت على الألسنة، لأنه لم يجعل لزمانٍ دون زمان، بل جعل دليل البرهان، والحجة على كل إنسان، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد»^٢.
- ٣ - وعن الإمام علي عليه السلام: «ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحُه، وسراجاً لا يخبو توقده .. وفرقاً لا يخمد برهانه، وتبياناً لا تهدم أركانه...»^٣.
- ٤ - وعنه عليه السلام: «ولا تخلقه كثرة الردّ ولوج السمع»^٤.

٨- عظمة القرآن وفضله:

- ١ - عن النبي محمد صلى الله عليه وآله: «القرآن أفضل كل شيء دون الله، فمن قرأ القرآن فقد قرأ الله»^٥.
- ٢ - وعنه عليه السلام: «فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه»^٦.
- ٣ - وعن الإمام الصادق عليه السلام: «الحافظ للقرآن العامل به مع السفرة الكرام البررة»^٧.
- ٤ - وعن الإمام علي عليه السلام: «ليكن كل كلامكم ذكر الله وقراءة القرآن، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله سُئل: أي الأعمال أفضل عند الله؟ قال: قراءة القرآن وأنت تموت ولسانك رطب من ذكر الله»^٨.
- ٥ - وعن الإمام الصادق عليه السلام: «من استمع حرفاً من كتاب الله من غير قراءة كتب الله له

(٢) عيون أخبار الرضا ٢: ١٣٠.

(٤) المصدر، الخطبة: ١٥٦.

(٦) المصدر نفسه.

(٨) بحار الأنوار ٩٢: ١٩.

(١) تفسير العياشي ١: ١٠.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٨.

(٥) بحار الأنوار ٩٢: ١٩.

(٧) أمالي الصدوق: ٥٣.

حسنة، ومحى عنه سيئة، ورفع له درجة»^١.

٦ - وعن الإمام علي عليه السلام: «إقرأوا القرآن واستظهِروه، فإنَّ الله تعالى لا يعذب قلباً وعى القرآن»^٢.

٧ - وعنه عليه السلام: «من استظهر القرآن وحفظه وأحلَّ حلاله وحزَمَ حرامه أدخله الله به الجنة»^٣.

٩- كيف نقرأ القرآن العظيم؟

١ - عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ القرآن نزل بالخُزن فاقرأوه بالْحزن»^٤.

٢ - وعنه عليه السلام: «من قرأ القرآن ولم يخضع لله ولم يرقَّ قلبه ولا يكتسي حزناً ووجلاً في سرِّه فقد استهان بعظيم شأن الله تعالى ... وقِف عند وعده ووعيده، وتفكَّر في أمثاله ومواعظه، واحذر أن تقع من إقامتك حروفه في إضاعة حدوده»^٥.

١٠- أهل البيت وتفسير القرآن الكريم:

١ - عن النبي صلى الله عليه وآله: «من قال في القرآن بغير ما علم جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار»^٦.

٢ - وعن الإمام علي عليه السلام: «وعندنا - أهل البيت - أبواب الحكم وضيء الأمر»^٧.

٣ - وعن سدير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: جُعِلَتْ فداك ما أُنتم؟ قال: «نحن خزائن علم الله ونحن تراجمه وحي الله»^٨.

(٢) بحار الأنوار ٩٢: ١٩ - ٢٠.

(٤) وسائل الشيعة ٤: ٨٥٧.

(٦) المصدر ٩٢: ١١٢.

(٨) الكافي ١: ١٩٢.

(١) عذّة الداعي: ٢٧٠.

(٣) المصدر.

(٥) بحار الأنوار ٨٥: ٤٣.

(٧) نهج البلاغة، الخطبة: ١٢٠.

٤ - وعنه عليه السلام: «إِنَّ مِنْ عِلْمٍ مَا أَوْتَيْنَا تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ وَأَحْكَامَهُ»^١.

٥ - وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ لَمْ يَزَلِ اللَّهُ يَبْعَثُ مِنْهُ مَنْ يَعْلَمُ كِتَابَهُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ»^٢.

١١ - القرآن كتاب شامل كامل:

- ١ - عن الإمام علي عليه السلام: «ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ، وَلَنْ يَنْطِقَ، وَلَكِنْ أَخْبِرْكُمْ عَنْهُ: أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمٌ مَا يَأْتِي، وَالْحَدِيثُ عَنِ الْمَاضِي، وَدَوَاءٌ دَائِكُمْ وَنَظْمٌ مَا بَيْنَكُمْ»^٣.
- ٢ - وعنه عليه السلام: «أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِينًا تَامًا فَقَصَّرَ الرَّسُولُ عليه السلام عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ؟ وَاللَّهِ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿مَا فَرَضْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ وفيه تبيان لكل شيء»^٤.
- ٣ - وعنه عليه السلام: «فَعِظْمُوا مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَا عَظَّمَ مِنْ نَفْسِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يُخَفِّ عَنْكُمْ شَيْئًا مِنْ دِينِهِ، وَلَمْ يَتْرِكْ شَيْئًا رِضِيَهُ أَوْ كَرِهَهُ إِلَّا وَجَعَلَ لَهُ حُكْمًا بَادِيًا، وَأَيَّةً مُحْكَمَةً تَزْجُرُ عَنْهُ أَوْ تَدْعُو إِلَيْهِ»^٥.

١٢ - القرآن شفاء:

- ١ - عن الرسول عليه السلام: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النُّورُ الْمُبِينُ ... وَالشِّفَاءُ الْأَشْفَى»^٦.
- ٢ - وعن الإمام علي عليه السلام: «وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ»^٧.
- ٣ - وعنه عليه السلام: «فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ: وَهُوَ الْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ وَالْغِي وَالضَّلَالُ»^٨.
- ٤ - وعنه عليه السلام: «وَشِفَاءٌ لَا تُخْشَى أَسْقَامُهُ ... وَدَوَاءٌ لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ»^٩.

(١) المصدر ١: ٢٢٩.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٥٨.

(٥) المصدر، الخطبة: ١٨٣.

(٧) نهج البلاغة، الخطبة: ١١٠.

(٩) المصدر، الخطبة: ١٩٨.

(٢) بحار الأنوار ٢: ١٧٨.

(٤) المصدر، الخطبة: ١٨.

(٦) بحار الأنوار ٩٢: ٣١.

(٨) المصدر، الخطبة: ١٧٦.

٥ - وعنه عليه السلام: «وإن الله سبحانه لم يعظ أحداً بمثل هذا القرآن فإنه حبلى الله المتين وسببه الأمين»^١.

١٣ - كيف ينبغي أن نتعامل مع القرآن الكريم:

١ - عن الإمام علي عليه السلام: «وينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض، ولا يختلف في الله، ولا يخالف صاحبه عن الله»^٢.

٢ - وعنه عليه السلام: «واستدلّوه على ربكم، واستنصحوه على أنفسكم، واتهموا عليه آراءكم، واستغشوا فيه أهواءكم»^٣.

٣ - وعنه عليه السلام: «فالقرآن حجة الله على خلقه، أخذ عليه ميثاقهم، وارتهن عليه أنفسهم»^٤.

٤ - وعنه عليه السلام: «اللّه الله في القرآن، لا يسبقكم بالعمل به غيركم»^٥.

٥ - وعنه عليه السلام: «وتمسك بحبل القرآن واستنصحه، وأجلّ حلاله وحرم حرامه»^٦.

٦ - وعنه عليه السلام: «إن الله سبحانه أنزل كتاباً هادياً بين فيه الخير والشر، فخذوا نهج الخير تهتدوا، واصدقوا عن سمّ الشر تقصّدوا»^٧.

٧ - وعنه عليه السلام: «واردّد إلى الله ورسوله ما يضلّك من الخطوب، ويشته عليك من الأمور، فقد قال الله تعالى لقوم أحبّ إرشادهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ فالردّ إلى الله: الأخذ بمحكم كتابه، والردّ إلى الرسول: الأخذ بسنّته الجامعة غير المفرقة»^٨.

٨ - وعنه عليه السلام: «وتعلّموا القرآن، فإنه أحسن الحديث، وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب،

(٢) المصدر، الخطبة: ١٣٣.

(٤) المصدر، الخطبة: ١٨٣.

(٦) المصدر، الخطبة: ٦٩.

(٨) المصدر، الخطبة: ٥٣.

(١) المصدر، الخطبة: ١٧٦.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٧٦.

(٥) المصدر، الخطبة: ٤٧.

(٧) المصدر، الخطبة: ١٦٧.

وأحسنوا تلاوته فإنه أحسن القصص»^١.

٩ - وعنه عليه السلام: «تالين لأجزاء القرآن يركلونها ترتيلًا، يحزنون به أنفسهم، ويستثيرون به دواء دائهم، فإذا مرّوا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعًا، وتطلعت نفوسهم إليها شوقًا، وظنّوا أنها نَصَبٌ أعينهم، وإذا مرّوا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسمع قلوبهم، وظنّوا أنّ زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم»^٢.

١٤ - دور الرسول وأهل بيته في تفسير القرآن والعمل به:

١ - عن الإمام علي عليه السلام: «واقتدوا بهدي نبيكم فإنه أفضل الهدي، واستنّوا بسنته فإنها أهدى السنن»^٣.

٢ - وعنه عليه السلام: «بهم علّم الكتاب وبه علموا، وبهم قام الكتاب وبه قاموا»^٤.

٣ - وعنه عليه السلام: «فهم موضع سرّ، ولجأ أمره، وعيبة علمه وموئل حكمه وكهوف كُتبه»^٥.

٤ - وعنه عليه السلام: «عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية، لا عقل سماع ورواية»^٦.

٥ - وعنه عليه السلام: «فيهم كرائم القرآن وهم كنوز الرحمان»^٧.

٦ - وعنه عليه السلام: «ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نَقَضَ، ولن تمسكوا به

حتى تعرفوا الذي بَنَدَ، فالتمسوا ذلك من عند أهله، فإنهم عيش العلم وموت الجهل»^٨.

٧ - وعنه عليه السلام: «فيا عَجَبًا وما لي لا أعجب من خطأ هذه الفرق على اختلاف حُججها في

دينها؟ لا يقتضون أثر نبي ولا يقتدون بعمل وصي .. مفرعهم في المعضلات إلى أنفسهم،

وتعويلهم في المهمات على آرائهم، كأنّ كلّ امرئ منهم إمام نفسه»^٩.

(٢) المصدر، الخطبة: ١٩٣.

(٤) المصدر، القول: ٤٣٢.

(٦) المصدر، الخطبة: ٢٣٩.

(٨) المصدر، الخطبة: ١٤٧.

(١) المصدر، الخطبة: ١١٠.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١١٠.

(٥) المصدر، الخطبة: ٢.

(٧) المصدر، الخطبة: ١٥٤.

(٩) المصدر، الخطبة: ٨٨.

٨ - وعنه عليه السلام: في وصف المهدي عليه السلام: «ويعطف الرأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأي»^١.

٩ - وقال عليه السلام عن نفسه: «وإن الكتاب لمعي، ما فارقتُه مذ صحبتُه»^٢.

١٠ - وعنه عليه السلام: «ولقد بلغني أنكم تقولون: عليّ يكذب، قاتلكم الله تعالى افعلى من أكذب؟ أعلی الله؟ فانا أول من آمن به، أم على نبيّه؟ فانا أول من صدّقه. كلا والله، لكنّها لهجة غبتم عنها ولم تكونوا من أهلها»^٣.

١١ - وعنه عليه السلام: «بل اندمجت على مكنون علم لو بحث به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوى البعيدة»^٤.

١٢ - وعنه عليه السلام: «ها إنّ ها هنا لعلماً جمّاً (وأشار بيده إلى صدره) لو أصبت له حملة! بلى أصبت لقنّاً غير مأمونٍ عليه، مستعملاً آلة الدين للدنيا، ومستظهِراً بنعم الله على عباده وبحججه على أوليائه، أو منقاداً لحملة الحق لا بصيرة له في أحنائه، ينقدح الشك في قلبه لأوّل عارضٍ من شبهة. ألا لا ذا ولا ذاك. أو منهوماً باللذّة سلس القياد للشهوة، أو مغرماً بالجمع والادّخار، ليسا من رعاة الدين في شيء أقرب شيء شَبَهًا بهما الأنعام السائمة، كذلك يموت العلم بموت حامله»^٥.



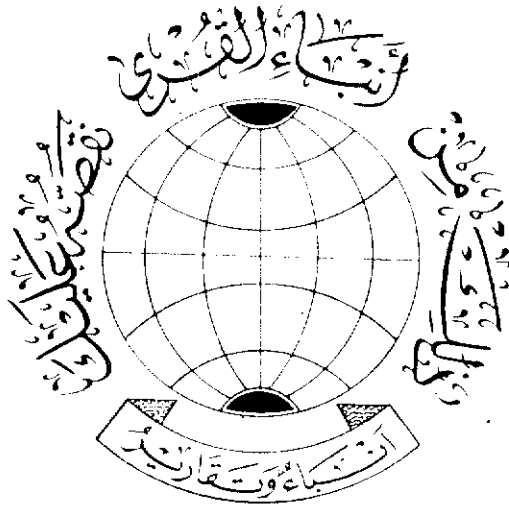
(٢) المصدر، الخطبة: ٥٠.

(٤) المصدر، الخطبة: ٥.

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٣٨.

(٣) المصدر، الخطبة: ٧١.

(٥) المصدر، الحكمة: ١٤٧.



نافذة نطلّ منها على أحوال المسلمين وأتباع أهل البيت عليهم السلام
في أنحاء العالم من خلال ما يصلنا من أخبار وتقارير. «التحرير»

■ الكيان الصهيوني

المجزرة السوداء في الخليل

أقدم كيان الافساد الصهيوني على ارتكاب أبشع جريمة في الحرم الابراهيمي المقدّس بالذات. إذ فتحت قوّاته الحاقدة المجرمة نيران رشاشاتها على المصلين الصائمين الفلسطينيين، فقتلت ٦٠ منهم وجرحت أكثر من ٣٠٠ آخرين حسب الروايات الصهيونية. فيما تقدّر مصادر أخرى أن



أعداد الشهداء والجرحى أكثر من ذلك بكثير، لأن العدو احتجز أجساد الشهداء المظلومين، ومنع اتصال الناس بالمستشفيات التي نقل إليها الجرحى. وهذه الجريمة التي تهزّ الضمير الانساني، والأكثر دموية من مذبحه العمال التي ارتكبتها الكيان الغاصب في العام الماضي لم تفاجئ المراقبين والرأي العام الاسلامي، لأن كيان الإفساد والجريمة الغاصب للأرض الإسلامية

المقدّسة إنما أقام وجوده غير الشرعي على جماجم الفلسطينيين، وتشريد مئات الآلاف منهم وإلقاء عشرات الآلاف في المعتقلات والسجون.

إن الذين اقترفوا هذه المجزرة، وحولوا الحرم الإبراهيمي المقدّس إلى مسبح يفيض بدماء المسلمين الطاهرة هم أنفسهم الذين كانوا قادة منظمة «الهاغانا» وغيرها من المنظمات العنصرية التي لا تعرف سوى القتل والتمثيل بالفلسطينيين المسلمين هناك. وهم الذين يتفنون في التنكيل بهؤلاء الناس الآمنين، وبهدم منازلهم وقتل أطفالهم وانتهاك أعراض نسائهم واقتلاع أشجار بسايتينهم، وهم القادة أنفسهم الذين أحرقوا المسجد الأقصى، وهدموا جانباً منه، وأقاموا الحفريات من جهة باب المغاربة لإزالة صورة الحرم الإسلامية المقدّسة، وهم أنفسهم القادة الذين تفتنوا في قتل أبناء الجنوب اللبناني أيام الغزو الأسود عام ١٩٨٢م، وكذلك حرق أرضهم وتدمير قراهم

وإهلاك حرثهم ونسلهم، وهم أصحاب نظريات تكسير العظام التي نفّذها المجرمون بأشع صورها مع أبناء الأرض المحتلة، أبطال الانتفاضة الإسلامية المباركة، وهم أنفسهم الذين درّبوا كتائب الموت، وزوّدوها بأوامر إطلاق النار على أبناء الانتفاضة بدون سابق إنذار.

إن هذه المجزرة الوحشية لا تزيد أبناء الأمة الإسلامية، وأبناء الشعب الفلسطيني إلا معرفة وبصيرة بهذا العدو البغيض الحاقد، الذي تحدّث عنه القرآن الكريم بصورة مفصلة، مبيّناً طبيعته الدموية التسلّطية، وعلوّه وخطورته، واستكباره وفساده في الأرض، وعداءه للإسلام والانسانية، وغدره بالمسلمين.

إن هذه المذبحة ستكون شاهداً جديداً على انتهاك هذا الكيان للحقوق الأنسانية، واستهتاره بالقيم والمواثيق الدولية، وشاهداً على كذب وخيانة المساومين الذين ما برحوا يرددون في وسائل إعلامهم ليل نهار ويصرّحون بأن

العدو غير من منهجه العدوانى وطبيعته الدموية، وكذلك شاهداً على كذب المطبّلين بحقوق الانسان والمتشدّقين بالديمقراطية، ودعاة النظام الدولى الجديد، الذين هم اليد الطولى التى تمدّ الصهاينة وتعينها على البطش والتنكيل بالمظلومين والمستضعفين.

واذ تؤكّد الجريمة الشنعاء طبيعة العداء الصهيونى الصليبي المكثّف ضد الاسلام ومقدّساته، فإنها تؤكّد أن هذا العدو لا يمكن أن يتخلّى عن ممارساته ضد البشرية وحقوق الانسان. وأنّ العدو الغاصب أراد بهذه الجريمة البشعة التغطية على عجزه عن كبح جماح الانتفاضة وهزيمته أمام أسودها، وحاول الظهور بمظهر القوى القادر على سحقها بقتله المصلّين العزل الابرياء.

وقد استنكرت هذه الجريمة الوحشية جميع الأوساط والمنظمات الانسانية، وكانت الجمهورية الاسلامية فى إيران السبّاقة فى هذا المضمار حيث أصدر سماحة ولي أمر المسلمين آية الله

السيد الخامنّي - حفظه الله - بياناً شديد اللهجة هاجم فيه القوى الشيطانية والكيان الغاصب والاطراف الخائنة التساومية التى مدّت رقابها خاضعة من أجل أن يعيش هذا الكيان جرثومة سرطانية فى قلب العالم الاسلامى.

وكذلك قامت المظاهرات الصاخبة فى كافة أرجاء الجمهورية الاسلامية عبر أبناء الشعب المسلم من خلالها عن دعمهم للشعب الفلسطينى المظلوم وثورته المباركة وانتفاضته الاسلامية التى أقضّت مضاجع الظالمين وسهّدت عيونهم.

وقد أحيت الجماهير المسلمة الصائمة يوم القدس العالمى الذى هو آخر جمعة من شهر رمضان المبارك، والذي أعلنه الامام الخمينيؑ يوماً للتضامن مع قضية العالم الاسلامى الكبرى والتعبير عن هوية القدس الاسلامية. فقد لَبّى مليار ومائتا مليون مسلم نداء ولي أمر المسلمين آية الله السيد الخامنّي، وانطلقت من حناجرهم

هتافات: فلسطين إسلامية.

ففي الجمهورية الاسلامية في إيران
محط أنظار العالم الاسلامي خرجت
جحافل المؤمنين الصائمين إلى
الساحات والشوارع محتفية بهذا اليوم
العظيم، وكانت المسيرات المليونية
تجوب أرجاء إيران هاتفة بالموت
لأمريكا وللكيان الغاصب.

وفي آذربيجان شاركت الجماهير
المسلمة في «باكو» عبر الاحتفال الكبير
الذي أقيم في مسجد «تازه بير» وهتفت
الجموع المحتشدة بالموت لأمريكا
والكيان الغاصب وطالبت بتدمير الوجود
الصهيوني في فلسطين.

كما أحيا مسلمو جمهورية نخجوان
يوم القدس العالمي، فعمدوا
الاجتماعات والندوات في المساجد
معلنين للعالم الاسلامي والعالم بأسره
تضامنهم وتلاحمهم مع الامة الاسلامية
بعد ٧٠ عاماً من الحكم الشيوعي،
وأعلنوا عن إدانتهم لمجزرة الحرم
الابراهيمي.

وأدان مسلمو تركمانستان الجريمة

الوحشية التي تعرض لها المصلون في
الحرم الابراهيمي وأعربوا عن دعمهم
للشعب الفلسطيني المسلم.

وفي الامارات العربية المتحدة عقد
اجتماع كبير شاركت فيه شخصيات
سياسية وثقافية يتقدمهم الشيخ محمد
ابن أحمد الخزرجي وزير الاوقاف
والشؤون الاسلامية الاماراتي، وقد حيوا
فيه يوم القدس العالمي واعتبروه يوماً
تاريخياً.

واقيم حفل في قطر حضره جمع
غفير من المسلمين أدانوا فيه مجزرة
الحرم الإبراهيمي.

ونضم آلاف المسلمين في سوريا
مسيرات بمناسبة يوم القدس العالمي،
وطاف المتظاهرون في شوارع العاصمة
السورية «دمشق» قبل أن يحتشدوا في
الصحن المطهر للسيدة زينب عليها السلام.
وأدانوا الصمت الذي تلتزمه الاوساط
الدولية تجاه المجزرة التي ارتكبها الكيان
الفاسد ضد الفلسطينيين الأبرياء في

من انتكاء القرى

الحرم الابراهيمي.

وفي «موسكو» أقيم حفل كبير بمناسبة يوم القدس العالمي في المسجد الجامع في العاصمة الروسية. وقد ندد إمام المسجد بالمجزرة، وأكد تضامن مسلمي روسيا مع الشعب الفلسطيني المضطهد.

وفي رومانيا تحدث إمام مسجد «بوخارست» في صلاة الجمعة عن أهمية اليوم العالمي للقدس، ودعا المسلمين للعمل على تحرير القدس الشريف من مخالف الصهاينة.

وفي أفغانستان اكتظ مسجد «محمدية» في غرب العاصمة الافغانية بالجماهير المسلمة لإحياء ذكرى يوم القدس العالمي.

ونظم الآلاف من أبناء الشعب الهندي مسيرة كبرى شارك فيها جمع من المسلمين من بقية الدول الاسلامية المقيمين في الهند وهم يرددون شعارات الموت لأمريكا والموت للكيان الصهيوني، وفلسطين للمسلمين. وأصدر

المتظاهرون بياناً أدانوا فيه الاتفاق العرفاتي - الصهيوني، واعتبروه مؤامرة تهدف إلى إضعاف معنويات المجاهدين الفلسطينيين.

وشهدت مدينة «كارغيل» في كشمير تظاهرات عارمة نظمها المسلمون بمناسبة يوم القدس العالمي وذلك بعد إقامة صلاة الجمعة. وقد ردّد المتظاهرون هتافات التضامن مع الشعب الفلسطيني و«لييك يا خامنئي» والموت لأمريكا وللكيان الصهيوني.

وشارك جمع غفير من المسلمين الماليزيين في الاجتماع الذي دعت إليه سفارة الجمهورية الاسلامية في ايران في ماليزيا، ودعا المشاركون المسلمين للتحرك من أجل الدفاع عن الشعب الفلسطيني المسلم.

كما خرجت تظاهرات شارك فيها الآلاف من المسلمين المتواجدين في بريطانيا في يوم السبت المصادف ٢٢/ شهر رمضان قبل آخر جمعة من الشهر المبارك لذكرى يوم القدس

للاسلام والكتب السماوية.

* * *

حتى المقابر الإسلامية لم تسلم
من حقدهم

أعلنت مصادر في شرطة الكيان
الصهيوني في القدس المحتلة أن جماعة
يستمون إلى حركة «كاخ» الصهيونية
العنصرية المتطرّفة انتهكوا قبر الشيخ
«عزالدين القسام» في مقابر المسلمين
في شمال فلسطين، الذي عرف بجهاده
ومحاربه لليهود المحتلّين والبريطانيين،
وقد رسم المعتدون نجمة داود على
القبر، ودوّنوا شعارات لحركة «كاخ»
الإرهابية، كما تمّ تلطيخ القبر بالطلاء
الاحمر.

* * *

القرآن يخيف اليهود

قدّم الملحق الاعلامي الاسرائيلي في
القاهرة احتجاجاً إلى وزارة الخارجية
المصرية على خرق مصر للبروتوكولات

العالمي وقد تعرّضت الشرطة البريطانية
للمتظاهرين الذين هتفوا بشعارات
معادية لأمريكا والكيان الغاصب وأكدوا
أن فلسطين إسلامية ونددوا بالجريمة
الكبرى التي ارتكبتها الصهيانة في الحرم
الابراهيمي، وحدثت صدامات بين
المتظاهرين والشرطة الانجليزية، إلا أن
بريطانيا ووسائل الاعلام الدولية أضفت
على الحادث طابع الكتمان ولم تشر إليه.

* * *

مصادرة ٢٥ ألف نسخة من

القرآن الكريم

صادرت سلطات الكيان الصهيوني
الغادر ٢٥ ألف نسخة من كتاب الله
الكريم «القرآن المجيد» وهي الكمية
التي أهدتها الحكومة الاردنية إلى كلية
اللاهوت والعلوم الاسلامية الواقعة في
الضفة الغربية المحتلة. وتفيد الانباء أن
الكيان الغاصب قام بهذا الاجراء
التعسّفي في شهر رمضان المبارك ليثبت
للسميع مدى حقه وعدائه الدفين

مِن أَنْبَاءِ الْفَرَنْجِ

٣ - تشكيل لجنة أمنية مشتركة لملاحقة العناصر الوطنية والاسلامية المناهضة للاتفاق.

٤ - إطلاق سراح العميل الاسرائيلي «عدنان ياسين».

ذكرت ذلك مجلة البلاد في عددها ١٦٦، وأضافت: إن الفريق الفلسطيني المفاوض أبدى تجاوباً حيال الشروط الثلاثة الاولى، وأما الشرط الرابع المتعلق بالجاسوس «عدنان» فإنه خاضع لموافقة «ياسر عرفات» شخصياً.

■ مصر

من أجل سواد عيون الكيان الصهيوني

تعرّضت المناهج التعليمية المصرية الجديدة التي كانت وزارة التربية والتعليم المصرية قد ألغتها بحجة الايجابية في التطوير لعمليات حذف وتشويه مقصودة بهدف تمرير مهمة التطبيع مع اليهود، وإرضاء الجار الاسرائيلي على حساب

غير الرسمية بين مصر واسرائيل. أما سبب الاحتجاج فهو أن إذاعة القرآن الكريم بثت ترتيلاً لسورة المائدة تضمن الآيات الكريمة: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا...﴾.

شروط الكيان الصهيوني للاتفاق

قالت مجلة «فوكس» الالمانية: إن الحكومة الاسرائيلية اشترطت على قيادة منظمة التحرير تحقيق الشروط التي تضعها اسرائيل مقابل تسهيل المفاوضات الخاصة بتطبيق اتفاق «غزة - أريحا» وهي:

١ - حل حركة «فتح» وتحويلها إلى حزب سياسي على غرار حزب «فدا» التابع للجناح المنشق عن الجبهة الديمقراطية بقيادة «ياسر عبد ربه».

٢ - تقديم تقرير مفصل عن مخزون الاسلحة التي يمتلكها «الناشطون من أبطال الانتفاضة».

التاريخ والدين.

صحيفة الاهرام القاهرية التي تأخذ
جانب الحكومة المصرية دائماً، نشرت
الخبر تحت عنوان «تطوير أم تزوير».

إعدام «رمضان» في شهر

رمضان المبارك

أعلنت شرطة النظام المصري أنها
نقّذت ظهر يوم السبت ١٥ / رمضان
المبارك / ١٤١٤ هـ المصادف ٢٦ /
شباط / ١٩٩٤م حكم الاعدام في
المجاهد المصري «عبد الشافي محمد
رمضان» الذي أنزل العقاب الصارم
والحكم العادل بالكاتب المصري المرتد
«فرج فوده».

وكانت محكمة أمن الدولة العليا قد
أيّدت في ٣٠ / كانون الاول / ١٩٩٣م
حكم الاعدام الصادر على الشهيد
«رمضان» المتهم بالاشتراك في اطلاق
النار على المجرم المرتد.

وباعدام «رمضان» يرتفع عدد
الاسلاميين الذين أعدموا في مصر منذ

فقد فوجئ المشرفون هناك بأن
المناهج الجديدة التي أشرف على
«تطويرها» ٢٩ استاذاً ومستشاراً أمريكياً
بينهم اثنان من اليهود بتمويل من المعونة
الامريكية تعرّضت لاختصار كبير في
مباحث التاريخ الاسلامي الذي أصبح
مجزّء ٤٠ صفحة تقرر على الصف الاول
الاعدادي، وإلغاء هذه المادة عن بقية
الفصول وحذفها نهائياً.

ولوحظ أن اللجنة الامريكية التي
أشرفت على وضع المناهج الجديدة،
شطبّت كل ما هو إسلامي فيها، وعمّقت
كل ما هو فرعوني، كما ألغت مواقع
تاريخية مهمّة كالحملة الفرنسية على
مصر، وحتى حملة الاسكندر المقدوني
على مصر، وجميع المعارك التي خاضها
المسلمون ضدّ يهود خيبر وبنو قينقاع
وبنو قريظة، وحتى المعارك الاسلامية
الرئيسية كاليرموك وموتة.

وقد أثار هذا التصرف استغراب
وتساؤلات الجميع في مصر لدرجة أن



من أنباء القُرْبَى

تصبح كالمرأة الفرنسية وليس كالمرأة العربية المسلمة.

وأضافت تقول: إنها تحولت من النصرانية إلى الاسلام بعد الزواج اتباعاً للعادات والتقاليد وليس لأسباب دينية.

ثم تواصل حديثها قائلة: إن أمها «ريموندا الطويل» كانت على صلة دائمة بسلطات الاحتلال الصهيوني ومنذ أكثر من ٢٥ عاماً بحكم عملها في مجال الصحافة، واسترسلت قائلة: إنها نشأت وهي ترى الصهاينة يدخلون ويخرجون إلى منزلهم، ولذلك فإن فكرة السلام والتعايش مع الاحتلال الصهيوني أو مع الصهاينة ليست مستهجنة.

■ أمريكا

مراجعة السياسة الأمريكية
تجاه الاسلام

اتسم خطاب الادارة الأمريكية تجاه الاسلام بدرجة عالية من الافتقار إلى

العام الماضي إلى ٣٠ شخصاً، وهو أكبر عدد من الاعدادات السياسية في تاريخ مصر الحديث.

■ فرنسا

سهى عرفات تريدها دولة كاثوليكية صرّحت «سهى الطويل» زوجة «ياسر عرفات» في حديث لها مع إذاعة «مونت كارلو» الناطقة باللغة الفرنسية أنها سوف تطلب من «ياسر عرفات» عندما يصبح رئيساً لدولة فلسطين أن يلغي تعدّد الزوجات والطلاق ويطبّق التجربة الفرنسية في مجال الأحوال الشخصية لصالح المرأة الفلسطينية!

ونقلت صحيفة المسلمات في عددها ٢١ عن الاذاعة قولها: إن سهى عرفات أكّدت أنها سوف تنظّم - في حالة عدم استجابة عرفات - مظاهرة أمام قصره للضغط عليه. وأنها تعلّمت الصحافة وتتمتعت بكامل حرّيتها قبل الزواج، وأنها تريد للمرأة الفلسطينية أن

احترام الوعي، واحترام حق التفكير في استيعاب الاحداث وتحليلها. وأن المراجعة الموضوعية الواعية بالذهن المتفتح التي ينبغي أن تبدأ باحترام وعي الآخرين لا بد أن تتجاوز القشور إلى اللباب وتختصر قائمة الاختلافات والاختلافات في موضوع الاسلام.

هذا الامر أكدّه الرئيس الامريكي السابق «جيمي كارتر» وتجاوز القشور إلى اللباب في التصريحات التي أصدرها في البيت الابيض في ١٣ أيلول ١٩٩٣م عندما قال: إن هناك وسواساً امريكياً يربط بين الاسلام والارهاب.

ذكرت ذلك صحيفة اللواء الاردنية وأضافت: إن «كارتر» تحدّى القرار الامريكي بلهجة حادة وقال: إنه خطوة تعكس تزايد المخاوف الامريكية من التصاعد الدولي للنشاطات الاسلامية، وأنه يوجد قدر مبالغ فيه من التصميم في الولايات المتحدة على النظر إلى المسلمين بوصفهم ارهابيين بالفطرة. واعتقد أن الهاجس من الاسلام أكبر من

حجمه الحقيقي، وأننا لسنا قادرين على وقف مسيرة الاسلام.

ويأتي هذا الموقف بعد ارتفاع العديد من الاصوات في وسائل الاعلام الامريكية التي تدعو إلى ضرورة المراجعة الامريكية الموضوعية والواعية لسياستها تجاه الاسلام. ومنها المقال الذي نشرته صحيفه «لوس انجلس تايمز» بتاريخ ٧ / ٧ / ١٩٩٣م تحت عنوان: «الولايات المتحدة وضرورات سياسة خارجية جديدة مع الاسلام» للكاتب «روبن رايت» جاء فيه: انصرفت خمسة عشر عاماً منذ أن نهض زعيم ديني من منفاه في النجف ليعلم أن إيديولوجية وأهداف وقياة الغليان الشعبي الضارب في ايران يجب أن تبقى إسلامية. ولكن تصرفات ذلك الزعيم الجسورة لم تحظ بالتفات العالم الخارجي آنذاك، ربما لأن فكرة إقامة دولة اسلامية في القرن العشرين كانت تبدو «فكرة سخيفة».

وأضاف الكاتب يقول: الآن ويعد



من انتكاء القرئ

الاسلام وقال: لقد عانى المسلمون من عدم التسامح والتفرقة والتسلط عبر التاريخ. وإن هذه التفرقة تحط من قدر مجتمعنا وتؤدي إيماننا بالديمقراطية وحقوق الانسان.

* * *

■ روسيا

مواقف روسيا من أزمة البوسنة

يقوم الروس بدور مهم وفاعل في القضايا الداخلية ليوغسلافيا السابقة، فبالإضافة إلى مصالحهم التقليدية البعيدة المدى في المنطقة، فإنهم يسعون للعب دور فعال في القضايا الأوروبية، وخاصة في دائرة حلفائهم السابقين.

إن السياسة الخارجية الروسية المتأثرة بالتطورات والصراعات الداخلية إضافة إلى الازمات الاجتماعية والاقتصادية تتصف حالياً بالغموض والتذبذب، بحيث أنه ليس للسياسيين الروس منهج محدد يعتمدونه في سياستهم الخارجية.

مرور ١٥ عاماً على تلك الاحداث فإن الاسلام يبدو أكثر حيوية وديناميكية في الشرق الاوسط، إذ سرعان ما قامت دول إسلامية في بلدان أخرى كالسودان، وأخذت بعض الدول غير الاسلامية تراعي حقوق المسلمين وعاداتهم من خلال قوانينها الجديدة. كما أن الاسلاميين استطاعوا كسب الانتخابات في معظم الدول الاسلامية كما هو الحال في الجزائر وغيرها.

وأضاف: لقد حان الوقت لتغيير الموقف الأمريكي تجاه الاسلام، وإن الولايات المتحدة مطالبة لأول مرة في تاريخها بضرورة تطوير سياسية خارجية واضحة وعقلانية تجاه الاسلام.

كما ألقى النائب الأمريكي «هوارد بيردمان» خطاباً أمام مجلس العلاقات العامة الاسلامي بـ «لوس انجلس» شجب فيه عدم التسامح تجاه المسلمين. وحذر الأمريكيين من مغبة اعتناق نظرة واحدة متحجرة تجاه الاسلام، وهاجم تشويه الحقائق والتعميمات الخاطئة عن

وفيما يتعلّق بالقضايا الأوروبية وخاصة أوروبا الشرقية فمن الواضح أن روسيا تنطلق في تعاملها معها من نقطتين هما:

١ - التعاون الاقتصادي الروسي مع صربيا الذي بدأ من خلال اتفاق عقده روسيا مع صربيا في كانون الاول ١٩٩١م. لقد عارضت روسيا في بداية الامر تقسيم يوغسلافيا، إلا أنها وافقت على ذلك بعد الاعتراف رسمياً بجمهوريتي سلوفينيا وكرواتيا، معلنة استعدادها للتعاون وإقامة العلاقات معهما على الصعيد الاقتصادي والسياسي.

وقد قرر البرلمان الروسي في ١٤ حزيران ١٩٩٢م زيادة عناصر القوة الروسية المشاركة في القوات الدولية، الامر الذي يعني زيادة الحضور الروسي في التحولات التي تجري في المنطقة ومن ثم زيادة دعمها لصربيا. وقد أرسلت روسيا في الوقت نفسه وفداً برلمانياً بزعامة «امبارتسوف» رئيس لجنة العلاقات الخارجية في البرلمان إلى

صربيا والبوسنة والهرسك في مهمة لتقصّي الحقائق.

وخلال لقاء سرّي أجراه مع «ميلوسوفيتش» و «فيسلاف شلي» زعيم الصرب المتطرفين «الجتيك» أعلن «ميلوسوفيتش» أن أي هجوم غربي على منطقة البلقان سيعرّض مصالح روسيا الاستراتيجية وكذلك البلدان الارثوذكسية إلى الخطر، كما جرى خلال هذا اللقاء التوقيع على بروتوكول لتبادل السلع بين روسيا وصربيا بقيمة ٨ مليارات دولار، وتعهّدت روسيا فيه بدعم الصرب مادياً وعسكرياً وسياسياً.

وجاء في جانب من البروتوكول: نظراً للمخاطر الكبيرة المترتبة على هجوم القوّات الغربية المعادية للارثوذكس، فمن الضروري تعزيز التعاون العسكري، إذ يتمّ في إطاره إرسال الأسلحة والمواد الكيميائية التي يمكن استخدامها في الأغراض العسكرية وفي حال فرض حظر كامل على صربيا يجب إرسالها عن طريق بلد ثالث.



من أنباء القري

ومن هنا فإن الروس تعهدوا بالعمل ضد فرض حظر اقتصادي على صربيا، وفي هذا الاطار كان المرتزقة والمتطوعون الروس يقاتلون المسلمين إلى جانب الصرب.

وفي إطار موقف روسيا من قضية قبول عضوية صربيا وموتني نفرو في الامم المتحدة وباقي المنظمات الدولية قال وزير الخارجية الروسي «اندرية كوزيريف»: «سأدعم موقف صربيا وموتني نفرو لطلب العضوية في المنظمة الدولية، إلا أن بإمكان أمريكا وبريطانيا وفرنسا رفض طلب الجمهوريتين من خلال استعمال حق النقض «الفيتو».

وفي معرض تأكيده على أن عزل يوغسلافيا الجديدة (صربيا وموتني نفرو) دولياً سيخلق أزمات أخرى، أعلن وزير الخارجية الروسي أن على العالم الاعتراف رسمياً بيوغسلافيا الجديدة. ولهذا السبب تمتنع روسيا عن حضور جلسات مجلس الامن الدولي للتصويت على عدم اشتراك يوغسلافيا

الجديدة في الجمعية العامة للامم المتحدة.

■ روسيا واليونان

تحالف روسي يوناني لضرب

الوجود الاسلامي

تشير التطورات التي تشهدها منطقتا آسيا الوسطى والبلقان إلى أن هناك خططاً تدبرها الدوائر الاستكبارية لاحتواء الطموحات لدى المسلمين هناك عقب انهيار الاتحادين السابقين السوفيتي واليوغسلافي، حيث بدأت تظهر في الأفق محاور جديدة بدائل للقوى السابقة، وهما الاتحاد السلافي الجديد في آسيا الوسطى، والحلف الارثوذكسي الجديد في البلقان.

والهدف من بروز هذين الحلفين هو إذلال المسلمين في هذه المناطق، ومنعهم من إقامة أي كيان إسلامي مستقل لهم، من خلال التعاون المشترك لمواجهة الخطر الاسلامي في البلقان

أحلام ١٠ ملايين مسلم كانوا من مواطني الدولة العثمانية. وقد اعترف «يلتسين» بهذه الاتفاقيات عندما وجّه إليه أحد الصحفيين سؤالاً عنها.

وتقوم بطريكية «فنار الروم» الأرثوذكسية في اسطنبول بالعمل في خدمة الأهداف اليونانية. وقد قام البطريك «فارثولومبوس» بزيارة «موسكو» دون إعطاء توضيحات حول الزيارة، مما أدّى إلى شعور الخارجية التركية بالاستياء من هذه الزيارة التي جاءت في ظلّ معلومات واتفاقات تشير إلى تبلور محور أرثوذكسي روسي يوناني لمنع أي تقدّم لتركيا في البلقان أو آسيا الوسطى.

كما قرّرت روسيا إقامة اتحاد سلافي جديد يضمّ روسيا وأوكرانيا وروسيا البيضاء، وسوف يعلن عنه، واشترط على دول آسيا الوسطى وهي الجمهوريات الإسلامية المستقلة «تاجكستان، أوزبكستان، قيرغيزيا، تركمانستان، كازاخستان، وأذربيجان» لكي تدخل

وآسيا الوسطى. حيث تمّ الاتفاق بين روسيا واليونان على ثلاث اتفاقيات بهذا الشأن تتضمّن ١٢ مادة.

وتتضمّن تلك الاتفاقيات تقسيم البوسنة والهرسك لمحاصرة المسلمين من جميع الجهات، وقيام روسيا باستخدام حق النقض «الفيتو» ضد رفع الحظر التسليحي عن البوسنة، وإقامة محور لمواجهة الخطر الاسلامي في البلقان وآسيا الوسطى، وزيادة التعاون بين الكنائس الارثوذكسية.

وتشير المعلومات المحصّلة إلى أن الجبهة الارثوذكسية الجديدة ستكوّن في كل من روسيا حامية حمى الارثوذكس تاريخياً، واليونان، وصربيا الكبرى، وأرمينيا، وقبرص اليونانية. وتهدف هذه المساعي إلى الحيلولة دون ظهور أي دولة مسلمة في أوروبا.

وقد وصفت زيارة الرئيس الروسي «يلتسين» إلى اليونان بهذا الخصوص بأنها اتفاق أرثوذكسي جديد في البلقان، للحد من النفوذ التركي، والقضاء على

كالجمهورية الإسلامية في إيران، ومع دول آسيا الوسطى التي يقطنها المسلمون، ذلك أن المقومات الوطنية في هذه الدول تقوم على أساس الإسلام.

وفي هذا الإطار قال النائب الروسي «فيكتور كوبولوف» وهو من زعماء الحزب الليبرالي الديمقراطي: إنه توصل بعد دراسة وافية للقرآن الكريم والتاريخ الإسلامي إلى أن العالم الإسلامي يتحلى باليقظة والوعي.

وأضاف: أنه كان ينظر بشكل سطحي إلى الإسلام سابقاً، لكنه اليوم يكتن لهذا الدين احتراماً عميقاً بعد أن عمق دراسته للإسلام.

وكان «فيكتور كوبولوف» قد تنحى عن الحزب المذكور بسبب خلاف حاد مع «جيرينوفسكي» الذي وصفه بأنه «غوغائي يتدخل في شؤون الدول الأخرى».

الاتحاد الاقتصادي أن تخرج من منظمة «أكو» التي تضم إيران وتركيا وباكستان وأفغانستان، إضافة إلى دول آسيا الوسطى.

صحيفة روسية تحذر موسكو من مواجهة الإسلام

حذرت صحيفة «نزاوسيسما غازتا» الصادرة في «موسكو» روسيا من الانجرار وراء الغرب للتصدي للإسلام ومحاربة المسلمين، وقالت: إن الأصولية الإسلامية لا تشكل خطراً على روسيا.

وقال كاتب المقال: لقد ارتسمت في أذهان الرأي العام الغربي انطباعات عدائية مفتعلة عن العالم الإسلامي، وهناك محاولات محمومة لخلق مثل هذا الانطباع في روسيا. وأضاف: إن تورط روسيا في هذه الحالة يعني موتها ودمارها، إذ إن اتباع روسيا لنهج الغرب في عدائه للإسلام ربما عكّر علاقات موسكو مع دول إسلامية مهمة

■ ألمانيا

في ألمانيا يقرب من ١,٧ مليون مسلم،
معظمهم من الأتراك.

■ فرنسا

تجدد الحملة ضد الحجاب

أضرب المدرسون في إحدى
المدارس الفرنسية المتوسطة عن العمل
احتجاجاً على ارتداء أربع فتيات
مسلمات الحجاب. وقال المدرسون
المضربون في بيان لهم: إن ارتداء
الحجاب يهدّد حرية الطلبة، ويعرّض
أمنهم للخطر خلال حصص العلوم
والطبيعة، ويعدّ تفرقة ضدّ الفتيات
وشكلاً من أشكال التمييز العنصري.

وينتمي المدرسون المضربون
وعدددهم ٣٦ مدرساً من أصل ٤٨ إلى
مدرسة «زافير بيشا» في مدينة «نانتو»
الواقعة على بعد ٤٥٠ كيلومتراً جنوب
«باريس». ويقدر عدد الطلبة المسلمين
في هذه المدرسة بربع العدد الكلي
لطلابها.

الهجوم على مساجد المسلمين

شنت جماعة عنصرية هجوماً على
مساجد مدينة «دار مشتات» الألمانية
وضواحيها. وأفاد تقرير الشرطة في
المدينة أن مجهولين أثاروا الضوضاء في
أحد المحال التي يقطنها المسلمون
الأتراك، كما قاموا بقذف مسجد المحلّة
بالحجارة، مما سبب إزعاجاً ورعباً
لأهالي المنطقة.

وقد عثرت الشرطة لدى وصولها
مكان الحادث على رسالة عند باب
المسجد هدّد فيها المعتدون بأنهم
سيقومون بالهجوم على المسلمين أثناء
صلاة الجمعة.

وبضيف تقرير آخر للشرطة أن
اعتداءً آخر حصل على مسجد إحدى
ضواحي المدينة بعد ساعة واحدة من
الاعتداء الأول، وقد ترك المعتدون رسالة
تهديد مماثلة في باب المسجد كتبت
باللغة التركية.

ومن الجدير ذكره أن عدد المسلمين

«لويونن» موضوعاً تحت عنوان «الديانة الثانية في هذا البلد» أشارت فيه إلى وجود أربعة ملايين مسلم ومئات المراكز الاسلامية في فرنسا.

وأشار كاتب المقال الى أن الدستور الفرنسي الحالي لا يمكنه الحيلولة دون النمو الاسلامي في فرنسا، مقترحاً استبدال الدستور بقوله: علينا- واعتماداً على أسس العلمانية وثوابت الجمهورية - أن ندافع عن هويتنا الوطنية، فليس بوسعنا - بذريعة حبّ الناس كافة - السماح لانتهاك حقوق الانسان في فرنسا التي أقرت وطُبقت عبر القوانين والتقاليد منذ ألفي عام.

وأضافت الصحيفة قائلة: إن العقبة الرئيسية في الطريق هي الاسلام، فالقرآن يقدّم نوعاً من الانظمة الاخلاقية والاجتماعية التي تكبل الحريات، فليس عبثاً أننا لا نرى في العالم الاسلامي بلداً ديمقراطياً ومتقدماً.

ووفق تقرير الصحيفة فإن هناك أكثر من ٨٩٠ جمعية ومنظمة إسلامية في

ويشكّل الموقف تجدد حملة تستهدف الهجوم على الاسلام في فرنسا، خاصة بعد أن أصبح الاسلام الدين الرسمي الثاني في البلاد، حيث بلغ عدد المسلمين أربعة ملايين نسمة. وقد طالب النائب الاشتراكي الفرنسي «جورج فريش» الذي هو عمدة مدينة «مونبيلييه» بجنوب فرنسا منذ عامين، بأن يتخلّى المسلمون عند تعدّد الزوجات، وألا ترتدي نساؤهم الحجاب الاسلامي. يذكر أن الحملة على المحجبات قد

أثارت ضجة كبيرة عام ١٩٨٩م عندما حظر المسؤولون في إحدى المدارس ارتداء الحجاب داخل الصفوف بحجة أن القانون يحظر الانشطة الدينية في المدارس الحكومية، ويأتي تجديد الحملة وسط الشكوك حول مقدرة فرنسا على استيعاب أربعة ملايين مسلم.

قلق الصحافة الفرنسية من

النمو الاسلامي

كتبت الصحيفة الاسبوعية الفرنسية

فرنسا، إضافة إلى ١٢٧٣ مسجداً ومصلياً، منها ٣٦٠ في العاصمة باريس وضواحيها. بينما لم يتجاوز عدد أماكن العبادة عام ١٩٧٠م ٣٣ مكاناً، وقد تزايد تأسيس الأماكن الدينية الإسلامية بعد قيام الجمهورية الإسلامية في إيران، وتنامي نشاط الحركات الإسلامية.

* * *

■ الصين

المسلمون الصينيون في

مواجهة القمع

أثارت الاضطرابات والاحداث التي شهدتها مؤخراً اقليم «كسينيانغ» الصيني اهتمام وسائل الاعلام الدولية، ووجهت الانظار من جديد تجاه أوضاع المسلمين في الصين، والمعاناة التي يعيشها المسلمون من جراء عمليات الاستيطان التي تنتهجها حكومة «بكين» والتي نتج عنها جعل المسلمين أقلية ليس على امتداد الصين فحسب، بل حتى في أرضهم.

إن من أبرز أسباب ودوافع حرص «بكين» للاحتفاظ والسيطرة على اقليم «كسينيانغ» او «تركستان الصينية» هو الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية لهذا الاقليم الذي تبلغ مساحته نحو ١٦٤٧٠٠٠ كيلومتراً مربعاً، ويحتوي على نحو ١٢٠ نوعاً من المصادر المعدنية من أصل ١٥٠ نوعاً موجودة في جميع أرجاء الصين، ومنها الرصاص والزنك والاورانيوم إضافة إلى البترول.

وقد تدهورت بيئة الاقليم بسبب التلوث الكبير الحاصل من استخدام الصين الاقليم ساحة للتجارب النووية، حيث يعاني السكان من مشاكل خطيرة منها ارتفاع معدل الاصابة بالسرطان، وازدياد حالات التشوه.

إضافة إلى ذلك، فإن اقليم «كسينيانغ» هو نافذة هامة على مختلف دول آسيا الوسطى، والعديد من الدول الإسلامية، وتسعى «بكين» للاستفادة من موقعه من أجل تكثيف الصلات التجارية مع هذه الدول.

جامعة «كسينيانغ» الذي فصل من عمله وتعرض للاضطهاد بسبب نشره كتاباً عن الحضارة الاسلامية، ولكن الكتاب انتشر رغم ذلك بين أوساط الناس سرّاً.

ونقلت «اللوموند» مؤشرات حول تنامي روح التدين والعودة إلى الاسلام في الاقليم، منها المظاهرة التي قام بها المسلمون في الاقليم عام ١٩٨٤م في مدينة «إيلي» احتجاجاً على صدور رواية تسيء إلى المسلمين. ونشرت صورة لمسجد مدينة «كاشغر» وصورة بعض المصلين في طريق عودتهم إلى منازلهم بعد أداء فريضة الصلاة في المسجد، ونشرت تعليقاً تحت الصورة يقول: «المسجد الاكبر في كاشغر، عقيدة وثقافة حية دائماً».

«ماو» يدعو للاسلام

نشرت صحيفة اللواء الاردنية في عددها (١٠٦٩) مقالاً تحت عنوان «ماو يدعو للاسلام» للكاتب «محمد

ويشهد الاقليم المسلم حركة إسلامية شعبية تتجه نحو الانفصال والاستقلال عن «بكين»، إلا أن الصين تقوم بإجراءات قمعية لمنع أية حركة انفصالية، ولكبت الانشطة الدينية، ومن تلك الاجراءات تمركز عدة جيوش صينية، الامر الذي يقلق كازاخستان المجاورة.

ومن أبرز حملات القمع ضد المسلمين تلك التي جرت خلال التاريخ بعد احتلال الصين للاقليم، ومنها الحملات الوحشية عام ١٨٧٣م في عهد سلالة كسينغ، وعام ١٩٣٣م وعام ١٩٤٧م في عهد ماوتسي تونغ.

وقد مارست سلطات «بكين» قديماً وحديثاً سياسة القمع ضد الاقلية الاسلامية، وهو ما أشارت إليه منظمة العفو الدولية في تقريرها الصادر في ١٣ تشرين الثاني ١٩٩٢م، والذي أظهر عمليات الابداء والقمع التي ينتهجها النظام الحاكم منذ عام ١٩٨٩م. وذكر التقرير حادثة استاذ في معهد التاريخ في

نورالدين» ردّ فيه على حديث للدكتور «نبيل شعث» الذي قلب الحقائق في حديثه خلال مؤتمر «آفاق المستقبل العربي في عالم متغيّر» حيث جاء في كلام الدكتور «شعث» أن الصراع بين الايديولوجيات قد انتهى، وينكر أن يكون هناك صراع في المستقبل بين الحضارة الغربية والحضارة الاسلامية [إن كان ثمة حضارة غربية] وهو ما يصطّلع عليه بصراع الحضارات.

ومما جاء في مقال الكاتب ردّاً على حديث «شعث» قوله: يحضرني موقف أحد زعماء العالم الذي حاول لفت نظر منظمة التحرير الفلسطينية - منذ بداية انطلاقتها - إلى مفاهيم الكتلة، وموقع الثورة الفلسطينية في الكتلة الاسلامية.

فقد كان أحد عناصر القيادة الفلسطينية في المنظمة على رأس أول دورة تدريبية في الصين، وعندما وقف أمام «ماوتسي تونغ» مودّعاً وشاكراً، أكّد بأن المنظمة تسير على خطى «ماو» لتحرير فلسطين، إلّا أن هذه الملاحظة

أثارت حفيظة «ماو» حيث قال: إن الطريق إلى فلسطين يمرّ من طريق النبي محمد ﷺ، طريق الكتلة الاسلامية وليس من طريق «ماو». وأضاف أنه هو شخصياً يسير على الكثير من خطى النبي محمد ﷺ.

* * *

■ البوسنة

الزامية اللغة العربية في المدارس
ذكر نائب رئيس جمهورية البوسنة والهرسك أن اللغة العربية أصبحت إلزامية في مدارس بلاده، وطلب من المنظمة الاسلامية مساعدة الجهود التي تبذلها حكومة البوسنة والهرسك في هذا المجال.

من ناحية أخرى أعرب نائب الرئيس البوسني عن تقدير حكومة بلاده للقرار الذي أصدره المجلس التنفيذي للمنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة، والقاضي بإنشاء «وحدة سراييفو» بـ (الاسيسكو) لتعنى بدعم الشعب

من أنباء القرني

وقالوا: إن القرآن الكريم يدعو إلى
التفرقة والكراهية في المجتمع الهندي،
وتماذوا في افتراءاتهم فقالوا: إن الانسانية
مهتدة بسبب الاسلام الذي لا يرحم
الفئات الكبيرة من أتباعه كالأحمديين
والقاديانيين وغيرهم.

وطالب المتطرفون بتعديل الدستور
الهندي مع أخذ هذه الامور بعين
الاعتبار، ووضع النصوص القادرة
صراحة على تحريم تداول القرآن، ومنع
الدعوة للإسلام في الهند، ومن ثم إلغاء
الاعتراف بالاسلام ديانة رسمية هناك.

■ تايلند

المسلمون يطالبون بالحكم الذاتي
تسعى الحكومة التايلندية إلى تغيير
الطبيعة السكانية للمناطق الاسلامية في
جنوب تايلند عن طريق الاستيطان من
قبل التايلنديين البوذيين. ويطالب
المسلمون في جنوب تايلند بحقوقهم
الشرعية والحكم الذاتي لأقاليمهم،

البوسني تربوياً وعلمياً وثقافياً من أجل
المحافظة على هويته الثقافية الاسلامية،
واتمائه الحضاري الاسلامي.

■ الهند

الهندوس يطالبون بحظر تداول
القرآن الكريم

تقدّم عشرات من المتطرفين
الهندوس بدعوى قضائية أمام محكمة
التمييز في نيودلهي لاستصدار حكم
قضائي يقضي بحظر تداول القرآن
الكريم بين صفوف مسلمي الهند.

وقال المتطرفون الهندوس في ورقة
الدعوى: إن هذا الكتاب - أي القرآن
الكريم - يعرض حياة وممتلكات
الهندوس للخطر، لأنه يعرض المسلمين
على محاربة غير المسلمين - على حدّ
دعواهم - وأخذ أموالهم غنائم. وقد
استشهد هؤلاء الجهلة بالآية الكريمة:
﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا
الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾.

ويسعون لتحقيق هذا الهدف منذ خمسين عاماً.

ويشكّل المسلمون أغلبية في ١٤ محافظة وعدّة مناطق أخرى من جنوب البلاد، وهم من أصل ماليزي وأندونيسي.

وكان جنوب تايلند في السابق بأكمله سلطنة ماليزية إسلامية، ويتراوح عدد المسلمين في تايلند بين ٦ إلى ٧ ملايين نسمة. والذين يعيشون في الشمال والوسط منهم يتكلمون اللغة التايلندية وهم من أصل تايلندي، أما أهل الجنوب فيتكلمون لغة الملايو.

■ اليمن

الوهابيون يحتلون مسجداً

لم ترق حالة الصفاء والوثام التي تسود المسلمين من مختلف المذاهب الإسلامية، فاخترأوا العاصمة اليمنية «صنعاء» هذه المرّة لتكون هدفاً لممارسة أعمال التفرقة. فقد أقدم أتباع

الوهابية هناك على احتلال مسجد «البهمة» الكائن في شارع «جمال» في العاصمة «صنعاء».

وانطلاقاً من نظرتهن العدائية حذفوا من الأذان فقرة «حي على خير العمل» ولم يجهرأوا بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ واستخدموا لذلك أسلوب القوة كما هي عادتهم وبسبب اعمالهم وممارساتهم العدوانية هذه فقد وقعت الفتنة بينهم وبين المسلمين اليمنيين، واشتبك الطرفان، وحدث الطعن بالخناجر وإطلاق الرصاص داخل المسجد.

ونظراً لخطورة العمل الذي قام به الوهابيون وانعكاساته السلبية على العلاقات بين مختلف المذاهب الإسلامية فقد قامت السلطات اليمنية بتطبيق الحادث، ولا يعرف ما إذا قتل أحد أم لا، ولكنه ألقى بظله المأساوي على الوضع هناك.

■ التشيك

الاحترام والاحساس الديني لأبناء بلاد التشيك الجميلة في مناطق بوهيميا ومورافيا وسلوفاكيا وإبعادهم عن دينهم وعن الكنيسة.

وأوضح المواطن التشيكي: أن الشياطين يأتون إلينا عبر «إدارة تلفزيون براغ» الذين ينقلون إلينا من بلد الشيطان الأكبر «أمريكا» بلد الشر والفساد والجريمة. وأضاف: إن أفلام العنف الكثيرة التي يعرضها تلفزيون «براغ» تشوّش فكر المشاهد وتطبع في ذهنه أفلام الجريمة والسطو والقتل فقط.

* * *

■ الباكستان

استشهاد أحد زعماء حركة تطبيق الفقه الجعفري في البنجاب قام مسلّحون مجهولون بإطلاق عيارات نارية على نائب رئيس حركة تطبيق الفقه الجعفري «السيد جمال» في ولاية البنجاب الباكستانية مما أدّى إلى استشهاد.

مواطن تشيكي يعرب عن شكره لموقف الجمهورية الاسلامية في ايران أزاء فيلم يسيء

للسيد المسيح ﷺ

أعرب مواطن من جمهورية التشيك عن تقديره لموقف الجمهورية الاسلامية في ايران أزاء الفيلم الأمريكي التجديفي الذي يسيء للسيد المسيح ﷺ.

وخطب المواطن التشيكي في رسالته السفير الايراني في براغ قائلاً: اسمحوا لي يا سعادة السفير أن أعرب لكم عن تقديري لقيادة الجمهورية الاسلامية في إعلان معارضتها الشديدة لهذا الفيلم ووقوفها إلى جانب الموحّدين باعتباري أحدهم.

وأضاف: إن تلفزيون «براغ» تجاهل الاشارة إلى هذا الموضوع عن عمد، ذلك أن إدارة هذه المؤسسة تخضع لأناس دأبوا على محاربة المواطن التشيكي. إن بتّ هذه الأفلام يهدف في الواقع إلى القضاء التدريجي على

وقالت مصادر في النهضة الجعفرية في «لاهور»: إن «السيد جمال» استشهد أمام منزله في مدينة «خانپور». وعقب انتشار هذا الخبر قامت الجماعات الشيعية بتظاهرات طالبت فيها حكومة البنجاب باتخاذ التدابير اللازمة للقبض على مرتكبي الجريمة.

وأدان العلامة السيد «ساجد علي النقوي» زعيم الشيعة في الباكستان هذا الاغتيال الاجرامي، وطالب الحكومة بالقضاء على أيادي الجريمة في أسرع وقت. وأكّد على ضرورة وحدة المسلمين، مشيراً إلى أن هذه العمليات تهدف إلى زرع الفرقة بين المسلمين.

* * *

■ العراق

الهجوم على أهوار الجنوب

والحشود في الشمال

عمل النظام البعثي المتسلط على العراق منذ بداية تسلطه على القضاء على الشعب العراقي وتدمير جميع

طاقاته الفكرية والعلمية والاقتصادية والعسكرية، ولم يترك فرصة ولا ساحة إلا واستغلها لتحقيق نواياه ومخططاته التي ما هي إلا تنفيذاً حقيراً لما يمليه عليه أسياده المستكبرون الذين جاءوا به إلى السلطة.

والممتع لواقع هذا النظام ومسيرته طوال سنوات حكمه التي قاربت الثلاثين سنة يجد أن هذا النظام إنما جاء لهذا الغرض، وبالاخصصوص القضاء على الأغلبية من أبناء الشعب المتمثلة في أتباع أهل البيت عليهم السلام، والذين لهم الدور الأكبر في الساحة العراقية على كافة الأصعدة.

وأول عمل قام به النظام المجرم هو توجيه ضربه إلى المرجعية الدينية في النجف الأشرف من خلال الحملات المسعورة التي كان يشنها ضدها عبر الاتهامات، ومن ثم الاعتقالات والتعذيب الوحشي، حتى وصل الأمر إلى إعدام ثلثة من العلماء المجاهدين وعلى رأسهم الشهيد الامام السيد محمد



باقر الصدر رحمته الله الذي كان يمثل قمة الفكر الاسلامي في عصرنا الحاضر.

وما الحربان الشريستان اللستان خاضهما النظام المجرم إلا حلقتان في سلسلة المؤامرة المرسومة لهذا الغرض، فالحرب العراقية الايرانية كان الهدف الاول والأخير لها هو القضاء على الشيعة سواء في العراق أو في الجمهورية الاسلامية في إيران، والحرب الثانية التي حاكمتها الايدي الاستكبارية بالتنسيق مع أذنانها ما هي إلا خطوة أخرى على هذا الصعيد لكسر شوكة الشيعة بالخصوص والقضاء عليهم.

وظل النظام الكافر يواصل نهجه الظالم والعدواني ومطاردته لأتباع أهل البيت حتى وصل به الأمر إلى ضرب وتدمير العتبات المقدسة التي هي أضرحة ومشاهد أئمة أهل البيت عليهم السلام وذلك خلال الانتفاضة التي حدثت في العراق في أعقاب الحرب الامريكية العراقية المفتعلة.

إن هذه الممارسات جعلت الكثيرين

من أبناء الشيعة يلوذون بالأهوار لتأمين الحماية لأنفسهم من مطاردات النظام وأزلامه، ولقد قام النظام بشن الكثير من الحملات والهجمات الشرسة للقضاء عليهم، وكانت جميعها تبوء بالفشل نتيجة لوعورة المنطقة وسعتها وطبيعتها التي تمكّن الناس من الاختفاء بعيداً عن وسائل النظام الاجرامية. وكذلك بفعل المقاومة العنيفة والصمود والاستبسال الذي كان يبديه المجاهدون ضد هجمات النظام التي كانت تكلفه الكثير من أزماته وأدواته الحربية.

وكذلك فإن الحصار الاقتصادي المفروض على أبناء الشعب العراقي عموماً وأبناء الشيعة خصوصاً هو وسيلة أخرى من الوسائل الخبيثة والديثة التي يمارسها النظام بالاتفاق مع أسياده لاذلال الشيعة وتجويعهم وإبادتهم.

وكل هذا يجري وعيون النظام الدولي الجديد مفتوحة على مصراعيها ترى ما يحدث في المنطقة بل وتشجع النظام على التمدادي والاستهتار بالقيم

المدفعية الثقيلة. واستخدم في الهجوم الاسلحة الكيماوية وقنابل النابالم الحارقة التي أحرقت العشرات من القرى بما فيها من سكان وممتلكات وحيوانات. وقد كانت المحاور التي تحرك فيها الجيش كالآتي:

- ١ - البصرة: من جهة صليّ وأبو سوباط، والسيطرة على طريق المدينة الجبايش من قبل قوات الجيش العراقي.
- ٢ - العمارة: تم الهجوم من منطقة أبو عشرة التابعة لناحية السلام ومنه الى الصيگل - الجدي.

وفي محور آخر تم الهجوم من منطقة أبو صبور التابعة لناحية العدل ومنها إلى أبو شذر والخيوط والگبور.

- ٣ - الناصرية: بدأ الهجوم من منطقة أبو سوباط الواقعة بين محافظتي البصرة والناصرية، ومن ثم تم التقدّم باتجاه منطقة البغدادية.

وقد تم خلال الهجوم الواسع تدمير العشرات من القرى وحرقتها بالكامل، وقتل وجرح المئات من الاهالي العزل

والموازين الانسانية والأخلاقية. وأخر حلقة في هذا السبيل هو الهجوم الذي شنته قوات النظام في منطقة الاهوار خلال شهر رمضان المبارك، وهي مؤامرة بالاتفاق بين النظام والاستكبار ينفذها من أجل القضاء على الشيعة مقابل وعد له برفع الحصار عن العراق، وهذا ما أكّده رئيس النظام المجرم صدام حسين عندما خرج ليظهر بمظهر المهدد لأمريكا بعد وقوع الهجوم مباشرة برفع الحصار عن العراق لأن العراق قد وفى لأمريكا بكل شروطها وبجميع ما طلبته منه على حد تعبير الطاغية صدام.

فقد شنت عدّة فرق من الجيش العراقي هجوماً واسعاً على منطقة الاهوار في جنوب العراق حيث يسكن الشيعة، وكان الهجوم مدمراً استخدمت الفرق المشاركة فيه كافة الوسائل والاساليب القتالية، وشاركت فيه فرق مدرّعة وفرق مشاة إضافة إلى فرقة من الحرس الجمهوري تسندها كتائب

الابرياء، بينما نقل من تم القاء القبض عليهم إلى المعتقلات بما فيهم من نساء وأطفال. كما قام المهاجمون بسرقة ونهب كل ما يمتلكه الأهالي من حلي وأموال ومواد غذائية. وتم إعدام الكثير من الشباب وتعليقهم على مدافع الدبابات التي كانت تسحق تحت «زناجيرها» جثث الضحايا.

وأكد بعض القاديين من داخل المنطقة أن الكثير من البيوت قد أضرمت فيه النيران، وفرّ من تمكّن من الأهالي إلى داخل وعمق الاهوار التي أصبحت صحراء بعد عمليات التجفيف، حيث يعيشون بلا مأوى ولا طعام ولا ماء، بسبب الطرق الحديدي والحصار الذي فرضته القوات المجرمة على المنطقة.

وقد أكدت النائبة البريطانية «ايمانيكولسون» أن الجيش العراقي شن هجومه على الأهوار باستخدام قنابل النابالم والقنابل الفوسفورية، وقالت خلال مؤتمر صحفي: إن الكثير من شهود العيان تحدّثوا عن استخدام قنابل

النابالم ضد الشيعة في الاهوار وخصوصاً في شمال الاهوار في محافظة العمارة. من جهة أخرى، صرّح أحد المسؤولين العسكريين في الادارة الكردية العراقية التي تسيطر على منطقة كردستان شمال العراق أن حشوداً عسكرية كبيرة للقوات العراقية شوهدت بالقرب من الخط الفاصل إلى الجنوب من خط العرض ٣٦ الذي اعلنته قوات التحالف منطقة آمنة في شمال العراق.

ورأى عدد من مسؤولي الاحزاب الكردية أن نظام صدام حسين يسعى إلى تحويل أنظار الشعب العراقي عن الظروف السياسية والاقتصادية الرديئة وإلى إلهاء الجيش بصراعات داخلية لابعادهم عن التفكير بالواقع السيء الذي يعيشونه.

واستبعد مسؤول كردي فكرة أن يشن الاكراد هجوماً على الجيش العراقي قبل بدء الجيش بشنّ هجومه، وأشار إلى أن الحلفاء أكدوا لهم أنهم لن يتدخلوا في حال تبيّن أن الاكراد هم البادئون

بالهجوم.

وقال مساعد وزير الخارجية «أوزجم سبرك» في أعقاب اجتماع رباعي ضمّ عدداً من كبار موظفي وزارات خارجية تركيا وفرنسا والولايات المتحدة وبريطانيا: إن الشركاء الاربعة اتفقوا على ضرورة تمديد مهمة القوة المتعددة الجنسيات المتمركزة في تركيا لمراقبة شمال العراق، ذلك أن «الظروف لم تتحسن بعد في المنطقة».

وأضاف المسؤول التركي: أنهم اتفقوا أيضاً على أن مهمة القوة المتعددة الجنسيات «لا يمكن أن تدوم إلى الابد».

■ اندونيسيا

رحيل السيد حسين الحبشي
خسر العالم الاسلامي عالماً فذاً وشخصية ربانية متميزة بمواقفها الجهادية والفكرية في سبيل نشر الاسلام المحمدي الأصيل وخط أهل

البيت الكرام عليه السلام. فقد ارتحل إلى الملكوت الأعلى السيد حسين الحبشي العالم الاندونيسي الكبير في منطقة «بانغيل» الذي شهد تاريخه عدة اعتقالات على أيدي منائويه والمسؤولين في السلطات الامنية بسبب مواقفه الجريئة في سبيل الحق.

وللفقيد الراحل مجموعة كبيرة وقيمة من المؤلفات التي أثبت فيها أحقية مذهب أهل البيت عليه السلام وأصالة مدرستهم، ودافع بكل صراحة عن الفكر الذي ينتمي إليه والخط الرسالي الذي ينتهجه. وقد أقيم مجلس الفاتحة على روحه الطاهرة ليلة الجمعة ٧/ شعبان /

١٤١٤ هـ المصادف ٢٠/ كانون الثاني / ١٩٩٤م في مدينة قم المقدسة، كما قرئت الفاتحة للفقيد خلال المؤتمر الاول للهيئة العمومية للمجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام الذي عقد في طهران عاصمة الجمهورية الاسلامية في ايران من الفترة ١٥ - ١٨ / شعبان / ١٤١٤ هـ.

قِرَاءَةٌ فِي مَجَلَّةِ رِسَالَةِ الثَّقَلَيْنِ

صَحِيفَةُ اللُّوَاءِ الْاُردُنِيَّةِ

من خلال الاهتمام والمتابعة الجديّة لمجَلَّة «رسالة الثقلين» تصل إلينا هذه التّقويّيمات والاقتراحات التي تعبّر عن مدى التلاحم مع المجلة والسعي الصادق للوصول بها إلى أرفع المستويات لتكون قادرة على بلوغ الطموح واحتلال موقعها المتميّز. وفي هذا العدد ننشر ما كتبه صحيفة اللّواء الاردنية في عددها ١٠٦٧ الصادر في ٢٧ / ربيع الثاني / ١٤١٤ هـ من قراءة في المجلة وتقييم لدورها الرسالي.

«التحرير»

نحو مزيد من الحوار والتقارب واحياء الفكر

لقد أضافت مجلة «رسالة الثقلين» منهجا جديدا إلى فكرنا الاسلامي المعاصر، واستطاعت بجهود مخلصّة ومميّزة ان تضع خطاها الثابتة على ارض الدعوة الاسلامية من خلال تناولها الفريد لحزمة من قضايا الشقافة والفكر، وتحليلها العميق لجملّة من التحديات التي تواجه العقل المسلم وفق رؤية علمية معاصرة، قائمة على المنطق والدليل، والنص الشرعي البعيد عن التطرّف والمغالاة.



ومحاولة التوفيق والتقريب بين المذاهب، واستكشاف جوانب العظمة في هذا الدين الحضاري تمهيداً لبلوغ الشهود والتمشي مع حركة التاريخ التي تؤذن بنصر الله لعباده المؤمنين.

وإذا كان المشرفون على إعداد هذه المجلة وتبويبها وإخراجها قد بذلوا من الجهد ما يجعلنا نقف باعتراز أمام كثير من الطروحات والحوارات والدراسات، فإن الطريق كما يبدو أمام المجلة نحو تصوّر أشمل ورؤية أكثر عمقاً ما زال بحاجة إلى جهود الكثيرين من العلماء والفقهاء والمفكرين في عالمنا الاسلامي، إذ لا يمكن لعدد من الافراد مهما أوتوا من العلم والعمل والاخلاص أن يضطلعوا بهذه المهمة لوحدهم، ولعل هذا ما أدركته المجلة حين أفردت في صفحاتها الاخيرة عدداً من التساؤلات التي تفتح باب الحوار من أجل تأصيل إسلامي أكثر، ومن أجل معالجة أفضل لقضايا المعرفة الانسانية والدينية وشؤون الاسلام والمسلمين.

لقد تمهّدت مجلة «رسالة الثقلين» بالعمل والممارسة على العناية بإحياء المعارف الاسلامية من منبع الثقلين كتاب الله وسنة وعمل رسوله وآل بيته، والدفاع عنهما وفق خط أهل البيت الاطهار، الذين تعرّضوا لفنون كثيرة من الارهاب الفكري والحرمان الاقتصادي والاضطهاد السياسي، لا شيء إلا لأنهم حملوا فكر رسول الله وعاشوا قيم أهل بيته واتبعوا منهج عترته المصطفاة، ولكنهم دفعوا بصدر رحب ثمن ذلك فكراً وقيماً ومنهجاً مؤسسين في ذلك مدرسة الاسلام الفكرية التي سارت عليها مجلة «الثقلين» في توجهاتها نحو مزيد من الحوار والمعرفة وإحياء مفاهيم الجهاد والاجتهاد والدعوة إلى الوحدة الاسلامية الشاملة، وفضح المخططات الاستشراقية والغزوات التي تستهدف فكرنا وديننا نحو بناء الانسان المسلم وتأسيس مجتمعه على أسس من العلم والمعرفة والنصوص الدينية الثابتة.

إن على «رسالة الثقلين» التي ولدت في هذا العصر المليء بالغموض والتزاحم

قراءة في الأعداد الماضية

الحضاري، وفي هذه المرحلة التي تشهد مزيداً من الاستلاب والغزو الفكري وتغيّر الإيديولوجيات، مثلما تشهد بداية صحوة إسلامية واعدة إن شاء الله تعالى، إن عليها واجباً كبيراً لاعادة بناء مدرسة الاسلام الفكرية الاصيله على أسسها الإلهية التي تستقي معارفها من علوم النبي وآل بيته الكرام امتداداً طبيعياً للمدارس التي أقامها الصابرون الفاتحون من صحابة رسول الله وعترته على امتداد تاريخنا الاسلامي، وذلك لإحياء الدور الذي بدأه في انقاذ الانسانية من رجسها وضلالها ورفعها إلى حيث المنهج الاسلامي القادر على الأخذ بيدها نحو العدل والمساواة والكرامة.

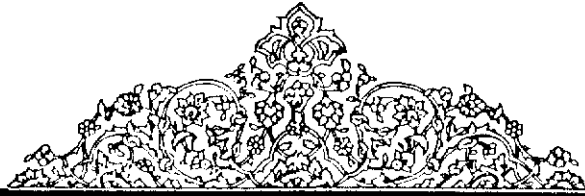
ومع أن المجلة كما قلنا ما زالت من خلال قراءتنا للأعداد الاولى الصادرة التي توقّرت في بداية الطريق ولكن بخطى ثابتة مؤمنة، وبجهد ملموس، لا سيما في الاخراج الفني والخطوط والجوانب الادبية، وكذلك الإحاطة بآراء وأفكار الفرق الاسلامية الأخرى، لا سيما وهي تدعو إلى التقارب والوحدة، ومع ذلك كله فإن التقييم الحقيقي لهذا الجهد الكبير سيحتاج من الدارس إلى وقت أكبر ودراسة أشمل ورؤية أوضح لكثير من الابواب والدراسات والحوارات والمقالات التي أضافت إلى فكرنا الاسلامي جوانب أخرى من العلم والمعرفة والعمق والوضوح.

لقد تضمّنت المجلة في فهرسها عدداً من القضايا والافكار التي امتازت بالتنوع والمساس المباشر بالحياة والواقع الاسلامي وما يفرضه عليها من إشكالات وتحديات وآمال، فثمة دراسة عن الاستشراق والاسلام وعن الثورة الثقافية وبناء الأمة. وثمة تقرير عن المجمع العالمي لاهل البيت، وهناك مناقشة لندوة على أساس ومناهج التقريب بين المذاهب الاسلامية.

وفي الجانب الادبي خصصت المجلة صفحات عن الشعر والخاطرة والتراث، ومهما يكن فإن ثمة ابواباً أخرى قد تبدو بحاجة إلى مزيد من العناية لا سيما الابحاث المقارنة وانباء المسلمين والاعتماد على الشمولية في المصادر والمراجع وعدم

الارتكاز على جانب فكري أو مذهبي واحد لا سيما وقد قلنا ان منهج المجلة يقوم على التقريب والوحدة والشمول.

وبعد، فإن مجلة «رسالة الثقلين» هذه الشجرة الواعدة بالخير السائرة على طريق الله في الدعوة والحوار، في الفكر والطرح تمثل ولادة مباركة لنتاج اسلامي رفيع، وجهد مخلص، فهي رسالة الاسلام المعاصر إلى العالم وهي المندوب الواعي للعقل المسلم نحو مواجهة حقيقية مع ذاته، واستشراف جديد لحاضره ومستقبله واحياء اعمق لتاريخه الاسلامي، ودور الصحابة من آل بيت المصطفى في ريادة وقادة الامة، لتحقيق شهودها وتبوء مكائنها التي تليق بها في هذا العالم، بالحوار والمنطق والعلم والايمان.



قَالَ اللَّهُ مَعْ عَلَى عَبْدِكَ :
هَلْ كُنْتُمْ مَعَهُ فِي سَبِيلِهِ
وَلَا تُعْبِدُونَ مِنْ دُونِهِ

نهج البلاغة / القول ٣٦٥

يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْاَنِ الْقِيَ إِلَى كِتَابِكُمْ

الجل : ٢٩

باب نفتح منه على عوالم قراء مجلة «رسالة الثقلين» بكل ما تزخر به هذه العوالم من آراء، فنكون معهم في أجوائهم التي يعيشونها مع مجلتهم فكراً وثقافة ومعرفة.
«التحرير»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المستقيم لاهل البيت (عليه السلام)، هذا النبع العذب الصافي المستنبط من القرآن والسنة النبوية الشريفة، ويسرني أن أحيي رئيس وهيئة تحرير المجلة الاسلامية الجامعة «رسالة الثقلين» الغراء، وإنها ليست مجلة فحسب، وإنما هي مدرسة علمية ومصدر غني، أو بالأحرى دائرة معارف قيّمة جداً لما تحتويه من مواضيع في جميع المجالات

سلام من الله عليكم ورحمته وبركاته.



• مجلتكم الغراء

مدرسة علمية

تحية الحب والولاء وتحية الشكر والتقدير لرئيس واعضاء مجتمكم الموقر، الذي أسس على التقوى لإظهار الحق وازهاق الباطل، ولاحياء المعارف والثقافة الاسلامية الاصيلة من النهج

الثقافية الاسلامية، وكل ما يتعلق بمعارف أهل البيت عليه السلام.

لقد قرأت المواضيع المنشورة في المجلدين الثاني والثالث بدقة ابتداءً من الافتتاحية وانتهاءً بالصفحة الأخيرة، رغم مشاغلنا الكثيرة، فلم أجد ما لا يستحق القراءة، خاصة بالنسبة لي بصفتي مسؤولاً عن جمعية إسلامية نقوم بواجبنا، حيث وفقنا الله لحمل رسالة التبليغ والدعوة لله سبحانه وتعالى في المهجر، رغم ثقافتي ومعرفتي المتواضعة. لذا فإنني بحاجة الى هذه المعارف القيمة، لندرة الكتب والمصادر الاسلامية، علماً بأننا لدينا برنامج تثقيفي تلقى فيه الدروس والمحاضرات على مسامع إخواننا المهاجرين في جلسات أسبوعية، إضافة الى خطب صلاة الجمعة.

أرجو أن تفضلوا بإرسال العدد الاول من مجلتكم الغراء لنا للاستفادة والاطلاع على القسم الاول لبعض الدراسات والبحوث المنشورة فيها مثل

موضوع أهل البيت عليه السلام في القرآن، وموضوع أساس ومنهج التقريب بين المذاهب، ونداء التوحيد شرح رسالة الامام الخميني الراحل عليه السلام مع إرسال نص رسالة الامام الى «غورباتشوف» وغيرها من المواضيع والبحوث الأخرى. إذا أمكنكم مساعدتنا ورفدنا ببعض الكتب والبحوث المتوفرة لديكم فسنكون شاكرين لكم وجزاكم الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء. وفقكم الله ورعاكم وسدد خطاكم لما فيه الخير والسعادة والحرية لكافة شعوب الامة الاسلامية المقهورة.

الحاج عبد الجبار الغفاري
رئيس جمعية الوحدة الاسلامية في
كريستيان ستاد - السويد -

* * *

• «رسالة الثقلين»

نخبة اسلامي بهرنا جمالها

وراعنا رواؤها

تحية وإجلالا وشوقا واحتراما من
قلب يحفظ لكم الجميل ويعترف

بفضلكم الكبير..

فقد تسلمنا بيد الشكر مجلتكم
الثمينه «رسالة الثقلين» فبهرنا جمالها
وراعنا رواؤها وأعجبنا بها كل الاعجاب
وثقوا أننا لا نبالغ إذا قلنا: إننا سوف نعتني
بها ونحرص عليها، وإننا لو استطعنا أن
نضعها بين جوانحنا لفعلنا، ولم لا؟
واسمحوا لنا أن نقول لكم بكل صراحة
واطمئنان: إن هذه المجلة هي النبع
الاسلامي الذي يغذي أرواح طلابنا
وشباب الاسلام الذين يواجهون اليوم
تيارات جارفة ومبادئ هدامة،
ومخططات تنصيرية عالمية من العالم
العلماني عدو الاسلام.

ونحن ممن حمل على عاتقه
مسؤولية هداية المسلمين وتعليمهم
وتربيتهم لأن يكونوا رجال الاسلام في
الغد، وقادة الأمة في المستقبل،
وخصوصاً نحن الذين في دول غرب
إفريقيا التي هي بعيدة كل البعد عن كل ما
ينشر عن الاسلام. فلا عجب والأمر
كذلك أن نعجز عن شكركم. ولكن هذا

العجز لا يمنعنا من أن نقول لكم: إننا
سنكون مسرورين جداً لو تفضلتم
بموافاتنا ببعض المصاحف الشريفة أو
بتقديم عنواننا إلى أقرب مؤسسة
إسلامية ليقوموا بتزويدنا بما يوجد
لديهم من مصاحف شريفة وكتب
لاهاتها للطلبة وبعض المساجد
والمدارس في المنطقة.
وفقكم الله لإعلاء كلمته ونصرة دينه
وهداية عباده وصلاح المسلمين ووحدة
كلمتهم..

الأمين العام

أبو بكر بن اسحاق دانميلي

جمعية الدعوة الاسلامية والارشاد

مدرسة السلام الاسلامية - ساحل العاج

● أشيد بتعريفكم بقرات

الأئمة الأطهار

اخواني في العقيدة وفي الإسلام،
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
يطيب لي وبشرني كثيراً أن أتوجه

إلى سيادتكم الموقرة بهذه الرسالة التي
أشيد فيها بجليل أعمالكم وخالص
نياتكم تجاه الإسلام والمسلمين، وأحیی
فيكم روح الجهاد والكفاح من أجل
إسماع صوت الحق إلى كل مستضعف
في الأرض من خلال التعريف بتراث
أئمتنا الأطهار عليهم السلام، والمجهودات التي
بذلوها في سبيل ترسيخ مبادئ الاسلام،
ومحاربة الظلم والفساد والانحراف في
شتى أساليبه. وهنا لا يفوتني أن أبعث
بتحياتنا وأشواقنا الحارة إلى ولي أمر
المسلمين السيد آية الله علي الخامنئي
مد الله ظله.

ظافري رشيد
الجزائر

● المجلة جامعة

وبالمستوى المرموق

وفقكم الله ورعاكم لخدمة الاسلام
والمسلمين.

انه لمن دواعي الفخر والسرور أن
نشهد صدور مثل هذه المجلة الاسلامية

الجامعة ذات المستوى المرموق التي
يكتب بها نخبة من العلماء والمفكرين
من طراز متميز حفظهم الله.. وأيدهم
لنشر فقه واصول واهداف اهل
البيت عليهم السلام.

ان أحد الايجابيات في هذه المجلة
هو صدورها كل ثلاثة اشهر وهي تحمل
مواضيع ومعلومات جيدة، ولا بأس هنا
ان اشير الى اقتراح يخطر في ذهني وهو
دراسة موضوع أن تكون المجلة شمولية
وقابلة للنشر ليس فقط على صعيد رؤاد
مدرسة أهل البيت عليهم السلام وإنما على صعيد
غير المتممين لهذه المدرسة أيضاً.

مع الشكر والدعاء لكم بالتوفيق.

عزيز ياسين هادي
الجمهورية الاسلامية في إيران

● «رسالة الثقلين»

اساليبها رائعة ومعانيها

قوية

تسلمت مجلتكم الكريمة «رسالة

الثقلين» بواسطة معهد زيد بن ثابت الذي أمارس فيه تدريس المواد الدينية الى جانب المواد الأدبية. وأنا أشعر بالارتياح وأنا أقرأ موضوعاتها الجيدة بأساليبها الرائعة ومعانيها القوية.

ويسرني باسم المعهد وباسمي أن أرفع إلى جنابكم العالي هذه الرسالة لأعبر لكم عن مدى تقديري العميق للجهود القيمة التي يبذلها المجمع العالمي لأهل البيت في سبيل تشجيع التعليم الاسلامي والدعوة الإسلامية. وعلى هذا الاساس فإنني أود أن أحيط سيادتكم علماً بأن الشعب السنغالي المسلم في أمس الحاجة إلى عونكم وتدخلكم المباشر لإزالة العقبات التي تعترض وتهدد مسيرة الدعوة الاسلامية هنا، وسأوافيكم - إن شاء الله - في رسائلي القادمة بتقرير حول أوضاع المسلمين هنا وعن الصعوبات التي يعاني منها العاملون في نشر الدعوة الإسلامية، ومدى حاجة السنغال إلى دعاء أكفاء يوضحون للناس المذاهب

الاسلامية وخاصة مذهب أهل البيت الذي يحاول بعض الجهلاء تشويه سمعته.

أرجو من المجمع العالمي أن يعيننا بتوفير الكتب والمطبوعات العربية والثقافية التي تزودنا بالوعي الاسلامي الصحيح النقي من الشوائب.

وان أمني كبير في أن يلبي المجمع العالمي طلبي هذا لما أعتقده فيكم من تعاون مثمر ومستمر في كل ما يرفع راية الدعوة خفاقة عالية. فجزاكم الله عنا وعن الاسلام خيراً كثيراً.

وفقنا الله وإياكم لما يرضاه والسلام عليكم ورحمة الله.

عزيز سي
معهد زيد بن ثابت
السنغال

• أهمية المجلة في كلية

الامام الازاعي

تتقدم كلية الامام الازاعي للدراسات الاسلامية بأطيب تمنياتها،

كاسمها ثقيلة بما حملت من علوم
ومعارف وبحوث رصينة عميقة
ومعلومات ضافية صحيحة.

واني - باسم جمعية أصدقاء القرآن -
لأشيد بها مجلة لا كالمجلات التي تعج
بها الاسواق التي ليس في معظمها سوى
وضع السواد على البياض مَلَأً للفراغ
فقط.

وليس عجباً أن تصدر مجلة رصينة
علمية من رجالات أهل البيت ومن شيعة
عليّ وأهل بيته الميامين. بل وليس غريباً
ان يأتي شيء جديد عظيم القيمة من
الجمهورية الاسلامية في ايران بلد
العلماء والفقهاء.

إن جمعية أصدقاء القرآن بصفتها
حركة إسلامية حيّة ليسرّها أن تضمّ يدها
بكامل أعضائها الى أيديكم تضافراً
وتضامناً معكم.

إن المسلمين - أينما وجدوا - يضعون
اليوم أملهم في الجمهورية الاسلامية في
ايران وثورتها المباركة. وإننا لندعو الله
ونصلّي ضارعين له ان يصون الجمهورية

وتأمل مساعدتكم في الحصول على
مجلة «رسالة الثقلين» ابتداءً من العدد
الأول، وذلك لأهميتها لطلاب الدراسات
الاسلامية في كليتنا، مع الاستمرار في
إرسالها إلينا مستقبلاً.

كما تأمل مساعدتكم في الحصول
على ما صدر ويصدر عنكم من
مطبوعات ودراسات وتقارير ونشرات.

شاكرين لكم تعاونكم وداعين الله
نمالي أن يوفقنا وإياكم إلى ما فيه خير
الإسلام والمسلمين. والسلام عليكم
ورحمة الله وبركاته.

توفيق حوري
(رئيس مجلس الأمناء)
كلية الامام الاوزاعي للدراسات
الاسلامية - لبنان -

* * *

• «رسالة الثقلين»

مجلة لا كالمجلات...

يطيب لنا أن نحيطكم علماً بوصول
المجلة الغراء «رسالة الثقلين» وهي

الاسلامية، لأنها الوحيدة حسبما اثبتته التجارب التي تقف في وجه الاعداء صامدة صادقة لا تخيفها زمجرة قنابل الاعداء ولا بروق عواصف المعتدين. اختصاراً، إن الله معكم فلا تهنوا ولا تحزنوا فأنتم الاعلون.

جمعية أصدقاء القرآن الكريم
السنغال

* * *

● «رسالة الثقلين»

نعمة كبرى

بلغت غاية السبق والكمال

تلقينا مجلة «رسالة الثقلين» القيمة التي يخلد ذكرها في قلب من صفت سريره من التعصب ولها أثرها الخالد لدى العلماء والمفكرين والكتّاب الاسلاميين وهي التي تكرر وحدة الأمة الإسلامية.

ولقد تناولناها بيد البشري واعتبرناها من النعم الكبرى. فهذه الرسالة وسيلة وذريعة لمعرفة فضائل أهل البيت (عليه السلام)

الرفيعة ومكانتهم السامية في افق العلم والمعرفة والكمال، بما جعلهم مراجع الأمة في كل أدوار تاريخ الإسلام. لقد جاهدتم فيها حق المجاهدة في تبليغ بعض الجوانب من حياة أهل البيت الأطهار (عليه السلام) وما يتعلق بمقامهم ودورهم التاريخي، وغير ذلك من الفوائد المهمة فجزاكم الله عنا وعنهم وعن الاسلام خير الجزاء.

واننا من يوم ان بلغتنا هذه الرسالة التي تعرّف بمنهج أهل البيت ومقامهم ومسارهم قد بدأنا في حث أبناء الاسلام المثقفين على ان يستفيدوا من هدي أهل البيت والاجتماع حول هذه الطليعة الرائدة والاقتداء بها والوقوف صفّاً واحداً بوجه المخزيين الذين يسعون لتفريق كلمة المسلمين وتمزيق وحدتهم في وقت تخوض فيه امتنا الاسلامية كفاحاً عنيفاً ضدّ الثقافات الغريبة الفاجرة والشيوعية الملحدة والصهيونية المجرمة من أجل تطبيق الرسالة الاسلامية والعيش في ظلال العدل الالهي.

والحق احق ان يقال ان «رسالة
الثقلين» التي اصدرها «المجمع العالمي
لاهل البيت» قد بلغت غاية السبق
والكمال وحثت من المباني ادقها ومن
المعاني أرقها ومن المعرفة ذراها ومن
البلاغة أقصاها، كما قال الشاعر:

كتاب لهُ الأحداقُ تشتاقُ نظرةً

فَيا حَبذا ما ضَمَّهُ وَحَواه

يا سادتي إِنَّ شُكْرِي لَسْتُ احصُرُهُ

شُكْرٌ جَزِيلٌ يفوقُ العدَّ أنفاسا

دمتم مشكورين على هذه التضحية

المباركة من أجل تطبيق تلك المبادئ

السامية وقيادة الأمة الى هديها.

محمد أول نور ابراهيم

أثيوبيا - آديس أبابا

• كتاب «رسالة الثقلين»

تطمئن لهم القلوب

أطلعت على مجلتكم الكريمة

«رسالة الثقلين» التي وجدت فيها

مقالات ومواضيع رائعة تعبر عن فكر
أصيل نقي وهادف لا سيما أن الكتاب
الأفاضل هم من الذين تطمئن لهم
القلوب ومن الذين تتابع دوما ما تجود به
أقلامهم المعطاءة والخيرة للتعريف
بالإسلام المحمدي العظيم ومذهب أهل
البيت الكرام عليهم الصلاة والسلام.

ونحن هنا في سوريا بأمس الحاجة

إلى مثل هذه المواضيع الدقيقة التي

تساعدنا في التعرف على مذهب أهل

البيت ﷺ. وإننا مع مجموعة من الإخوة

المؤمنين مسؤولون أمام الله عز وجل عن

التعريف بمذهب أهل البيت عليهم سلام

الله.

لذا نرجو من سماحتكم أن تتكرموا

متفضلين، وأن ترفدونا بأي شيء ترونه

مناسبا لخدمة الاسلام والمسلمين

وخدمة محبي أهل البيت عليهم الصلاة

والسلام.

باسم بلوق

سوريا

• «رسالة الثقلين»

مبادرة عظيمة وعمل مقدس

نشكر جهودكم الخيرة في سبيل نشر ثقافة الاسلام المحمدي الأصيل الذي طالما حاول الطغاة طمسه أو ابرازه في إطار مشوّه ممسوخ تمجّه الاسماع وتنفر منه سليمان الطباع.

إنها مبادرة عظيمة وعمل مقدس لا نملك إلا أن ندعو الله دائماً لكم بالتوفيق والسداد.

إخوتي الأعزاء .. لقد سررت كثيراً عندما شاهدت نسخة من مجلتنا الغراء «رسالة الثقلين» مع احد الإخوة الشباب، ولهذا أحببت تقديم الطلب إليكم بأن لا تنسونا من التفضل بارسال كل عدد من المجلة الاسلامية المباركة وكذا غيرها من الكتب الاسلامية التي من شأنها معالجة أوضاع الامة الاسلامية وأوضاع الشباب المسلم .. دمتم ودامت جهودكم وجزاكم الله خير الجزاء.

محمد الحوشي
اليمن

• «رسالة الثقلين»

مجلة باهرة

في البدء نشكركم كثيراً على عملكم الجاد هذا ونرجو من الله تعالى التقدير أن يبارك عملكم وأن يمنحكم جزيل الشكر والثواب.

نحن في منأى عن الثقافة الاسلامية الطيبة حيث اطلعت على مجلتكم الباهرة «رسالة الثقلين». فإذا كان بإمكانكم فواصلونا بهذه المجلة أو أي مطبوعات أخرى مثل الكتب والمجلات والصحف، أو الأشرطة أو أي وسيلة سواء كانت مقروءة أو مسموعة. أو ما كان في متناولكم.

إخوتي إننا في هذه المنطقة بحاجة كبيرة إلى ثقافتكم ومعرفتكم، والمنطقة والحمد لله مليئة بالشباب الطيبين المتطلعين.

فتفضلوا بكرمكم علينا. ولكم خالص الشكر والتحية وجزاكم الله خير الجزاء.

قاسم الحمران
اليمن

● «رسالة الثقلين»

صدقة جارية

بعد التحية ومزيد الود والاخلاص والحب الاخوي الذي يغمر قلبي لكم، أتمنى أن تكونوا في احسن حال بعملكم المعطاء المبارك الذي يعمُّ بأنواره أرجاء المعمورة ويصدع بالحق ليهدي الناس الى طريق الله تعالى وجادة الصواب والنجاة من النار، وهذه هي الصدقة الجارية التي تنفع الانسان في الدنيا والآخرة، وأسأله تعالى أن ينفعكم بها في الدنيا والآخرة.

إنني في غاية الشكر والامتنان لكم لما اتحفتمونا به من مجلة «رسالة الثقلين» الرائعة البديعة الجامعة لكل ما ينفع المؤمنين، وهي فعلاً مجلة مسؤولة ومُوجَّهة.

ابراهيم ابو حسان
لندن

● «رسالة الثقلين»

قيمة وغالية

يسرنا نحن في جمعية الرسالة الاسلامية، ان نبعث اليكم بخالص الشكر والتقدير لهذه الهدية القيِّمة الغالية، وهي مجلة «رسالة الثقلين» ونحن إذ نحمد الله سبحانه وتعالى على الجهود المبذولة من أجل إعلاء كلمة الاسلام ونشر تلكم التفحات الطيبة من سيرة الحبيب المصطفى والعترة الطاهرة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من قبل مؤسستكم الرشيدة، تكبر فيكم هذه الروح الايمانية الاسلامية العالية.

ختاماً نسأل الله لكم التوفيق والنجاح في مهمتكم النبيلة وتقبلوا شكرنا وتحياتنا ودمتم مكرمين لخدمة أهل البيت الابرار عليهم السلام.

السيد عبدالصاحب الاشقر
رئيس جمعية الرسالة الاسلامية
استراليا

قسمة الاشتراك

الاسم
العنوان
.....
المدينة
البلد
المهنة
مدة الاشتراك
ابتداء من
.....
عدد النسخ

بلد	الاشتراك	السوي / المدة ٦ اشهر
الجمهورية الاسلامية في ايران (بالريال)	٤٠٠٠	٢٠٠٠
باقي دول العالم (بالدولار) (أو مايعادله)	٣٠	١٥

يرافق اشتراكك: (١) صك (٢) صك بريدي (٣) حواله بريدية
أرسل هذه القسمة مع قيمة الاشتراك باسم «رسالة الثقلين» إلى احد العنوانين التاليين:
* الجمهورية الاسلامية في ايران . قسم ص.ب ٣٧١٨٥ / ٨٩٤
* الجمهورية الاسلامية في ايران . طهران ص.ب ٣٥١٦ / ١٥٨١٥

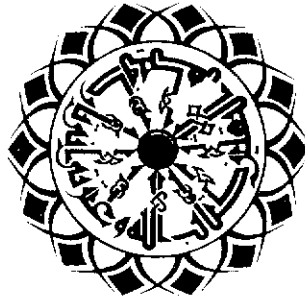
الاشتراكات:

* في داخل الجمهورية الاسلامية في ايران تسدد قيمة الاشتراك السنوي (٤٠٠٠ ريالاً)
بحواله مصرفية على العنوان التالي:
الجمهورية الاسلامية في ايران قم بنك تجارت شعبه مركزى رقم الحساب الجاري ٢٦١٨
(بالريال) مجلة رسالة الثقلين.
* قيمة الاشتراك السنوي في الخارج (٣٠ دولاراً امريكياً أو مايعادلها) تسدد بحواله
مصرفية على العنوان التالي:

ACCOUNT NO.03563 33268 BANK TEJARAT IRAN
6 - 8 CLEMENTS LANE, LONDON EC4N 7 AP/ENGL ENGLAND.

ثمن النسخة:

الجمهورية الاسلامية الايرانية ١٠٠٠ ريال □ العراق ٤ دنانير □ لبنان ١٥٠٠ ليرة □ سوريا ٢٥ ليرة □ الاردن
١٤٠٠ فلس □ الكويت ١٦٠٠ فلس □ البحرين ١٨٠٠ فلس □ الامارات ٢٥ درهما □ قطر ٢٥ ريالاً □ عمان ريالان
□ السعودية ٢٥ ريالاً □ اليمن ١٥ ريالاً □ مصر ١٥٠٠ مليم □ ليبيا ١٩٠٠ درهم □ السودان ١٢٠٠ مليم □ تونس
١٥٠٠ مليم □ المغرب ١٦ درهما □ الجزائر ١٤ ديناراً.
□ وفي باقي دول آسيا وأفريقيا وأمريكا وأستراليا وأوروبا ٧ دولارات أو ما يعادلها.



AHL UL BAIT
WORLD ASSEMBLY

RISALATUTH - THAQALAYN

A General Islamic Periodical

Vol.2, No.8, April - Jun. 1994